سلسلة الدراسات الأدبية النقدية (4)

# النزعة الإنسانية في أدب المهجر

## شعراء الرابطة القلمية «أنموذجاً»

د. صلاح التوم إبراهيم محمد

الطبعة الأولى
2023م



# النزعة الإنسانية في أدب المهجر

## شعراء الرابطة القلمية «أنموذجاً»




د. صلاح التوم إبراهيم محمد

الطبعة الاولى
2023م

اسم الكتاب

# النزعة الإنسانية في أدب المهجر

**شعراء الرابطة القلمية «أنموذجاً»**

اسم الكاتب


## د. صلاح التوم إبراهيم محمد



الإيداع القانوني

......./2023م




الناشر

دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – السـودان

جوال: 121566207 - 00249122094856

البريد لإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

تاريخ النشر:

الطبعة الأولى – 2023م



﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾

(سورة الملك: الآية ١٥)

# المحتويات

# الإهــداء

إلى كل ...

الأوفياء والمخلصين

للأدب العربي ،،،،،

# تقديم

بحمد الله وتوفيقه قُدر لي أن أشرف على هذا البحث الذي حمل في طياته عنواناً مشرقاً ومشرّفاً وباعثاً الحيوية والأمل في القارئ الكريم وهو «النزعة الإنسانية في أدب المهجر» ، وقد جاء الكتاب شاملاً لمعاني النزعة الإنسانية في أدب المهجر ولا سيما شعراء الرابطة القلمية ، ويعبر بصورة كبيره عن فحواه، وتتجلى معانيه في صورة زاهية راقية مجددة للفكر العربي الحديث.

وقد كنت متابعاً لهذا الجهد العلمي على مدى ثلاث سنوات ونيف منذ أن كان فكرة حتى وصل إلى هذا المستوى العلمي المهم في مادته وعرضه.

وقد أفرزت هذه الدراسة الظروف التي عاناها أدباء المهجر فلّجت في نفوسهم لواعج الإنسانية الصادقة النبيلة بكل ألوانها ، من حنين وشوق وإخاء ، وهذا يجسد أسمى معاني الأدب والثقافة عند كل الأدباء العرب .

ويسعدني ويشرفني هذا الجهد الكبير الذي بذله الأخ الدكتور/ صلاح التوم إبراهيم محمد ، فقد استفاد من أمهات المصادر والمراجع في صياغة بحث أصيل متفرد، وتم ربط الموضوعات بصورة علمية اتسمت بالموضوعية مما يجعله مرجعاً شاملاً لأدب المهجر، ولا سيما أدب المهجر الشمالي يستفيد منه طلاب العلم. وقد سار الباحث على منهج علمي رصين اتسم بالموضوعية والتنوع والأشعار الخالدة في معاني الإنسانية لدى أدباء المهجر .

يشغل البحث مكاناً مرموقاً بين الدراسات الأدبية، إذ يختص بميزات تحمله إلى رحاب الفرادة فقد ذخر بالعديد من المعلومات والحقائق الأدبية ذات القيمة والمردود التحليلي العميق فيمكن الرجوع إليه كأحد المراجع المهمة في الأدب العربي الحديث. وقد أوفى البحث حقه في التنظيم والترتيب والجدة والابتكار والموضوعية، فنال إعجاب واستحسان الجميع وعلى رأسهم لجنة المناقشة والامتحان ، والتي أوصت بطباعته إلى كتاب .

وفي ظل النقص المرجعي لكتب أدب المهجر فإن هذا العمل يعد في مجمله إضافة حقيقية لقائمة المصادر والمراجع ، بل يعد أهمها من حيث المادة والموضوع والمكانة الأدبية .

أسأل الله أن يوفق طلاب العلم للسعي الجاد في الاهتمام بالبحوث الأدبية التي تعد نبراساً يضئ الطريق للآخرين ، والحمد لله على ما قدم الباحث من جهد يهتدى به من بعده.

والله الموفق.

**د. ميرغني حمد ميرغني حمد**

كسلا/ الخميس 5 نوفمبر 2023م

# مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، الذي بعثه الله بالحنيفية الواضحة والدين القويم، فهدى النّاس مِن الضلالة وبصرهم مِن العمى وأخرجهم مِن الظلمات إلى النور، وعلى آله مصابيح الظلام وهُداة الأنام، وعلى مِن سلك طريقه واقتفى أثره وتبع سُنته إلى يوم الدين.

**وبعدُ:**

فقد قدر للشعر العربي الحديث أنْ يتجدد باغتراب عدد من الأدباء والشعراء عن أوطانهم ضمن قوافل الهجرة التي شهدتها بلاد الشام ولا سيما لبنان وسوريا إلى بلاد الأمريكتين، في النصف الأوّل مِن القرن الرابع عشر الهجري لأسباب عديدة منها: السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وقوّت هذه الهجرة لدى المهجريين مِن هؤلاء الأدباء، ارتباطهم الإنساني بأوطانهم وأشجانهم على الرغم مما واجهوه فيها من ألوان العنت، وصنوف الألم، حتى لجت في نفوسهم لواعج الإنسانية الصادقة بكل ألوانها مِن حنين وشوق وإخاء وتتبع أخبار الأوطان والتطلع واللهفة للرجوع إليها.

وقد أفرزت تلك الظروف التي عانى مِنها أدباء وشعراء المهجر أدباً وشعراً أصبح ثورة رائعة في صفحات أدبنا العربي الحديث، اكتنفته ظروف معينة أسهمت في تكوينه حتى جعلته يتخذ طابعاً خاصاً يتميز به.

وحين نفتح سجل الشعر العربي الحديث يتضح لنا مِن خلال تصفحه أنّ شعراء الرابطة القلمية بالمهجر الشمالي على وجه التحديد، قد لعبوا دوراً أساسياً في النهضة الشعرية التي عرفها العالم العربي مطلع القرن العشرين الميلادي؛ بل إنّهم كانوا رموز هذه النهضة وصانعيها وباعثيها، فقد كانوا يرون أنّ الشعر تعبير عن موقف إنساني، نتج ذلك عن شعورهم بفضاء الحرية التي لم تتح لهم في الشرق، بالإضافة إلى حنينهم إلى أوطانهم التي هاجروا منها، وتمسكهم بقوميتهم العربية وارتباطهم بها، لذلك جاء شعرهم معبراً تعبيراً صادقاً عن مشاعرهم الإنسانية التي صوروها مِن خلالها عواطفهم ومختلف أحاسيسهم وتجاربهم.

ويقيني أنّ مجموعة الرابطة القلمية في المهجر الشمالي، مشتركون في نزعات إنسانية نبيلة متعددة، يقول الشاعر المهجري، رشيد أيوب:

**سَمُوحٌ هُو المَرء المُفَرِقُ مَالَه * ولَكِن مَن يُعْطِي مِن الْقَلبِ أسْمَح**

ولعمري لقد أتي أيوب بهذه الحكمة الغالية في بساطة ودون أية كلفة، مبيناً نظرته الإنسانية الواسعة، طالباً مِن الجميع أنْ يعطي من القلب إلى القلب دون منٍ أو أذى .

وها هو إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر يقول مظهراً تألمه وتحسره لإخوانه المحتاجين والبائسين، في نزعة إنسانية صادقة:

**وَا رَحْمَتا لِلبائِسين فإنهُم * مَوْتَى وتَحْسَبهم مِن الأحَياء**
**إنّي وجَدْت حُظُوظَهُم مُسْوَدةٌ * فَكأنّما قُدّت مِن الظّلمَاء**

أمّا ميخائيل نعيمة فقد عبر عن إنسانيته العميقة في قصيدته المشهورة «أخي»، وليس أدل على رحابة آفاق ميخائيل نعيمة الإنساني، قوله:

**واجْعَلِ اللّهُمَّ قَلْبِي وَاحَةً * تَسْقِي الْقَرِيبَ والْغَريب**

فشعراء الرابطة القلمية، كما يقول جبران: «قد بلغوا إلى قلب الحياة فوجدوا الجمال في كل شيء، حتى في العيون المتعامية عن الجمال».

إنّ الحديث عن النزعة الإنسانية في كل تلك المهاجر يقتضي وقتاً طويلاً وبحوثاً منفصلة، لذا اقتصر الكتاب عن النزعة الإنسانية وتجلياتها ومظاهرها لدى أدباء وشعراء الرابطة القلمية؛ فقد حمل شعرهم وأدبهم عامة هموم الوطن وقضايا الأمة كافة في جزء مهم منه، كما حمل شعرهم، شعور الإنسان مع الإنسان بكل ما في هذا التعبير مِن شمول...شعور الإنسان مع الحيوان والنبات، وأحياناً شعوره بدافع الألفة مع الجماد.

وقد قسّمتُ الكتاب إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة:

**الفصل الأول:** بعنوان «هجرة الأدباء إلى الأمريكتين»، درسته في ثلاثة مباحث، الأول: أسباب الهجرة وبواعثها والثاني: قوافل الشعراء المهاجرين وروابطهم الأدبية والثالث: محاسن ومساويء هجرة شعراء المهجر.

أما **الفصل الثاني:** فجاء بعنوان «الرابطة القلمية» تناولته في ثلاثة مباحث، الأوّل: عن نشأة الرابطة القلمية، والثاني: عن أعلام الرابطة القلمية، والثالث: عن العناصر البارزة في شعر الرابطة القلمية.

أما في ما يخص **الفصل الثالث:** فجاء تحت عنوان «مفهوم النزعة الإنسانية» وفيه ثلاثة مباحث، الأوّل: النزعة الإنسانية تعريفها ومفهومها، والثاني: النزعة الإنسانية في الأدب العربي ، والثالث: جاء عن مفهوم النزعة الإنسانية لدى المهجريين.

أما **الفصل الرابع:** فجاء تحت عنوان «بعض مظاهر النزعة الإنسانية في شعر «الرابطة القلمية»؛ حيث تناولتُ فيه دراسة اتجاهات ومظاهر النزعة الإنسانية في شعر شعراء الرابطة القلمية من خلال أربعة مباحث، الأوّل: الحنين إلى الأوطان، والثاني: التسامح الديني، والثالث: الإخاء والمساواة، والرابع: عن التفاؤل والتشاؤم.

أما **الفصل الخامس:** فجاء تحت عنوان: «الخصائص التعبيرية لشعر النزعة الإنسانية وآراء النقاد»، حيث تناولتُ فيه أبرز الخصائص الفنية في شعر الرابطة القلمية، بالإضافة إلى آراء بعض النقاد لشعر شعراء الرابطة القلمية؛ وذلك مِن خلال أربعة مباحث، الأوّل: اللفظ والأسلوب، الثاني: المعاني والصور، الثالث: الأوزان والقوافي، والرابع: عن آراء بعض النقاد في أدب المهجر.

والجدير بالذكر أنّ هذا الكتاب رسالة دكتوراه تقدّمتُ بها لنيل درجة الدكتوراه في اللُّغة العربية وآدابها -جامعة كسلا ، وقد أوصت لجنة المناقشة بنشرها، ولقيت الرسالة مِن الترحيب والتشجيع ما زاد إيماني بأهمية الموضوع وقيمته، فإذا استطاعت هذه الصفحات أنْ تنحت لبنة صغيرة متواضعة في أدبنا العربي كان ذلك خير كسب لي، وكنت به موفقاً وسعيداً .

وصل اللّهم وبارك على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه.

**صلاح التوم إبراهيم**

السودان – كسلا

رمضان 1444هـ / أبريل 2023م

# الفصل الأوّل

# هجرة الأدباء إلى الأمريكتين

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

## أسباب الهجرة وبواعثها

المبحث الثاني

## قوافل المهاجرين وروابطهم الأدبية

المبحث الثالث

## محاسن الهجرة ومساوئها

## المبحث الأول

# أسباب الهجرة وبواعثها

هاجـرت جماعــات مِــن العــرب، وبخاصــة مِــن ســوريا ولبنــان في القــرن التاســع عــشر الميـلادي والقـرن العشريـن، إلى العالـم الجديـد (الأمريكتـين)، ونقلـوا اللُّغـة العربيـة والأدب العربي إلى تلك المهاجر

البعيـدة، وأنشـأوا في تلـك الديـار النائيـة شـعراً وأدبـاً يعـبرون بـه عـن مشـاعرهم وعواطفهـم، ويتحدثـون فيـه عـن غربتهـم وحنينهـم إلى أوطانهـم، ويصفـون فيـه البـلاد التـي أقامـوا فيهـا، ومظاهـر الحضـارة السـائدة في حيـاة النـاس هنـاك؛ كمـا يصفـون حياتهـم ومـا تعرضـوا لـه مِـنْ عنـاء وشـقاء وتجـارب مريـرة مثـيرة، وكان شـعرهم هـذا هـو الشـعر المهجـري، الـذي أصبـح مدرسـة أدبيـة كـبرى، بـين مـدارس الشـعر العربـي الحديـث ومذاهبـه، وعنـي بـه الأدبـاء والنقـاد والباحثـون، وكُتـب حولـه وحـول أعلامـه ورمـوزه الكثـير مـن الدراسـات والبحـوث، كمـا ظهـرت فيـه عـدد مـن المؤلفـات التـي نالت حظاً من الذيوع والشهرة.

كان المهاجـرون العـرب مـن الأدبـاء والشـعراء يعيشـون في بيئـة هـم عنهـا غربـاء، كمـا كان المُتنبّي غريباً في بلاد فارس، وهو يزورها ويردد قوله:

**مَغانِــي الشِّــعْبِ طيبَــاً فِي المَغانِــي * بمَنزلـةِ الرّبــيِ مِــنْ الزمَــانِ**
**ولَكِــنَّ الْفَتَــى الْعَربــيّ فِيَــا * غَريــبُ الْوَجــهِ واليــدِ واللّسَــانِ[1]**

أمّا غربة هؤلاء المهجريين الذين نحن بصدد دراستهم، تختلف إذْ عاشوا في أُلْفة فكرية مع بيئتهم الجديدة، ولم يعيشوا شاعرين بغربة المُتنبّي؛ وإنْ شعروا بالغربة الحسية لبعدهم عن أوطانهم؛ بل كان بعضهم يشعر بالغربة الفكرية في وطنه للبعد بين أفكاره وأفكار مجتمعه، فهاجر ليجد الحرية الفكرية في مجتمع جديد، كما

يقول الدكتور أحمد زكي أبو شادي الشاعر المصري الذي هاجر إلى نيويورك في إبريل 1946م:

**وغُربــةِ الْفكــرِ فِي دَارٍ يُمجّدُهــا * أقْـسَى عَـلى الحـرّ مِـنْ فُقْـدانِ نَاظِـره[2]**

وقـد كان وراء هجـرة هـؤلاء الأدبـاء والشـعراء العديـد مِـن الأسـباب والبواعـث التـي تضافـرت جميعهـا أو معظمهـا لتشـكل لهـم دوافـع قويـة، ولا سـيما لِمَـنْ تهيـأت لهـم

(1) ديوان المتنبّي، ص 419 .

(2) أحمد زكي أبو شادي ، ديوان من السماء ، ص 17 .

ظـروف الهجـرة في ذلـك الوقـت؛ وقـد اختلـف المؤرخـون في تقديـر أسـباب الهجـرة، وهـم برغـم هـذا الاختـلاف الظاهـر مجمعـون عـلى أنّ السـبب الأوّل والمبـاشر لتلـك الهجـرة إنّمـا هـو دافـع اقتصـادي نجـم عـن فقـر بلادهـم وقلـة أرزاقهـا، بالإضافـة إلى عامـل سـياسي؛ هـو اضطهـاد الدولـة الحاكمـة للرعايـا وسـوء الإدارة وفسـاد الأحـول؛ ولا شـك أنّ هنـاك أسـباب أخـرى أيضـاً دفعتهـم إلى الهجـرة، وهـي أسـباب إمّـا اجتماعيـة أوأدبيـة أونفسـية أوغيرها، كان لها أثر كبير في التشجيع على الهجرة والحثّ عليها في ذلك الزمان.

وقبـل أنْ نـشرع في تنـاول أسـباب ودوافـع هجـرة الأدبـاء والشـعراء المهجريـين بـشيء مِـن التفصيل، نضع أمامنا ثلاثة أسئلة وهي:

أولاً- لماذا كانت الهجرة في الأغلب الأعمّ مِن سوريا ولبنان؟

ثانياً- لماذا كانت الهجرة إلى أمريكا «العالم الجديد» بالذات؟

ثالثاً- لماذا كان أغلب المهاجرين مِن غير المسلمين وبالتحديد من المسيحيين؟

ومِـن خـلال الرجـوع إلى مؤلفـات مؤرخـي الآداب والمصـادر المختلفـة، ودواويـن شـعراء المهجـر أنفسـهم، نُجيـب عـن تلـك الأسـئلة مِـن خـلال تناولنـا لتلـك الدوافـع والأسـباب المتعددة.

**أولاً-** الدافـع السـياسي: خضعـت بـلاد الشـام إلى الحكـم التركـي سـنة 1516م، وظلـت تـرزح تحـت وطـأة الحكـم العثمانـي، وقـد عانـت البـلاد الأمرّيـن، مِـن عسـف الأتـراك وظلمهـم، وسـوء إدارتهـم للبـلاد وكبتهـم للحريـات، ففـي عهـد السـلطان سـليم الأوّل، سـيطر الأتـراك سـيطرتهم المطلقـة عـلى البـلاد، وقـد سـاعدهم في الاسـتيلاء عـلى بلاد الشـام الإقطاعيـون في سـوريا ولبنـان، وذلـك بتقديـم ولائهـم للعثمانيـين، ممـا جعـل السـلطان العثمانـي يثبتهـم في حكـم مقاطعاتهـم، معـولاً عـلى اصطناعهـم أدوات للحكـم العثمانـي، وتعهدهـم بمـال معـين يدفـع لخزينـة الدولـة؛ وهـذا مـا رسّـخ للنظـام الإقطاعـي في بـلاد الشـام ولا سـيما سـوريا، حتـى أصبـح أحـد المقومـات الأساسـية في الحيـاة السياسـية والاجتماعيـة في العـصر الحديـث؛ وقـد كان السـلطان العثمانـي يسـوس النـاس بقضيـب مِن حديد، ويحكم أفواه الأحرار، ويحطم أقلام المفكرين .

وبعـد خلـع السـلطان عبـد العزيـز الـذي كان يحكـم ولايـة سـوريا بسـبب تخليـه عـن التمسـك بالقوانـين والأنظمـة، أتـى السـلطان عبـد الحميـد الثانـي معلنـاً نظـام الخلافـة، وذلـك بإقامـة «الجامعـة الإسـلامية» واسـتقطاب الشـخصيات الإصلاحيـة الدينيـة، وكان

يهدف مِن ذلك المحافظة على ولاء العناصر المسلمة غير التركية داخل الإمبراطورية العثمانية؛ ولكنّه أيضاً تخلى عن سياسته، واستبد بالحكم وأضرم الكثير مِن الصراعات، كما فرض حالة مِن الإرهاب وعمَّ الفساد والخراب في الإقليم كله، حتى لُقب بالسلطان الأحمر .

أمّا منطقة لبنان فقد كان عليها الأمراء الشهابيون الذين في عهدهم استكمل النظام الإقطاعي هيكله الأساسي، فقد كانت قاعدته تتكون مِنْ عامة الشعب، وهُم يمثلون أدوات الإنتاج، ويخضعون في المقاطعات المختلفة لبيوت ارستقراطية يعرف زعماؤها «بالمشايخ»، وفوق هذا البناء الإقطاعي كله يقيم الأمير الشهابي صاحب القوة المطاقة، وهو بقوته العسكرية الإقطاعية يقاوم خصومه .

وبعد أنِ احتل إبراهيم باشا بلاد الشام (1831م – 1840م ) شجع البعثات الدينية الإدارية الأوربية والأمريكية على الإقامة في تلك البلاد، وقد وطّد مركزهم وصار لهم نفوذ عظيم بين الطائفة المارونية في لبنان، ولم تقتصر أعمالهم على الجانب الديني فقط؛ بل عملوا على تمكين السياسة الفرنسية في بلاد الشام، أمّا بريطانيا فقد انتفعت بصداقتها مع زعماء عشائر «الدروز» جنوب لبنان، الأمر الذي جعل المسلمين يتحدون سياسته التي اتبعها لإشعال الثورة ضده، حتى اضطره الأمر لفرض التجنيد الإجباري لزيادة أفراد جيشه، وكذلك فرض ضرائب تعسفية تجبى مقدماً عن سبع سنين، ونزع سلاح اللبنانيين خوفاً مِن المقاومة.

لذا كانت الأعوام الواقعة بين سنتي (1804م و 1860م ) تمثل أعوام الحرب الأهلية بين الدروز والنصارى والتي انتهت بمذبحة 1860م، وعلى إثر هذه المذبحة تدخلت الدول الأجنبية، فأرسلت فرنسا حملة استولت على بيروت، فما كان على السلطان العثماني إلا وأنْ أرسل وزيره «فؤاد باشا» فاتفق مع فرنسا وتم وضع القانون الأساسي عام 1861م وعدل عام 1864م ليعين بموجبه حاكم متصرف، يُعيّن بواسطة الدول الكبرى وهي: فرنسا، وإنجلترا، وروسيا، والنمسا، وإيطاليا .

ثُمَّ ازداد النشاط السياسي لتلك الدول الأجنبية لإضعاف الدولة العثمانية مِن الداخل، خاصة في عهد السلطان «سليمان القانوني»، وخاصة بعد أنْ تقرر في مؤتمر برلين عام 1878م منح الدول الأجنبية حق حماية الطائفة المرتبطة بها في المذهب في تلك المناطق ؛ وكانت الدول الأوربية تشجع المسيحيين على الهجرة والتخلص مِن النير التركي الصفيق، وتهيئ لبعضهم الوسائل والسبل لمغادرة الأقطار التي يسيطر العثمانيون عليها، ويسعون لتتريكها بالحديد والنار .

ويـرى أوغسـت أديـب باشـا – مؤلـف كتـاب لبنـان بعـد الحـرب- أنّ «القانـون الأسـاسي» هـو السـبب الأول في مهاجـرة آلاف اللبنانيـين، لأنّـه حـصر منطقـة جبـل لبنـان في حـدوده الحاليـة، ولـو وضـع هـذا القانـون عـلى قاعـدة العـدل والسياسـة لضمـن إلى لبنـان الأراضي والثغـور البحريـة التـي هـي ملكـه مِـن أوجـه كثـيرة ، ويـرى كثـيرون أنّ هـذا القانـون قوبـل بسـخط شـديد ومِنْهـم دكتـورة نـادرة سرّاج، فتقـول: «إنّ القانـون الأسـاسي الـذي منـح لبنـان فيمـا بعـد الاسـتقلال الذاتـي، أنتـج ثـورة 1860م التـي أوجـدت البـذور الأولى للوعـي القومـي العربـي وتفكـير عـدد مِـن الشـباب العربـي في تخليـص بلادهـم مِـن الحكم العثمانـي، وبلـورة بـذور الوطنيـة مـع مـرور الزمـن، وإنشـاء الجمعيـات السريـة والعلنيـة المناهضـة للقوميـة التركيـة» ؛ وقـد عـبر شـعراء المهجـر عـن ذلـك في كثـير مِـن أشـعارهم، فهاهو الشاعر نجيب حداد يدعو إلى التخلص مِن السيطرة العثمانية، فيقول:

**آنَ الأوانُ أنْ أُخاطِـرُ بالْـدمِ * مَـنْ لـمْ يُخَاطِـرْ بالـدِّمِ لـمْ يَسْـلم**
**أَجَزِيـرةُ الْعُـربِ التِّـي أحْببتُهـا * كَـمْ مِـنْ أكـفٍ قـدْ رَمتْـكِ بأسْـهُم**[3]

وظـلّ الحـال عـلى هـذا المنـوال، والحكـم العثمانـي يتطـور مِـن سـيئ إلى أسـوأ، والأيـادي الأجنبيـة تعبـث بالبـلاد، والجهـل مـرخٍ سـدوله عـلى المنطقـة؛ بالإضافـة إلى بواعـث الكُـرْه المتأصلـة في نفـوس الشـعب ضـد الحكـم التركـي، والثـورة المكبوتـة التـي لـم تتـح لهـا الظـروف أنْ تتفجـر، الأمـر الـذي دفـع بـذوي النفـوس التواقـة للحريـة، أنْ يلتمسـوا لأصواتهـم الحبيسـة وأفكارهـم السـجينة منـبراً حـراً، فلـم يجـدوا بـداً مِـنْ هجـر أوطانهـم إلى أوطان أخرى يلتمسون فيها الحرية والفضاء الرحب .

إذن الهجـرة مِـن بـلاد الشـام خاصـة مِـن سـوريا ولبنـان إلى أمريـكا لـم تكـن في مجموعهـا إلاّ فـراراً مِـن سـوء الحالـة السياسـية في الأوطـان، والالتجـاء إلى كنـف الحريـة، وهـذا مـا أكـده الشـعراء المهجريـون أنفسـهم عـبر سـطورهم الأدبيـة وأشـعارهم، فهـا هـو الشـاعر «شكر الله الجر»، يقول:

**إيـه لُبْنـان يَشْـهَدُ اللـهُ أنّـا * مَـا هَجرْنـاكِ عَـلى قـلىً وصَلابَـة**
**إنّمَـا أصْبـحَ المَقـامُ بـأرضٍ * الأرزِ لِلحـرّ ذِلـةً ومَعـابَة**
**كَيْـفَ لا يَهْجـرُ الأبـيّ مَكانـاً * ملأ اليـأسُ جَـوّه ورحَـابَه؟**[4]

نلاحـظ في الأبيـات السـابقة أنّ الشاعر«شـكر اللـه» يـبرر هجرتـه وتـرك وطنـه العزيـز

---

(3) نجيب سليمان حداد ، ديوان تذكار الصبا .

(4) شكر الله الجر ، ديوان الروافد .

بسبب وطأة المستعمر وجثومه على صدره، مما جعل الحياة مليئة بالذل والهوان، واستحالت إلى يأس وقنوط، وقد استغل الشاعر إيحاءات الألفاظ لتصوير هذه الحياة البائسة الذليلة في ظل الاستعمار، وتأمل لفظة «أصبح» التي ترمز إلى واقع مؤلم، ومستقبل مجهول لأهل لبنان، وتأمّل لفظة «الحر» فقد أوحت بالتمرد والعصيان على «الذل»، وعدم قبول حياة الضيم، وجاء بالاستفهام (كيف) وهي تأتي للسؤال عن الحال، وقد تأتي بمعنى «التعجب»(؛ والاستفهام يتضمن إنكاراً لفعل الإقامة في الوطن، كما يدعو الشاعر إلى تأمل الواقع السياسي في «لبنان» المحتل.

**ثانياً- الدافع الاقتصادي:**

كان المستوى الاقتصادي في بلاد الشام متأزماً، فنظام الإقطاع الذي كان سائداً أثّر أثراً كبيراً في أحوال البلاد الاقتصادية، فقد كان الفلاحون عُرضة في معظم الأوقات لظلم صاحب الأرض الإقطاعية الذي كان يستحل أتعابهم، ويسومهم سوء العذاب إنْ عصوا، ومِنْ ناحية أخرى كان الفلاحون يعتمدون على الأساليب البدائية والتقليدية في الزراعة في جميع مراحلها وطرق ريّها، ممّا أدى إلى تناقص الأرض الصالحة للزراعة، وقلة الإنتاج والإنتاجية[5]؛ هذا بجانب الضرائب التي كانت تجبى بطرق مختلفة ولغايات متنوعة مِن إعانة وسكة حديد وابتناء أسطول وغيرها مِن الأسباب التي لم يستطع الفلاح التخلص مِنْها، فكان يدفعها مرغماً ويؤديها صاغراً سواء كانت للحكومة أمْ لسادته الإقطاعيين[6].

وكذلك الحال في الصناعة «كصناعة النسيج والحرير وغيرهما»، فقد تم احتكارها مِن قبل الحكام والسلاطين، بالإضافة إلى عدم تشجيع الحكومة التركية على أعمال الصناعة بمختلف أنواعها[7].

وعامل «الاستدانة» هو الآخر كان له أثر كبير في إضعاف الصانع والفلاح، حيث انتشرت بكثرة في البلاد تصفية المصانع وبيع الأراضي، والتوجه للمهاجر انتجاعاً للرزق وسداً للعوز ودفعاً للفاقة[8]؛ وعن ذلك يقول جورج معلوف: «لقد جئنا المهاجر مستنجدين مسترزقين»، ويقول إيليا أبو ماضي مسوغاً لهجرته:

---

(5) الخوري باسيليوس خرباوي ، تاريخ الولايات المتحدة منذ اكتشافها إلى الزمن الحاضر ويليه تاريخ المهاجرة السورية وما يتعلق بها ، (د.ط) ،1913 ، نيويورك ، ص 765.

(6) نادرة جميل سّراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص 4

(7) المرجع السابق ، ص 44.

(8) إحسان عباس ومحمد يوسف نجم ، الشعر العربي في المهجر، ط3،1982، دار صادر ، بيروت، لبنان، ص 14.

أَرْضُ آبَائِنا عَلَيْكِ سَلامٌ * وسَقَى اللهُ أنْفُسَ الآبَاءِ
مَا هَجرْناكِ إذْ هجرْناكِ طوعاً * لا تَظُنّي العقوقَ فِي الأَبْنَاءِ
ضُعَفاء مُحْقَرُون كأنّا * مِنْ ظَلامِ والنّاسُ مِنْ لألاءِ[9]

ويقول إيليا أبو ماضي أيضاً:

لُبْنَانُ لا تَعذلْ بَنِيكَ إذا هُمُ * ركِبُوا إلى الْعلياءِ كلّ سَفِينِ
لمْ يَهْجِرُوكَ مَلالةً لكنّهُم * خُلقُوا لِصَيدِ اللُّؤلؤ المَكنُونِ[10]

فإذا أضفنا إلى هذه العوامل الاقتصادية عاملاً آخراً وهو نمو السكان وازدياد عددهم بتوالي السنين، استطعنا أنْ نقدر تلك الحاجة الشديدة التي شعر بها المهاجرون والتي دفعت بهم في موجات متلاحقة إلى خارج بلادهم طلباً للرزق وسعياً وراء لقمة العيش[11].

بلا شك أنّ الظروف الاقتصادية السيئة كانت دافعاً وباعثاً أساسياً في هجرة السكان مِن بلادهم على حد تعبير الأستاذ أنيس المقدسي، فيقول: «وكان الباعث الأكبر على المهاجرة هو اختلال الأوضاع الاقتصادية في السلطة العثمانية بفساد الحكومة الاستبدادية حتى تضعضع الزمن وسادت الفوضى، ودَرَسَ العلم، وتفلت المعيشة »[12].

وقد كان هذا الوضع سبباً ودافعاً قوياً لهجرتهم، صوره كثير مِن الشعراء المهجريين؛ مِنهم الشاعر مسعود سماحة، فيقول:

سَأضْرِب فِي الأَرْضِ لا خَائِفاً * مِن البرّ أوْ لُججِ الأبْحرِ
وَأنْزلُ فِي بَلَدٍ دُونَه * سُمو الْمَرّةِ والْمُشْترى[13]

يقول «توفيق ضعون» وهو أحد المهاجرين: «إنّ الذين غادروا سوريا، إنّما نزحوا مِنها هرباً مِن الفقر والجوع، وقد أمّوا هذه البلاد وسواها لكي يجمعوا ما يمكنهم بعضه مِن العيش بهناءة، ويشتري لهم البعض الآخر نصيباً مِن العدل والحرية»[14]؛ يقول الأستاذ محمد كرد على: «والذي ظهر مِن قرائن الأحوال أنّ ابن لبنان أول

(9) ديوان إيليا أبي ماضي، تحقيق عفيف نايف حاطوم ، ط1، 2010، دار صادر، بيروت، لبنان ، ص 32 .

(10)- المرجع السابق ، ص 432.

(11) نادرة جميل سّراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص 45.

(12) أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ط2،1977، دار العلم للملايين، بيروت ، ص 112.

(13) ديوان مسعود سماحة، مطبعة جريدة السمير، 1938، بروكلين، نيويورك ، ص47.

(14)- حسن جاد حسن ، الأدب العربي في المهجر، ط1،1965 ، دار الطباعة المحمديّة ، القاهرة ، مصر ، ص 7 .

فــلاح ســوري هاجــر إلى أمريــكا، مجذوبــاً بمــا أشــتهر عــن القــارة الأمريكيــة مِــن الغنــى...»[15]؛ فالفــلاح الــذي لا تعــرف قــدره اللحــم إلّا مــرّة في العــام، وغرفتــه المظلمــة تضيــق بالــزوج والأولاد والبهائــم، ورزقــه مبــاح للحاكــم ولرجــل الديــن، يســمع الأخبــار عــن بــلاد بعيــدة تــدر الخــيرات وتؤمــن الحريــات، فتنتابــه رعشــة تــسري في مفاصلــه، وتجعله كالمحموم يهذي بكلمة «الهجرة» ويعلق عليها كل أمانيه»[16] .

مِـنْ هنـا نـرى أنّ السـبب الاقتصـادي يُعَـدُّ العامـل الأهـم والأقـوى لهجـرة هـؤلاء الأدبـاء والشـعراء وعامـة النـاس – آنـذاك – إلى العالـم الجديد(الأمريكتـين)، حيـث الفقـر والحرمـان همـا مصـير الكثـير مِـن السـكان، وإهمـال الزراعـة والصناعـة وشـتى مرافـق الحيـاة، لـم ينفـع في مداواتهـا جهـد ولا نشـاط، في وسـط رجعـي النزعـة وفي ظـل حكومـة غاشـمة، تستحل الأرزاق، وتهدد الأرواح .

**ثالثاً– الدافع الديني:**

تنوّعـت الأقليـات في بـلاد الشـام في العهـد العثمانـي، فـكان هنـاك عـدد مِـن العصبيـات الإقطاعيـة والطوائـف الدينيـة تمثلـت في الـدروز والنصيريـة والبـدو، وطوائـف غير إسـلامية مثـل الـروم والأرثوذكـس، وطائفـة الأرمـن، والكاثوليـك، والموارنـة، وطائفـة اليهـود الذيـن كانوا متمركزين في دمشق.

فهـذا التنـوع الدينـي كان لـه دور مؤثـر تمثـل في الاضطهـاد الدينـي والتضييـق عـلى الأقليـات، والعصبيـات التـي أشـعلتها السياسـة التركيـة بـين أبنـاء الإقليـم الواحـد، بالإضافة إلى اسـتخدام سياسـة «فـرق تسـد»، وبسـبب هـذه السياسـة الخرقـاء جـرت مذابـح دمويـة هائلـة، ومجـازر بشريـة، كمذبحتـي ( 1840م ، و1860م ) ، وغيرهمـا مِـن المذابـح العنيفـة، وهـذا مـا اسـتقلته الدولـة العثمانيـة والأجانـب بإثارتهـم للفتـن لتحقيـق مطامـع سياسـية، حيـث كان الانجليـز وراء الـدروز، والفرنسـيون وراء الموارنـة، ولـم يكـن جبـل لبنـان يعـرف هـذا النـوع مِـن الـصراع قبـل تدخـل فرنسـا وبريطانيـا؛ ومِنْهـم مَـنْ يـرى أنّ الانقسـام الطائفـي بـدأ بحـوادث فرديـة مـا لبثـت أنْ شـاعت عـلى أثرهـا لبنـان وتعـدي إلى سـوريا عام 1860م؛
وقـد اعـترف بهـذا الأمـر والي الشـام في قولـه: «في سـوريا آفتـان همـا المسـيحيون والـدروز، فكلما ذبح أحدهما الآخر استفاد الباب العالي»[17].

إلّا أنّ المعـاصر «أنطـوان ضاهـر» ذكـر أنّ السـبب المبـاشر لهـذه المذابـح، كان الخـروج عـلى

(15) المرجع السابق ، ص 8 .

(16) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ط3، د1964 ، ار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ص 32.

(17) وليم الخازن ، الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية، دار العلم للملايين ،(د.ط)، 1992، بيروت، لبنان، ص 392.

مشـايخ الـدروز الإقطاعيـين، وعـلى رؤسـاء الإقطـاع النصـارى، فقـد عـصى الـدروز أُمراءهم الشـهابيين وأنّ الموارنـة أيضـاً ثـاروا ضـد آل الخـازن الإقطاعيـين، بغيـة التحـرر مِـن الفسـوق والظلـم، فأخـذ هـؤلاء المشـايخ يضطهـدون الأهـالي ويوقعـون الفتـن بـين الطوائف المختلفة، مستغلين الشقاق الذي بينهم[18].

ولـم يقـف هـذا الـصراع الطائفـي عنـد هـذا الحـد، بـل أخـذ طابعـاً دينيـاً، حيـث دعمت الدولـة العثمانيـة المسـلمين عـلى حسـاب الطوائـف الأخـرى، وكان ذلـك في الخدمة العسـكرية والوظائـف الإداريـة والقضائيـة التـي كانـت لا تـزال مقصـورة عـلى المسـلمين، فـازداد ارتبـاط الطائفـة المسـيحية بالـدول الأجنبيـة حيـث أنشـئت لهـم المـدارس والمستشـفيات والكنائـس والأديـرة، ونشـطت الإرسـاليات التنصيريـة والجمعيـات الخيريـة؛ وقـد كان لهـذا الـصراع والاضطهـاد دافـع وباعـث لهجـرة هـؤلاء المهجريـين، الذيـن سـمعوا أنّ الفـرق شاسـع بـين حريـة الأديـان في العالـم الجديـد، وبـين التعصـب الدينـي في أوطانهـم؛ وقـد أبـدى كثـيرون اسـتغرابهم لهـذا التعصـب الأعمـى، مِنهـم «محمـد عبـد الغنـي»، إذ يقـول: «فالنـاس جميعـاً في نظـر الإنصـاف والتقديـر السـليم والسـماحة والمعنـى الإنسـاني الواسـع الكريـم متسـاوون أمـام اللـه، فـلا وجـه لإثـارة الخـلاف الدينـي والتعصـب المذهبـي بينهم؛ وكل دين يفرق بين الناس، أو يقيم بينهم أسباب الخلاف ليس بشيء[19].

وهـذه النظـرة السـمحة الواسـعة إلى الديـن مـع كراهـة التعصـب، كانـت مِـن الدوافـع والأسـباب القويـة لهجرتهـم لتلـك البـلاد النائيـة، فالشـاعر محبـوب الخـوري الشرتونـي يقول:

**كُلُّ شَـعْبٍ فَشَـا التَّعَصُّـبُ فِيـه * هَـانَ ، والْمَـوْتُ مِـنْ وَراءِ هَوانِـه**[20]

ويقول في قصيدة أخرى:

**قَالُـوا: تُحِـبُّ العُـربَ قُلْـتُ أُحِبّهُـم * يقْـضِي الْجِـوارُ عَـليّ والأرحَـامُ**
**قَالُـوا : الدّيَانَـة قلْـتُ جِيـلٌ زَائـلٌ * وتَـزولُ مَعَـهُ حَـزازةٌ وَخِصَـامُ**[21]

حـاول أدبـاء وشـعراء المهجـر بعـد هجرتهـم أنْ يعالجـوا قضايـا التعصـب الدينـي، الـذي تعرضـوا لـه؛ فالمتأمـل في دواوينهـم وأشـعارهم كثـيراً مـا يجـد شـاعراً مسـيحياً يشـيد بالإسـلام وبمحمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم، كمـا نجـد شـاعراً مسـلماً يشـيد بالمسـيح عليـه السلام، وبمحبة المسيح وحبه للسلام، ومِن ذلك ما قاله الشاعر رشيد أيوب:

(18) نادرة جميل سراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص 30 .

(19) محمد عبد الغني حسن ، الشعر العربي في المهجر، ص 44 .

(20) ديوان الشرتوني ، ط نيويورك ، 1937 ، ص 140.

(21) المرجع السابق ، ص132.

فَمَــنْ يَــا تــرَى أعَــلَى الْـورَى كمُحَمَـدٍ ❊ وأرفَعهُــم مَجْـداً ، وأســمَى مَناقِبــا[22]

ويقول رشيد أيوب أيضاً:

أُصَـــلِّي لِمُـــوْسَى وأعبُـــدُ عِيْـــسَى ❊ وَأَتْلُـــو السَّـــلامَ عَـــلَى أَحْمَـــدَ[23]

**رابعاً- دوافع اجتماعية ونفسية:**

إذا رجعنــا للتاريــخ ونظرنــا إلى بــلاد الشــام نجــد أنّهــا كانــت أسـبق البــلاد الشرقيــة إلى قبــول المبشريــن الأجانــب مِــن بــلاد الغــرب، مِمَّــن كانــوا يقصــدون بــلاد الــشرق لأســباب سياســية ودينيــة واجتماعيــة، فالــدور المبــاشر وغــير المبــاشر الــذي لعبــه هــؤلاء المبــشرون في الترغيــب في الهجــرة، والحــث عليهــا وتحبيــب البــلاد الأجنبيــة إلى نفــوس النــشء مِمَّــن تعلمــوا في مدارســهم، كان لــه بالــغ الأثــر في هجــرة المهاجريــن، بالإضافــة إلى مــا كانــت تــرد إليهــم في الوقــت نفســه مِــن أخبــار عــن العالــم الجديــد عــبر مــا يبثــه الســياح والمبــشرون، وشركات الملاحة المختلفة مِن دعاية للغرب مِن المواني اللبنانية؛
كذلــك نجــد المعــارض التّــي أُقيمــت في أمريــكا منــذ أواخــر القــرن التاســع عــشر، كمعــرض فلاديفيــا (1879م)، والمعــرض الكولومبــي(1893م)؛ حيــث اجتذبــت هــذه المعــارض كثــيراً مِــن الشــاميين لبيــع مــا جــاءوا بــه مِــن بلادهــم مِــن مصنوعــات وطرائــف، ثــم عودتهــم بالثراء الذي استرعى انتباه إخوانهم في الوطن.

وقــد لعبــت حكومــات الــدول الأجنبيــة دوراً كبــيراً في تشــجيع الشــاميين للهجــرة مِــن خــلال تنشــيط المهاجــر إليهــا توســلاً لاســتثمار أراضيهــا الزراعيــة الواســعة، واســتنبطت وســائل فريــدة لاجتــذاب الســواعد القويــة والفتيــة، وفتحــت أبوابهــا للمهاجريــن العــرب، بالإضافــة إلى ذلــك مــا كان يســمعه الأهــالي في بلادهــم عــن أمريــكا أرض الغنــى، ومــا شــاع عــن اكتشافات مناجم الذهب في مناطق متفرقة فيها؛
وأمــام كل تلــك المغريــات والبواعــث المشــجعة، لــم يجــد الشــاميّون مــا يمنعهــم مِــن تــرك بلادهــم غــير نادمــين عــلى مــا فيهــا مِــن فقــر وظلــم وقســوة؛ وعــن ذلــك الدافــع، يقــول الشاعر المهجري مسعود سماحة:

سَـــــلَامٌ عَلَـــى أَرْضِ كُولُمْبُـــس ❊ سَـــلَامٌ عَلَـــى رَبْعِهَــا الأَزْهَــر[24]

---

(22) رشيد أيوب،الأعمال الشعرية الكاملة ، تقديم دكتورميشال جحا، ط1، 1985، دار بيسان للنشر، بيروت، ص45.

(23) رشيد أيوب ، ديوان الأيوبيات، ط نيويورك، ص14.

(24) ديوان مسعود سماحة، مطبعة السمير، نيويورك، 1938.

**خامساً- دوافع أخرى:**

بالإضافة إلى تلك الأسباب التي كانت دوافع رئيسة لهجرة المهاجرين العرب إلى بلاد أمريكا، أو كما كان يطلق عليها «العالم الجديد» عثرنا على أسباب أخرى لا تقل أهمية عن تلك التي ذكرناها يمكن أنْ نجملها في الآتي:

**أ/ دوافع تاريخية قديمة:**

ليس النزوح عن الوطن بجديد على الشاميين «اللبنانيين والسوريين»، فهم ورثة الفينيقيين الذين كان دأبهم الحل والترحال والتجوال في آفاق الأرض، وهم الذين جابوا البحار منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد، واحتكروا الملاحة وحفظوا أسرارها، وتاجروا في كل البضائع، فلا غرابة أن نجد ذلك لدى أحفادهم، فالغريرة التجارية التي ورثها السوري مِن أسلافه الفينيقيين، وفقر بلاده، والأحوال السياسية فيه حملته إلى أقطار المعمورة»[25]، بالإضافة إلى ذلك، طبيعة لبنان أودعت مزاج أهله إلهاماً وطموحاً، ومِن طبع اللبناني أنّه نزّاع إلى الرحلة والسفر، رائداً للرزق تحت كل شمس»[26]، واللبناني في داره كالمارد المكبوت، يتململ في قمقمه، وينفلت مِنه حال ما يتاح له الانفلات»[27]، فلا يضير الشاميّ أنّ يهاجر إلى أيّ مكان يستطيع أنْ يرى فيه اليسر والرخاء والأمن على النفس والمال، وما نشهده اليوم مِن موجات لهجرة الشاميين خاصة السوريين إبان ثورات «الربيع العربي»، وتردي الأوضاع السياسية والاقتصادية في بلادهم، يؤكد تلك الغريزة الموروثة لديهم في المهاجرة، فقد وصلت موجات المهاجرين الفارين مِن ويلات الحروب والقمع السياسي إلى معظم دول العالم بما فيها السودان.

وقد عُرف عن السوريين واللبنانيين ميلهم الطبيعي للمخاطرة وركوب الصعاب والأهوال، في سبيل العيش والكسب، وهو أمر مرتبط كذلك بإرثهم التاريخي القديم؛ وقد صور الشاعر المهجري «مسعود سماحة» تلك المراحل المضنية وركوب الأهوال والمخاطر في سبيل الهجرة، فقال:

**كَمْ طَوَيْتُ الْقفارَ مشْياً وحِمْلِي ❋ فَوْقَ ظَهْري يَكادُ يقْسم ظهْرِي**
**كَمْ قَرَعْتُ الأبوابَ غَيْر مبالٍ ❋ بِكلالٍ أو قُرّ فصلٍ وحرّ**
**كَمْ وَلجْتُ الغاباتِ والليلُ داجٍ ❋ وَوميضُ الْبروقِ شَمسِي وبدْرِي**
**كَمْ تَوسدْتُ صَخرةً وذِراعِي ❋ تحْتَ رأْسِي وخِنْجرِي فوقَ صدْرِي[28]**

(25) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر ، ص 7 .

(26) نادرة سّراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 48.

(27) المرجع السابق، ص 48.

(28) ديوان مسعود سماحة، ص44.

**ب/ دافع الصدفة :**

الشاعر «رياض المعلوف» يرجع أسباب هجرته وهجرة آخرين لعامل «الصدفة»، وذلك في رسالة أرسلها إلى دكتور صابر عبد الدايم، مجيباً عن سؤاله حول البواعث التي دفعته إلى الهجرة والثمرات الأدبية والروحية التي أنضجتها تجربة الغربة، فقال: «هي الصدفة ليس إلا ...»[29])؛ ولعلّ تأخر هجرة الشاعر رياض المعلوف وما هو فيه مِن رغد العيش وظروف نفسية مستقرة، جعلت الهجرة لديه صدفة ليس إلّا!، يقول عيسى الناعوري: «أمّا المصادفة المحضة التي قضت بأنْ ينضم رياض المعلوف إلى شعراء المهجر الأمريكي، فهي أنّه قد غادر الشرق عام 1938م، قاصداً إلى باريس ونيويورك لأجل النزهة، وقد طالت سياحته قليلاً إلى أنْ أدركته الحرب فقطعت عليه سبيل العودة إلى بلاده، فاضطر إلى السفر إلى البرازيل، وأصبح ضمن أعضاء المجمع العلمي البرازيلي، وفي نادي القلم الدولي»[30].

**ج/** ويضاف إلى تلك العوامل عامل آخر، هو سهولة الهجرة إلى تلك البلاد النائية: فلم تكن هناك قيود على الهجرة والمهاجرين إليها، وليس هناك في قوانينها ما يقيد حرية المهاجر في اختيار العمل الذي يريده، وفي شق طريق الحياة بالوسائل التي يختارها، ففرص الغنى والثراء كانت في هذه المهاجر البعيدة كثيرة ومواتيه، فأراضيها فسيحة، والسكان قليلون، وشتى مرافق الصناعة والتجارة والزراعة فيها في حاجة شديدة إلى الأيدي العاملة الكثيرة «[31].

**د/** ويذكر فيليب حِتّى في كتابه «السوريون في أمريكا» ضمن أسباب الهجرة ما سماه: قوة القلم، ويعني به: الوصف الذي وصف به المهاجرون الأوّلون البلاد التي هاجروا إليها، والحديث عن حياتهم الجديدة ومعاملة الناس لهم؛ فكان حديثاً صوروه بأقلامهم ليبعث في نفوس مِن تخلفوا عن الهجرة الأمل، وحب التقليد لمَن سبقوهم إلى العالم الجديد؛ فهذه الرسائل والأخبار كان لها أثر في تشجيع مَنْ لم يهاجر بعد على الشروع في المهاجرة واللحاق بمَنْ سبقه مِنْ أهله وعشيرته.

وقد أجملت الدكتورة نادرة جميل سرّاج أسباب الهجرة بوجه عام في كتابها «شعراء الرابطة القلمية»، حيث تقول: «لا أرى بأساً في أنْ أقسم الأسباب كما قسمها بعض الكُتّاب الذين طرقوا موضوع الهجرة وبحثوا فيها، - أمثال ميشال شلبي المحامي- إلى فئتين:

الفئة الأولى- الأسباب الدافعة، المتأتية مِن ذات البلاد اللبنانية مثل الفقر، وجدب المواسم، ووفرة المواليد، وظلم الحكومة، وفساد وسوء الإدارة.

(29) صابر عبد الدايم ، أدب المهجر، ، ط1، 1993 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص 27 .

(30) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص555.

(31) محمد عبد المنعم خفاجي ، قصة الأدب المهجري، ص 16 .

الفئة الثانية- الأسباب التي سموها أسباب جاذبة حببت إلى المهاجر أرض الغربة بما فيها مِن رغد العيش والحرية والكرامة؛ وهونت عليه ركوب الأخطار وشق أغوار البحار».

وإذا تتبعنا دواوين الشعراء المهاجرين ومؤلفات الأدباء منهم، لاستطعنا أنْ نجيب عن أسباب الهجرة الحقيقية مِن أفواه المهاجرين أنفسهم، وذلك مِن خلال ما صوره شعراً وأدباً، وهي تقريباً نفس الأسباب والبواعث التي ذكرها مؤرخو الآداب والباحثون؛ فها هو أحد المهاجرين يقول: «نحن جئنا المهاجر مستجيرين مسترزقين»[32]، ونجد الشاعر «مسعود سماحة» يعلل لنا سبب هجرته بقوله:

**سَأتركُ أَرْضَ الْجُدودِ فَفِيهَا * حَيَاةُ الْجَبانِ وَمَوْتُ الْجرِئ**
**سَأضربُ فِي الأرضِ لا خائفاً * مِن البرّ أو لُججِ الأبحرِ**
**وَأنزِلُ فِي بَلدٍ دُونه * سُمو الْمجرةِ والْمُشترى**[33]

أمّا الشاعر «شكر الله الجر»، فكان يراوده الأمل في الحرية وفي الغنى، ويتمنى أنْ يجد ما كان يرجوه مِن هجرته، فيقول[34] :

**فَيَا لَيْتَ شِعْرِي ! أيحظَى الْمُهاجِـ * ـرُ فيما يرجيّه مِن هِجرته ؟**

على أنّ الهجرة في نظر الشاعر «إيليا أبو ماضي»، لا تختلف عن نظرة «شكر الله الجر»، فيقول أبو ماضي:

**لُبْنانُ لا تعذلْ بنيكَ إذا هُمُ * ركِبوا إلى العلياء كل سَفِينِ**
**لَمْ يَهجِروكَ مَلالةً لكنّهم * خُلِقُوا لِصيْدِ اللُؤلؤِ المَكنونِ**
**لمّا وَلدتْهُم نُسُوراً حَلّقُوا * لا يقنعون مِن العُلا بالدونِ**
**والنّسْرُ لا يرضَى السّجونَ وإنْ تكن * ذَهباً فكيفَ مَحابِس مِن طينِ**[35]

والشاعر «نسيب عريضة» يعلل هجرته إلى العالم الجديد، بحثاً عن وطن عزيز يطلب فيه الحرية المثلى، فيقول:

**غَريباً مِنْ بلادِ الشرقِ جئتُ * بعيداً عَنْ حِمَى الأحبَابِ عِشْتُ**
**تخَذْتُ ( أمريكا ) وَطناً عزيزاً * فكانتْ لِي كأحسَنِ مَا اتخذتُ**

(32) البدوي الملثم، الناطقون بالضاد في أمريكا الجنوبية، ج2، (د.ط)، 1956، دار ريحاني، بيروت، لبنان، ص 29.

(33) ديوان مسعود سماحة ، ص 47 .

(34) محمد عبد الغني حسن، الشعر العربي في المهجر، ص 24 .

(35) ديوان إيليا أبو ماضي ، شرح حجر عاصي ، ط1، 1999 ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ص 391 .

أَتَاهـــا لِلغنَـــى غَـــيْرِي وإنّـــي * كَمـــا جَـــاءوا مَـــعَ الأقـــدامِ جئـــتُ
وَلكنّـــي طَلَبْـــتُ بِهَـــا حَيَـــاةً * مـــعَ الْحُريـــةِ المُثـــلى فنِلـــتُ[36]

ولعلنا نرى في الأبيات الآتية التي كتبها الشاعر المهجري «توفيق حسن الشرتوني»، تصويراً لكل تلك العوامل والأسباب، ومشجعاً بني وطنه للمهاجرة وترك الديار، قائلاً:

لا الْـــرزقُ في تربـــةِ الأوطَـــانِ يُغْنينـــا * ولا توطّـــنُ أرضِ الغـــيرِ يُرضينـــا
فِي أربـــعِ الأَهْـــلِ بُـــؤسُ الْعَيـــشِ يُؤلمُنـــا * وفِي الْمهاجِـــرِ نَـــارُ الوجـــد تكوينـــا
لـــوْ أنّ لبْنـــان فِيـــه الْعَيْـــشُ مُنْبســـطٌ * لَمـــا ابْتغَينـــا نُزوحـــاً عَـــنْ أَراضِينـــا
مَـــا في البـــلادِ مشَـــاريعٌ معـــزّزةٌ * تُحْيـــي الْبـــلادَ بإنتـــاجٍ وتُحْييِنـــا
وَلا الْمعَامِـــلُ لِلعُمـــالِ كافيـــةٌ * ولا الزِراعـــةُ فِي لبْنـــان تكْفِينـــا
دَاءُ التّغـــرّبِ مِـــنْ بُـــؤسٍ ومِـــنْ عَـــوزٍ * فِي مَوْطـــنِ الأرز قـــدْ أعيـــا الْمُداوينـــا
فَـــلا النّســـيمُ بلَيـــلاً فِيـــه يُشْـــبِعنا * ولا القـــراحُ رَســـيلاً فِيْـــه يرْوِينـــا
هبّـــوا بنـــي وطَنـــي فـــالأرضُ واسِـــعةٌ * ومـــا المَغانِـــي التـــي اعتلّـــتْ مَغَانِينـــا

ومِـــن هنـــا نـــرى أنّ هجـــرة أبنـــاء العـــرب كانـــت في وقتهـــا ضرورة، ولا مهـــرب مِنهـــا في تلـــك الظـــروف الخاصـــة، وأنّهـــا كانـــت دوافـــع كافيـــة لأنْ يـــترك المهجريـــون أوطانهـــم؛ في ســـبيل التمـــاس الحيـــاة الكريمـــة، والحريـــة، وفـــراراً مِـــن الضغـــوط السياســـية والدينيـــة والاقتصادية، التـــي أدّت إلى فقـــر البـــلاد، واختنـــاق الحيـــاة فيهـــا، ولا ســـيّما أنّ كل تلـــك التقييـــدات الماديـــة والمعنويـــة لـــم يفلـــح المهجريـــون في مقاومتهـــا أو التحـــرر مِنهـــا، فمـــا كان أمامهـــم إلّا هجـــر البـــلاد، والبحـــث عن بـــلادٍ أخـــرى يمارســـون فيهـــا الحريـــة في أقوالهـــم، وأعمالهـــم، ويتنفســـون فيها عبير العزة والكرامة.

(36) نسيب عريضة ، ديوان الأرواح الحائرة ، ص 20 .

## المبحث الثاني

# قوافل المهاجرين وروابطهم الأدبية

بالرجـوع إلى مؤلفـات مَـنْ حاولـوا تدويـن تاريـخ الهجـرة السـورية إلى العالـم الجديـد نجدهـم يختلفـون في مَـنْ هـو أوّل مَـنْ هاجـر مِـن بـلاد الشـام إلى الديـار الأمريكيـة أولاً. فمثـلاً نجدالخـوري باسـيليوس خْبـاوي– كاهـن الكنيسـة السـورية الأرثوذكسـية في بروكلين بنيويورك

يذكـر في الفصـل الـذي كتبـه عـن تاريـخ المهاجـرة السـورية أنّ «حبيـب النشـبي» مِـن قريـة بـشرى في لبنـان هـو أوّل مهاجـر سـوري، ولكـنّه لا يذكـر شـيئاً عنـه ولا عـن وجهته أو قصده أو ما جرى له.

ويذكـر أيضـاً أنّ شـخصين آخريـن كانـا يبيعـان الحريـر خـسرا فيـه فهاجـرا مِـن بلدهمـا بلبنـان إلى بوسـطن عـن طريـق ليفربـول، وأنّهمـا تعرّفـا في بوسـطن إلى مَـن كتـب لهمـا شـهادة بأنّهمـا فقـيران وجـالا يجمعـان إحسـاناً، ومـا عتمـا حتـى رجعـا إلى قريتهمـا يحمـلان كميـة مِـن النقـود، فشـاع خبرهمـا في كل القـرى المجـاورة، ونفـخ ببـوق المهاجـرة فلبّى كثيرون صوت النداء، وصار حديث المهاجرة الشغل الشاغل لأفكار العموم ؛

ونلاحـظ أنّ الخربـاوي لـم يذكـر لنـا اسـمي الشـخصين الأوّلـين اللذيـن هاجـرا مِـن بلدتهما لبنان.

فيمـا يـرى آخـرون أنّ أوّل مهاجـر عربـي مـن بـلاد الشـام هـو «أنطـونيوس البشـعلاني» سـنة 1854م، وقـد أقـام في نيويـورك، ويـرى محمـد هـدارة أنّ أوّل مهاجـر هـو «الخوري إليـاس الموصـلي» الـذي دخـل أمريـكا سـنة 1668م ثـم تبعـه «فلابيانـوس كفـوري» سـنة 1849م «[37]، فيمـا يذكـر محمـد عبـد الغنـي حسـن في كتابـه «الشـعر العربـي في المهجـر»: أنّ أوّل عربـي وطئـت قدمـاه أرض كولومبـس هـو الدكتـور «لويـس صابونجـي»، وأنّ هجرته كانت سنة 1872م.

وتذكـر الآنسـة «هوتـون» في تقريرهـا الـذي اسـتندت إليـه النـشرة التـي أصدرهـا معهـد الشـؤون العربيـة بنيويـورك عـن الناطقـين بالضـاد في أمريـكا عـام 1946م، أنّـه في منتصـف القـرن التاسـع عـشر أحـضرت حكومـة الولايـات المتحـدة قافلـة مِـن الجمـال مِـن صحـراء العـرب لتجربتهـا في صحـراء «الأريزونـا» وجـاء مـع القافلـة رجـل عربـيّ يدعـى « حـاج عـلي » سـمي فيمـا بعـد «هيجـولي» (HIJOLLY)، ولـم تنجـح التجربـة ولكـن الحـاج «عليّ» أقام في لوس أنجلوس ولم يعد[38].

---

(37) محمد مصطفى هدارة ، التجديد في شعر المهجر، ط1، 1957 ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ص 49 .

(38) ينظر: نشرة الناطقون بالضاد في أمريكا ، معهد الشئون العربية الأمريكية ، نيويورك ، 1946 .

فكما لاحظنا اختلفت الآراء عمّنْ هو أوّل مهاجر؟ وكل ما لدينا هو ما قد توصل إليه قوم دارسون في الشرق أو الغرب مِنْ أنَّ هذا أو ذاك هو الذي كان أوّل المهاجرين وقد يكون ثالثهم أو رابعهم.

ويرى الباحث أنّ الرأي الراجح والذي أجمع عليه أكثر الذين كتبوا عن تاريخ المهاجرة إلى الأمريكتين، أنّ أوّل مهاجر عربي هو «الخوري إلياس بن القسيس حنا الموصلي الكنداني» سنة 1668م، وهو ما ذهب إليه دكتور هدارة، وذكره أيضاً محمد كرد في كتابه «غرائب الغرب»[39] ووافقاه، البدوي الملثّم في كتابه «الناطقون بالضاد في أمريكا الجنوبية» [40]، ودكتورة عزيزة مريدن في كتابها «الشعر القومي في المهجر الجنوبي»[41].

وقد كانت بداية الهجرة في الغالب مِن أفراد يرحلون بقصد جمع المال والإحسان، وأحيانا للتجارة الفردية وبيع البضائع، أو لأغراض دينية تتصل بالتبشير المسيحي في النادر مِن الأحيان، وليس مِن السهل أنْ نعرف أسماء هؤلاء الأفراد ومَنْ مِنْهم كان الرائد الأوّل، على وجه التحديد، فربما أمريكا نفسها في ذلك الوقت لم يكن لديها سجل رسمي للمهاجرين.

إلّا أنّ الذي أجمع عليه مؤرخو الآداب، إنَّ الهجرة كانت في بداياتها هجرة عائلات صغيرة وأفراد ولم تكن في شكل جماعات كبيرة، ومنذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بدأت تظهر مقدمات الهجرة بصورة جماعية؛ وقد تكاثر عدد المهاجرين بعد الثورة العرابية بمصر سنة 1882م، إذ أنّ فريقاً مِن اللبنانيين والسوريين كانوا قد هاجروا إلى مصر وسكنوا في القاهرة والإسكندرية وبعض المدن الأخرى، ومِن ثَمّ اضطرهم الإنذار البريطاني إلى مغادرة القطر العربي، وتلك كانت بداية الهجرة على نطاق واسع، وكانت مقدمة للسيل الذي تدفق فيما بعد.

كانت هجرة اللبنانيين والسوريين إلى أرض العالم الجديد «أمريكا» تسير على هيأة موجات متتالية، وكان عددهم في زيادة مستمرة، وبلغت موجات الهجرة قمتها عام 1913م[42]، حيث هاجر إلى أمريكا الشمالية وحدها في هذا العام 9210 مهاجر[43].

وقد بلغ عدد المهاجرين بين عامي 1889 – 1919 نحو ستين ألفاً [44]، ولما تقدمت

(39) محمد كرد علي ، غرائب الغرب، ط2، 1923 ، المطبعة الرحمانية ، ج2، مصر ، ص 28 .

(40) البدوي الملثم ، الناطقون بالضاد في أمريكا الجنوبية ، ص 99.

(41) عزيزة مريدن ،الشعر القومي في المهجر الجنوبي ، ط2، دار الفكر ، دمشق ، 1973 ، ص 11 .

(42) حسن جاد حسن ، الأدب العربي في المهجر، ص 28 .

(43) محمد عبد المنعم خفاجي ، قصة الأدب المهجري ، ص 6 .

(44) لطفي حداد ، أنثولوجيا الأدب العربي المهجري المعاصر، المجلد2، ط1، 2004 ، دار صادر ، بيروت ، ص14.

وسـائل المواصـلات، ورخصـت أجـور السـفر، اتجـه معظـم المهاجريـن منـذ عـام 1890م مِـن مـصر إلى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، ومـا لبثـت هـذه الهجـرة أنْ توقفـت خـلال الحـرب العالميـة الأولى، ولكنّهـا اسـتؤنفت مِـن جديـد بعـد انتهـاء الحـرب، واتجـه معظـم المهاجرين، هذه المرة إلى أمريكا اللاتينية، والجنوبية خاصة»[45].

وممّـا تقـدّم مِـن حديـث حـول الهجـرة والمهاجريـن، نلاحـظ أنّ الهجـرة مِـن بـلاد الشـام إلى العالم الجديد (الأمريكتين) مرّت بثلاثة طرق هي:

الطريـق الأول- مـصر لأنّهـا أقـرب مسـافة ولغـة، وأيـسر تفريجـاً لسـوء الحـال، ولمـا ينعـم بـه القطـر المـصري مِـن حريـة وسـلام بعـد تسـلُّم محمـد عـلي باشـا زمـام السـلطة، والتوجه بالبلاد نحو الرفاهية والأمن والاستقرار.

الطريـق الثانـي- كانـت فرنسـا، لأنهـا كانـت تقـدم العـون للمهاجريـن، وتحميهـم مِـن بطش الأتراك، وتساعدهم للانضمام في جمعيات سرية تناهض الدولة العثمانية.

الطريـق الثالـث- كانـت أمريـكا الشـمالية والجنوبيـة، والتـي كان يطلـق عليهـا مـع بعـض المناطـق الأخـرى المكتشـفة حديثـاً «العالـم الجديـد»، وفي هاتـين القارتـين وجـد معظـم المهاجرين مأوى مِن الضياع والحرمان والجوع والبطش.

وإذا طرحنا السؤالين التاليين:

كيـف تمكـن هـؤلاء المهجريـون مِـن الهجـرة في زمـن العثمانيـين الذيـن حظـروا الهجـرة رسمياً؟

وكيف استطاع أولئك المهاجرون مِن الوصول إلى تلك المهاجر البعيدة عن أوطانهم؟

سـنأخذ الإجابـة عـن هذيـن السـؤالين، مِـن الشـاعر المهجـري الكبـير جـورج صيـدح، فيقـول: «إنّ الهجـرة في زمـن العثمانيـين كانـت محظـورة رسـمياً، ومباحـة عمليـاً بواسـطة المهربـين؛ كانـت البواخـر الصغـيرة حالمـا ترابـط في مينـاء «بـيروت» توفـد سـماسرة مِـن ذوي الحناجـر القويـة إلى أسـواق المدينـة والقـرى لإذاعـة نبـأ وصولهـا وموعـد سـفرها، فيهـرع القرويـون إلى اسـتدانة المـال الـلازم للسـفر مِـن المرابـين، برهـن كل مـا يملكـون مِـن عقـار وأثـاث، أو بيعـه. وتبـدأ عمليـة التهريـب: السمسـار يسـلم المهاجـر إلى عسـكري مراقبـة الشـاطئ، وهـذا يصعـد بـه مِـن وراء الجمـرك إلى ماعونـة محملـة بالبضائـع، وقائـد الماعونـة يدخلـه إلى الباخـرة بصفـة حمّـال، وفي الباخـرة يتسـلمه القهوجـي ويضعـه في أحـد المسـتودعات، وبهـذا الوضـع يصـل المهاجـر إلى مرسـيليا، ومِنْهـا يتسـلمه سمسـار جديـد، وينزلـه في خـان قـذر، ولا يحملـه إلى باخـرة تنقلـه إلى أمريـكا إلا حينمـا يفـرغ جيبـه مِـن

(45) - عزيزة مريدن، مرجع سابق، ص 13 - 14 .

الفلس الأخير، ثمّ يلتقي في الباخرة الذاهبة إلى أمريكا بأمثاله مِن المهاجرين حيث يعيش معهم عيشة القطيع الذي تطارده الذئاب، إنْ صعدوا إلى الباخرة تعرضوا للحر والبرد والأمطار والرياح، وإنْ احتشدوا في الطابق السفلي كادوا يختنقون، وكم مِن مرة سلّط عليهم البحارة أنابيب الماء الساخن لمنعهم مِن الاحتجاج على سوء المعاملة؛ وكم مرة حملتهم الباخرة إلى حيث لا يقصدون، وأنزلتهم البلد الذي يوافق مصلحتها. وفي كل بلد ينزلونه يتكتل أبناء القرية الواحدة، وتتخذ كل كتلة وجهة، والسعيد مِنْهم مَنْ يجد على المرفأ مَنْ ينتظره، أو يعرف عنواناً لقريب، أو يحمل توصية تؤمّن له الطعام والمأوى في الليلة الأولى، أمّا مَنْ لم تتوفر له أيّ مِن هذه الوسائل ففراشه رصيف الشارع، وطعامه الكسرة الباقية مِن زاد السفر في جعبته»[46].

ويذكر فيليب حِتّى في كتابه «السوريون في أمريكا»: «أنّ المهاجرين الأُول، وأكثر الذين اقتفوا أثرهم كانوا مِن لبنان، ولعلّ كثرة المهاجرين مِن لبنان ترجع إلى تركز الإرساليات فيه أكثر مِن غيره، كما كثرة المسيحيين فيهم تعود إلى النزاع الطائفي والتعصب ضدهم في الشام، وإلى تأثرهم بالثقافة التبشيرية وانتشارها بينهم أكثر مِن غيرهم[47].

وصل المهاجرون اللبنانيون الأولون إلى أمريكا منذ قرن كامل تقريباً لا يحملون مالاً ولا يفهمون لغة البلاد التي نزلوا فيها، ولا يعرفون شيئاً عن أحوالها وعادات سكانها، فاعتمدوا على ذكائهم ونشاطهم وإقدامهم، ولكنّهم ذلّلوا كل صعب وتعلموا لغة البلاد التي يعملون فيها وانشأوا الصحف اليومية الكبرى في مختلف لغات العالم وأسسوا الصحافة العربية في بلادهم وفي مهاجرهم «[48].

وقد سبق اللبنانيين إلى الهجرة بصورة مصغرة، أهلُ فلسطين، ولكنّهم لم يستقروا جميعاً في البلدان التي نزلوا فيها – كما فعل غيرهم – ، بل كانوا يزورونها حاملين المسابح والأيقونات والتعاويذ المصنوعة في فلسطين، لبيعها مِن المؤمنين المتعبدين[49].

أمّا عن مصر، فقد كفاها الله شر الهجرة، أفاض على أرضها خيرات النيل، وعلى شعبها فضيلة القناعة تعصمه مِن نزوة الاغتراب، يقول الشاعر المهجري جورج صيدح: «لم أتعرف في هجرتي الطويلة إلّا إلى أديب مصري واحد هو: «سيف الدين الرحّال» المقيم في عاصمة الأرجنتين، ولم أقرأ آثاراً أدبية لمغترب مصري إلّا لـ «محمود

(46) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ، ص 29 – 30 .

(47) THE SYRIANS IN AMERICA , BY P. K . HITTI , NEW YORK

(48) جريدة "أبو الهول":نقلًا عن خطبة لشكري الخوري مؤسس جريدة أبو الهول، سان باولو، البرازيل،1930، ص35

(49) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا ، ص 28 .

الشريف» المقيم في عاصمة البرازيل، أمّا أبو شادي فلا يدعيه المهجر، لأنّه جاءه بأدب ناضج ترعرع في الكنانة، قبل النزوح عنها»[50].

ومِن أوائل شعراء الشام (سوريا ولبنان) الذين هاجروا إلى أمريكا الشاعر، «نَدْرة حداد»، وقد وصل إلى نيويورك عام 1897م، وكان يعد –آنذاك- عميد شعراء العربية في أميركا، وتبعه «رشيد أيوب» الشاعر الذي هاجر إلى نيويورك عام 1898م، وهاجر بعد هؤلاء الشاعر «نسيب عريضة» الذي اغترب وعاش في أمريكا عام 1905م وأنشأ فيها مجلته الأدبية «الفنون».
ثم توالت الهجرات إلى تلك المهاجر البعيدة، فكانت هجرة: «عبد المسيح حداد»، وكانت هجرته عام 1907م إلى نيويورك التي أنشأ بها جريدة «السائح» عام 1912م، ثم كان مِن المهاجرين «ميخائيل نعيمة»، الذي هاجر إلى ولاية «واشنطون» بأمريكاعام 1911م، ثم انتقل إلى «نيويورك»، واتصل بجبران خليل جبران؛ الذي وصل مهاجراً إلى أمريكا مبكراً عام 1895م ، وكونوا فيما بعد «الرابطة القلمية» في بلاد المهجر.

انقسمت قوافل المهاجرين إلى العالم الجديد إلى قسمين:

القسم الأوّل: قصد أمريكا الشمالية.

القسم الثاني: توجه إلى أمريكا الجنوبية.

ووجد المهاجرون عناءً وتعباً، فلم يكن الحصول على لقمة العيش سهلاً، كما ظنوه وكما زين لهم، ولم تكن الأرض أمامهم مفروشة بالذهب ولا بالحرير؛ ولكنّهم في سبيل الكفاح والإصرار على البقاء تحملوا في صبر وثبات شظف العيش، وقسوة الحياة، والعمل الشاق المرهق، وقد عبر عنهم الشاعر»إلياس فرحات» في قصيدته «حياة مشقات»:

**طَوَى الدَّهْرُ مِنْ عُمرِي ثَلاثينَ حِجةً ❋ طَويتُ بِها الأصقاعَ أسْعَى وأدأبُ**
**أُغرِّبُ خلفَ الرِّزقِ وَهُو مُشرِّقٌ ❋ واقْسمُ لو شَرّقتُ كانَ يُغرِّبُ**
**وَمَرْكبةٌ لِلنَقْلِ رَاحَتْ يَجُرُهَا ❋ حصَانانِ مُحمّرٌ هزيلٌ وأشْهبُ**
**جَلَسْتُ إلَى حُوذيها ووراءنا ❋ صناديقٌ فِيها ما يسرُّ ويُعجبُ**
**حَوَتْ سِلَعاً مِنْ كُلِّ نوعٍ يَبِيعُهَا فتىً ❋ مَا اسْتَحلَّ الْبَيعَ لَوْلا التّغربُ**[51]

ونجد الشاعر «نسيب عريضة» مِن شدة ما لاقى من أثقال الحياة في الغربة، ما حبب إليه حياة الوطن على علاتها، يقول:

(50) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا ، ص 17 .

(51) ديوان إلياس حبيب فرحات ، طبعة ساو باولو ،1932، البرازيل ، ص 265 .

أحــبُّ بــــلادِي وإنْ لـــمْ أنُــم * قريــرَ الْجفـــونِ بأحضَانِـــــها
فكَـــمْ أنّـــت النّفـــسُ مِـــن بأْسِـــها * ونَـــاءتْ بأثقـــالِ أجْفانـــــها
تـــودُّ الرجـــوعَ إلى عُشـِــها * وليـــسَ الْـــردوع بإمكَانهـــا[52]

مِـن هـذه الضائقـة الخانقـة تولـد في المهاجـر مهنـة « الكشـة «[53]، فالمهاجـر يجـد مَـن يأتمنـه عـلى القليـل التافـه مِـن لعـب ودبابيـس وأمشـاط وكشـاكش وصابـون وعطـور يضعهـا في علبـة ويطـوف بهـا عـلى المنـازل، وبعـد تجـوال طـوال النهـار في أحيـاء المدينـة يعـود بغلّتـه إلى صاحـب المتجـر ليحاسـبه عـلى مـا بـاع ومـا بقـي، ويجـدد محتويـات صندوقه استعداداً لجولة الغد»[54].

ورغـم كل تلـك المشـقات وضيـق العيـش، احتمـل المهجريـون صراع الـرزق وكفـاح الحيـاة، مؤمنـين في النهايـة ببلـوغ الغايـة؛ وسـاعدهم عـلى ذلـك مـا وجـدوه في بيئتهـم الجديـدة مِـن الحريـة والانفتـاح، فاسـتطاعوا أن يبنـوا جـدار حياتهـم الصامـد بقـوة عزيمتهـم، حتـى أصبـح أكثرهـم مِـن الأعـلام وبعضهـم مِـن سـادة البـلاد؛ ومِنهـم الشـاعر «مسـعود سـماحة»، وقـد أصبـح بعـد حمـل» الكشـة» كولونيـلاً في الجيـش الأمريكـي، فيقول مصوراً لحظات صراع الرزق وكفاح الحياة، وحياة المشقات:

كَـمْ طَويـتُ القفـارَ مشْـياً وحمـلِي * فـوقَ ظهـرِي يـكادُ يقْسـم ظَهـرِي
كَـمْ قَرعـتُ الأبـوابَ غَـير مبـالٍ * لـكلالٍ وقـرّ فصـلٍ وحـرّ[55]

بـدأ المهاجـرون العـرب في المهجـر الأمريكـي الشـمالي والجنوبـي تأسـيس مـدارس عربيـة لتعليـم أولادهـم، ثُـمّ تكويـن جمعيـات دينيـة وخيريـة تتـولى المعاونـة والرعايـة لـكل محتـاج إليهـا وخاصـة في ميـدان الخـير والتعـاون فيمـا بينهـم، كان لبعضهـا مِـن الشـهرة والذيـوع والأثـر الأدبـي مـا خلـد أسـمها في حياتنـا الأدبيـة المعـاصرة، ومِـن أشـهر تلـك الجماعـات الأدبيـة والروابـط التـي أنشـأها المهجريـون، وأهمهـا أثـراً وتوجيهـاً للحركـة الأدبية في المهجر:

1. «الرابطة القلمية» في المهجر الشمالي بنيويورك عام 1920م.
2. «العصبة الأندلسية» في المهجر الجنوبي بالبرازيل عام 1932م.
3. «رابطـة منيرفـا» وهـي مدرسـة أدبيـة أسسـها الشـاعر المـصري أحمـد زكـي أبـو

(52) نسيب عريضة ، ديوان الأرواح الحائرة ، ص 96 .

(53) الكشـة : صنـدوق مـن الزنـك يحتـوي عـلى أنـواع مـن الخـردة الرخيصـة يشـده البائـع إلى ظهـره بسـيور مـن الجلـد ، وهـي لفظـة برتغاليـة . (ينظر كتاب الأدب العربي في المهجر لحسن جاد حسن ، ص 26) .

(54) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكة ، ص 36.

(55) ديوان مسعود سماحة، طبعة نيويورك، 1938.

شـــادي في نيويـــورك عـــام 1948م.

4. «الرابطــة الأدبيــة» التــي أنشــئت في عاصمــة الأرجنتــين عــام 1949م عــلى غــرار الرابطة القلميــة والعصبة الأندلســية.

5. «عصبــة التقــدم اللبنانــي» التــي ظهــرت في نيويــورك وأسســها أحــد أدبــاء المهاجريــن وهــو نعــوم مكــرزل[56]. وغيرهــا مــن الجمعيــات والأنديــة الأدبيــة.

ومِــن الحــق أنْ نقــول هنــا أنّ الجمعيــات الأدبيــة والروابــط وأنديــة القلــم في المهجــر لــم تكــن لتنهــض وحدهــا بعــبء مــؤازرة الأدب عامــة والشــعر خاصــة في العالــم الجديــد لــو لم تساعدها الصحافة العربية الأدبية؛

ولســنا هنــا بســبيل التأريــخ لنشــأة الصحافــة العربيــة في المهجــر، ولكننــا لــن ننــسى – في هــذا المقــام – فضــل الرائديــن الأولــين الدكتــور إبراهيــم ونجيــب عربيــلي اللذيــن أنشــآ أول صحيفــة عربيــة بأمريــكا ســنة 1892م باســم «كوكــب أمريــكا»، وذُكــر في كتــاب «الناطقون بالضــاد في أمريــكا»، أنّ هــذه الصحيفــة أنشــئت ســنة 1888م؛ والصــواب أنّهــا أنشــئت عــام 1892م؛ والتصويــب عــن كتــاب «تاريــخ الصحافــة العربيــة » للفيكونــت فيليــب طــرازي[57]، وهــو كذلــك مــا أكــده دكتــور محمــد عبــد الغنــي حســن في كتابــه «الشــعر العربــي في المهجــر»[58].

كذلــك ظهــرت عــدد مِــن الصحــف والمجــلات الأخــرى في تلــك الفــترة، تدلــل عــلى تصميــم المهاجريــن العــرب عــلى أنْ تبقــى العربيــة بينهــم لغــة الأبنــاء والأحفــاد، ومِــن تلــك الصحف والمجــلات:

1. صحيفة «الهدي» التي أسسها نعوم مكرزل في سنة 1898م.

2. «مرآة الغرب» التي أسسها نجيب موسى دياب سنة 1899م.

3. مجلــة «الفنــون» التــي أنشــأها الشــاعر «نســيب عريضــة» و«نظمــي نســيم» ســنة 1913م، والتــي كانــت الملهــم الأوّل لتأســيس «الرابطــة القلميــة».

4. جــريدة «الســائح» التــي أسســها «عبــد المســيح حــداد» ســنة 1912م، فكانــت لســان حــال الرابطــة[59].

5. مجلــة «الســمير» التــي أنشــأها الشــاعر «إيليــا أبــو مــاضي» في نيويــورك ســنة 1929م،

---

(56) نادرة جميل سراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص 61 .

(57) الفيكونت فيليب طرازي، تاريخ الصحافة العربية ، ج4 ،ط1، 1913، المطبعة الأدبية، بيروت، ص 406 .

(58) محمد عبد الغني حسن ، الشعر العربي في المهجر، ص 12 .

(59) محمد عبد الغني حسن ، الشعر العربي في المهجر ، ص 13 .

التـي كانـت مِـن أوسـع المجـلات العربيـة انتشـارا في العالـم الجديـد»[60].

والمطلـع عـلى أدب المهجـر يجـد أنّ الروابـط الأدبيـة والصحـف والمجلات أسـدت مناصرة كبـيرة للمهاجريـن ولأدبهـم العربـي، فقـد تعلـق بهـا الشـعراء والأدبـاء مِـن المهاجريـن العـرب واتخذوهـا منابـر رفيعـة لأصواتهـم التـي كانـت تجتـاز العالـم الجديـد بأرضـه وسـمائه، لتحمـل إلى العالـم القديـم نفحـات الشـعر العربـي في المهجر.

وهنـا يجـدر بنـا أنْ نشـير إلى أنَّ هـؤلاء المهاجريـن في العالـم الجديـد قـد ضربـوا المثـل الأعلى في الاتحـاد والعمـل الجماعـي المثمـر، فقـد رفعـوا اسـم بلادهـم في العالـم الجديـد وقدّمـوا للأمريكيـين صـورة عـن الـشرق أحسـن ممـا كانـت في أذهانهـم، كمـا عكسـوا الحقيقـة التاريخيـة لمنطقـة (سـوريا ولبنـان) بأنّهمـا بلـد واحـد تظلـه دوحـة العروبـة رغـم أنـف المضللـين الغاويـن، وأنّ سـكان تلـك الديـار شـعب واحـد رغـم الحـدود الصوريـة التـي فرضهـا المسـتعمر؛ وهـذا مـا أشـار إليـه إليـاس فرحـات، بقولـه:

لُبْنَـانُ مِـن نُـورِ الْعُرُبَـةِ تَقْبَـسُ * فَلْيَبْسُـمِ الغَـادُونَ أَوْ فَلْيَعْبَسُـوا
أَنَـا مَـا قَـرَأْتُ ولَا سَـمِعْتُ بِأنَنَـا * شَـعْبَان بَيْنَهُمَـا حُـدود تُحْـرَسُ
مَـا جَـاءَ لُبْنَـانُ وفِي سُـورِيَا * خُبْـز، ولَـنْ يَعْـرَى وفِيْهَـا مَلْبَـسُ

وهكـذا كان المهجريـون، فبعـد أنْ اسـتراحوا مِـن أعبـاء السـفر، ومشـقة الهجـرة، واسـتقروا في حياتهـم الجديـدة، بـدأوا يكتبـون الأدب وينشـئون النثـر، ويَنْظمـون الشـعر، كمـا كانـوا في بلادهـم، وأخـذت تظهـر بـوادر الحيـاة الأدبيـة العربيـة في المهاجريـن، وسـاعد عـلى ظهورهـا حاجـة المغـترب إلى التنفيـس عـن نفسـه بإطـلاق الحريـة لموهبتـه الأدبيـة، وإحساسـه بالحنـين الجـارف إلى وطنـه، ومسـارح ذكرياتـه، ومواطـن أهلـه، وأحبابـه وأترابـه؛ والحنـين إلى الوطـن يثـير الموهبـة، ويغـذي المشـاعر، ويذكـي العواطـف، ويثـير الشـاعرية [61].

(60) المرجع السابق، ص 429 .

(61) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص 72 .

## المبحث الثالث

# محاسن الهجرة ومساوئها

إنّ معظم مِمّن كتبوا عن هجرة الشاميين إلى العالم الجديد «أمريكا الشمالية والجنوبية»، نظروا إليها بعين التشاؤم ووجدوا أنّ مضارها أكثر مِن منافعها. فمثلاً نجد المؤرخ «أوغست أديب باشا» في كتابه «لبنان بعد الحرب» يرى أنّ الهجرة تضر البلاد لأنّها تحرمها القوى الحية والأيدي العاملة التي تحتاج إليها الزراعة والصناعة والمشاريع الكبرى وأعمال التحسين، وهذه الأيدي لولا المهاجرة لساعدت في نجاح البلاد وإنماء عظمتها

وثروتها»[62]. إلا أنّ المؤلف نفسه عاد فبّرر العذر لهؤلاءالمهاجرين لضيق أراضيهم الزراعية خاصة بعد أنْ حُصر الجبل في نطاق معين بعد صدور القانون الأساسي سنة 1861م.

وجاء بعد أديب باشا كاتب آخر هو: محمد كرد علي، فذكر في كتابه «غرائب الغرب» عند الحديث عن الهجرة: أنّ مضارها أكثر مِن منافعها، وعدّ لنا بضعة مِن المضار الاجتماعية وخاصة في أَوّل الهجرة، مثل شقاء البيوت التي هاجر أصحابها وعائلوها، ومثل كثرة البنات غير المتزوجات وذلك لهجرة الشبان أو لزواجهم مِن الأمريكيات. كذلك يذكر الكاتب - في نفس الموضع- أنّ البلاد في أشد الحاجة لأيدي أبنائها العاملين، وأنّ الغنى والذهب اللّماع يجدر ألّا يجذب الشباب بهذا القدر الكبير»[(63)].

وهكذا نجد أنّ محمد كرد علي، يفضل بقاء الشباب والقوى العاملة في البلاد والعمل المثمر داخل أوطانهم لا خارجها، كذلك يرى هذا الرأي مؤرخ ثالث هو ميشال شبلي في كتابه «المهاجرة اللبنانية»[64].

ويرى جورج صيدح وهو الذي عايش أدباء المهجر ثلاثين عاماً، أنّ المهاجر العربي خسر نفسه، فيقول: «وماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم وخسر نفسه»، ويعلل لتلك الخسارة بقوله: «إنّ الوطن أحوج ما يكون لتلك القوى الحية التي راحت تعمر وتبدع في بلاد الغرب، وهو أحق مِن الأجنبي بمدد أبنائه في حومة الدفاع عن كيانه، فالسبعون ألف محارب الذين تطوعوا في الجيش الأمريكي أثناء الحرب الأخيرة، لهم مكاناً مهيأً على حدود فلسطين، وأمامهم مهمة أشرف مِن تلك التي ضحوا بأنفسهم في سبيلها»[65]؛ ويستشهد جورج صيدح بقول القروي:

---

(62) أوغست أديب باشا ، لبنان بعد الحرب، ص 65

(63) محمد كرد علي ، غرائب الغرب ، ص 30 .

(64) ينظر: ميشال شبلي ، المهاجرة اللبنانية ، بحث علمي اجتماعي اقتصادي ، بيروت ، 1927 ، ص23.

(65) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص 21 .

رُدُوا إلى الْوطــنِ القديـــمِ تُرابَــه * هــذا أقــلّ الــبرّ يَــا غيّابــه
ذَاكَ إهـــابُ الغـــضُّ تحــتَ ثِيابِكُــم * بالأَمْــسِ كَانَ إهَابَــه وثِيابَــه
تَتَعجَبُــونَ لِضَعْفِــهِ ولَــوْ أنّكُــم * فِيــه لَكُنتــم جُنْــدَه وحِــرابَه
لَيْــتَ الأَحِبَــةَ عِنْــدَ إزْمَــاعِ النّــوى * لِلْغــربِ أغلــقَ دونهــم أبوابَــه
أولَيْــتَ بَــرّ الشَّـــامِ أدْركَ أنّ فِي * سَــفرِ الزنــودِ الْعامِــرات خَرابَــه[66]

ويـرى بعـض الباحثـين أنّ المهاجريـن في أمريـكا ولا سـيما السـوريين قـد سـاروا واتجهـوا نحـو «التأمـرك» بخطـى واسـعة وأنّ أبناءهـم سيشـبون ولا شيء يربطهـم بوطنهـم، أو بالأحـرى بوطـن آبائهـم وأجدادهـم، وعـن رأي هـؤلاء تقـول دكتـورة نـادرة سرّاج في كتابهـا «شـعراء الرابطـة القلميـة»: إنّ هـذا قـول مبالـغ فيـه، لأنـه إنْ اختلفـت لغـة الـكلام فـإنّ شـعور المـرء بأصلـه ثابـت متأصـل فيـه ولا يـزال في نفسـه حنـين إلى ذلـك الأصـل، يخبـو ثـم يظهـر ثـم يخبـو وقـد لا تظهـره إلا المناسـبات»[67].

ويـرى آخـرون أنّ أبنـاء المهجريـين ممّـن ولـدوا في ديـار الغربـة، قـد نشـأ بينهـم كثـيرون مِـن حملـة الأقـلام، ولكـن بعدهـم عـن الوطـن العربـي ووجودهـم في بيئـات غريبـة وبـين أقـوام غـير عربيـة، جعلهـم ينصرفـون إلى الإنتـاج الأدبـي بلغـات المواطـن الغريبـة التـي يعيشـون فيهـا، ومِـن هـؤلاء ظهـرت طائفـة مِـن الأدبـاء نالـت شـهرة واسـعة في حقـول الآداب الأجنبيـة[68].

ويتحـدث عبـد اللطيـف اليونـس الصحفـي السـوري الـذي هاجـر إلى البرازيـل عن مسـتقبل المغتربـين في كتابـه «المغتربـون»، فيقـول: «المغتربـون يذوبـون تدريجيـاً في المحيـط الأجنبـي، وينصهـرون في بوتقـة الجبـارة الرهيبـة، يتـزوج المغـترب، وينجـب أطفـالاً، يصبحـون بحكم القوانـين المرعيـة مِـن أبنـاء البـلاد التـي ولـدوا فيهـا، يحملـون جنسـيتها، ويسـجلون بـين أفـراد رعيتهـا، وينشـأ هـؤلاء وهـم يجهلـون اللغـة العربيـة»[(69)].

إلّا أنّ محمـد عبـد المنعـم خفاجي يقـول في كتابه « قصـة الأدب المهجـري « : « إنّ المغتربين العرب المنتشريـن في أمريـكا وسـائر أنحـاء الدنيـا يشـكلون ثـروة ضخمـة للأمـة العربيـة لا تعادلهـا ثـروة، ولا تحاكيهـا ولا تضاهيهـا، وعندهـا كل المؤهـلات لأداء الرسـالة والنهـوض بالأعبـاء»[70]؛ ولعلـه يقصـد بذلـك الثـروة الأدبيـة التـي خلدهـا أدباءالمهجريـين، وصـارت مدرسـة ضخمـة مِـن مـدارس الآداب العربيـة المعـاصرة، وهـو بالفعـل لقـد أضحـى أدب المهجـر أدب الحيـاة

(66) ديوان القروي ، ط1952،1، طبعة وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ،مصر، ص32.

(67) نادرة جميل سراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص 65 .

(68) عيسى الناعوري ، أدب المهجر، ص40.

(69) عبد اللطيف اليونس ، المغتربون ، (د.ط)، 1964، مطبعة العرفان ، صيدا ، لبنان ، ص134.

(70) محمد عبد المنعم خفاجي ، قصة الأدب المهجري ، ص 70 .

ولسـوف يخلـد عـلى مَـرّ الزمـان إلى جـوار آدابنـا القديمـة والحديثـة، ويكـون أدب كل عـصر وأدب كل جيـل مِـن النـاس مـا دام في جوانـح الإنسـان روح حـي وقلـب خفـاق، هـذا مـا تشـهد بـه الثـورة التجديديـة التـي أحدثهـا المهجريـون في الأدب العربـي، بالإضافـة إلى ذلـك، وضـع عـدد مِـن كبـار أدبـاء الرعيـل الأوّل الكثـير مِـن المؤلفـات النفيسـة في اللُّغـات الأجنبيـة، وعـلى رأس هـؤلاء في المهجـر الشـمالي: جـبران خليـل جـبران، وأمـين الريحانـي، وميخائيـل نعيمـة، ووليـم كاتسـفليس، وفيليـب حِتّـى، ومِـن أدبـاء المهجـر الجنوبـي: جـورج قـدوم، وريـاض معلـوف، ومـوسى كريـم، وعـدد آخـر غيرهـم.

ولا بـد مِـن الإشـارة هنـا إلى أنّ غـرض المهاجريـن – كمـا مَـرّ في أسـباب ودوافـع الهجـرة – في أوّل الأمـر لـم يكـن بقصـد التوطـن، بـل كان كل اهتمامهـم منصرفـاً إلى جمـع المـال الـذي يعينهـم عـلى ملمـات الحيـاة، والتصـدي لحالـة البـؤس والكبـت، ثـم الرجـوع إلى الأوطـان؛ وهنـا يذكـر القسـيس «خربـاوي» في كتابـه «عـن المهاجـرة السـورية»، أثنـاء كلامـه عـن المهاجريـن الأوّلـين وأحوالهـم الماديـة والمعنويـة، حادثـاً بسـيطاً فيـه دلالـة عـلى هذا الشـعور المتأصـل في نفوسـهم، شـعور الحنـين إلى بلادهـم، ذلـك أنّهـم في مجتمعاتهـم إذا شرب أحدهم «القهـوة» مثـلاً في بيـت أحـد أصحابـه، فـإنّ كلمـة الشـكر التـي يقدمهـا للمضيـف «برجوعـك إلى الوطـن إنْ شـاء اللـه» فيجيبـه هـذا بقولـه: «برفقتـك يـا سـيدي»[71]؛ وكأنّمـا الرجـوع إلى الوطـن الأمنيـة الكـبرى عندهـم.

وعـلى عـادة الأقليـات في أي بلـد ينزلـون فيـه، كان لا بـد للمهاجريـن مِـن التكتـل والتجمـع والتعـارف بعضهـم إلى بعـض، ومعاونـة أحدهـم الآخـر، ومِـن أجـل هـذا بـدأوا يؤسسـون الجمعيـات والنـوادي التـي تجمـع شـملهم، وتسـير بهـم نحـو غايـات شريفـة، وتهـدف إلى منفعـة المهاجريـن في ديـار هجرتهـم؛ وعـن هـذه الجمعيـات تقـول دكتـورة نـادرة سرّاج: «مِـن أقـدم هـذه الجمعيـات جمعيـة السـوريين المتحـدة التـي تأسسـت عـام 1907 في نيويـورك، وكانـت لهـا فـروع في البـلاد الأمريكيـة الأخـرى، وقـد قامـت السـيدات بنصيـب وافـر في تنظيـم هـذه الجمعيـات الخيريـة، وقـد قامـت هـذه الجمعيـات بجهـود تذكـر في خدمـة المهاجريـن في المهجـر»[72].

ويـرى جـورج صيـدح أنّ للتأثـير العربـي في البيئـة الأمريكيـة فوائـد جليلـة، يقـول عـن ذلك: «إذا نظرنـا إليـه مِـن الناحيـة الوطنيـة وجدنـا الفائـدة أجـلّ، لأننـا نحـن العـرب نحتـاج إلى غـرب يفهمنـا ويقدرنـا قدرنـا، وإلى غـرب مسـالم لا إلى غـرب معـادٍ؛ وقـد قـام أدب المهاجرين بمهمـة التعريـف عـن حاجـات أمتنـا وأهدافهـا وآمالهـا بعـد التعريـف عـن تاريخهـا وحضارتهـا وآدابهـا؛ فأدبـاء المهجـر كانـوا دعـاة متبرعـين، لو شـاءت الحكومـات العربيـة أنْ توفـد دعـاة مأجوريـن لمـا توقفـت إلى أصلـح منهـم»[73].

(71) باسيليوس خرباوي، تاريخ الولايات المتحدة، ص 360.

(72) نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 61.

(73) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص100.

ومِـن خـلال مـا أثبتـه المؤرخـون والمهجريـون أنفسـهم مِـن محاسـن ومسـاوئ لتلـك المهاجـرة؛ يـرى الباحـث أنّ مـا قدمـه المهاجـرون لبلادهـم مِـن النفـع لا يقـاس بـه مـا يقـال مِـن بعـض ضرر أصابهـا مِنْهـم، فقـد بذلـوا شـتى المسـاعدات المادية والمعنويـة لأوطانهـم الأصليـة، وعملـوا عـلى عمرانهـا وتحسـين أحوالهـا في جوانـب كثـيرة، وقدمـوا يـد العـون والخـبرة في شـتى المجـالات؛ تقـول الدكتـورة نـادرة سرّاج في كتابهـا «شـعراء الرابطة القلميـة»؛ عـن تلـك المسـاعدات التـي قدمهـا المهجريـون لوطنهـم الأم: «إنّ مَـنْ يـزور لبنـان ويتجـول في قراهـا الجبليـة ومصايفهـا الجميلـة المنتـشرة عـلى سـفوح جبالهـا مِـن الشـمال إلى الجنـوب، لا يسـتطيع إلّا أنْ يعجـب بتلـك البيـوت الجميلـة والعمـارات الضخمـة والفنـادق البديعـة التنسـيق، وإذا مـا سـأل عـن بُناتهـا ومموليهـا فـلا يعجـب كثـيراً حينمـا يعلـم أنّهـا جميعهـا قامـت عـلى أمـوال المهاجريـن في العالـم الجديـد»[74].

وتواصـل الدكتـورة نـادرة سرّاج:»إنّ هـؤلاء المهاجريـن مـا انفكـوا يبذلـون شـتى المسـاعدات الماديـة والمعنويـة لوطنهـم الأصـلي، ويعملـون عـلى ترقيتـه وتحسـين أحوالـه في مختلـف الظـروف. ولا تـزال الصـلات قائمـة بصـورة وطيـدة بـين أبنـاء لبنـان في الوطـن وإخوتهم في المهاجـر، وفي كل عـام يدخـل الكثـير مِـن الأمـوال إلى لبنـان مِـن الخـارج حتـى إنّ في بـيروت مصرفـاً يسـمى «بنـك لبنـان والمهجـر»؛ وعـدا الصـلات الماديـة فـإنّ الأدب يعـد مِـن أقـوى الصـلات بـين الطرفـين، وكل كتـاب يصـدر في الوطـن لا بـدّ أنْ يقـرأه المهاجـرون حتـى لقـد قيـل أنّ مطابـع سـوريا ولبنـان لا تنـشر كتابـاً إلا إذا تأكـدت مِـن إمـكان رواجـه في المهجـر، وكذلـك الحـال في الصحافـة فإنّهـا صلـة متينـة بـين الجهتـين»[75].

ولا شـك في أنّـه قـد كان لدعـوة الشـعراء المهاجريـن إلى مسـاعدة إخوانهـم في الأوطـان أثـر كبـير في النفـوس، عندمـا أخـذوا يجمعـون التبرعـات ويقيمـون الحفـلات لمعونـة الوطـن وانتشـال أبنائـه مِـن أنيـاب الجـوع التـي تـكاد تطبـق عليهـم، وهـم في أشـدّ الأحـوال للمسـاعدة مِـن وإخوانهـم المهاجريـن.

فالمهاجـر إذن أفلـح إذا اعتبرنـا عنـوان الفـلاح المحـل التجـاري والمصنـع الكبـير والقـصر المنيـف، وأخفـق باعتبـار أنّ شـخصيته الأدبيـة مـا زالـت دون شـخصيته الماديـة؛ ولكـن مـا فاتـه مِـن العلـم والثقافـة أغدقـه عـلى أولاده بسـخاء يدعـو إلى الإعجـاب، فتجـد أفقـر المغتربـين يقتـدي بأغناهـم في تثقيـف أولاده حتـى يبلغـوا أرفـع منزلـة مِـن العلـم والتهذيب، وهـؤلاء الأولاد هـم الذيـن احتلـوا اسـمى المراكـز في المجتمـع»[76].

وفي المقابـل أيضـاً يجـب علينـا أنْ نعـترف بـأنّ الهجـرة امتصّـت القـوى الحيـة مِـن بـلاد

(74) نادرة سراج، شعراء الرابطة القلمية ، ص 64.

(75) المرجع السابق ، ص 65.

(76) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ، ص47.

الشام (سوريا ولبنان) ممثلاً في شبابها الطامح الذي خلّف وراءه أهله وخلّانه ليضرب في مجاهل وطن جديد لا يعرفه؛ فيحكي الكاتب «محمد كرد علي» أنّه زار مرّة قرية مِن قرى لبنان فلم يجد فيها إلا الشيوخ والمسنات مِن النساء والأطفال، وعمل هؤلاء هو انتظار البريد في مطالع الشهور ليسدوا مطالب الحياة بالنقود التي يرسلها إليهم أبناؤهم المهاجرون[77].

(77) كمال نشأت ، شعر المهجر، (د.ط) ، 1966 ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، مصر، ص 9 .

# الفصل الثاني

# الرابطة القلمية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

## نشأة الرابطة القلمية

المبحث الثاني

## أعلام الرابطة القلمية

المبحث الثالث

## العناصر البارزة في شعر الرابطة القلمية

## المبحث الأول

# نشأة الرابطة القلمية

في أبريـل سـنة 1920م بمدينـة نيويـورك، التقـت آراء جماعـة مـن أدبـاء المهجـر في أمريـكا الشـمالية حـول فكـرة واحـدة، هـي ضرورة إنشـاء رابطـة توحـد جهودهـم، وتضـم قواهـم، في سـبيل النهـوض باللُّغـة العربيـة وآدابهـا، بعـد أنْ رأوا خمـول الأقـلام، وهـزال الصحافـة، خاصـة بعـد احتجـاب مجلـة «الفنـون» التـي أنشـأها نسـيب عريضـة ونظمـي نسـيم سـنة 1913م، وقـد حجبتهـا الحـرب العالميـة الأولى، فـكان احتجابهـا مِـن دواعـي التفكـير في إنشـاء «الرابطـة القلميـة»[78].

وعـن سـبب تسـميتها بالرابطـة القلميـة، فقـد جـاء تيمنـاً بكتـاب اللـه الجليـل القـرآن الكريـم، وتمسـكاً بالعروبـة، متمثلـة في لغـة القـرآن كلام اللـه عـزّ وجـل، وإيمانـاً باللُّغـة العربيـة، وبمكانتهـا العظيمـة وبدورهـا الريـادي الإنسـاني، وبأنّهـا أمّ اللُّغـات، ولأنّ القلـم شرّفـه اللـه في القـرآن لأنّـه النبـع الصـافي لـكل فكـر وثقافـة، فجـاء اختيارهـم موفقـاً»[(79)].

وفي الثامـن والعشريـن مـن إبريـل سـنة 1920م أصبحـت «الرابطـة القلميـة» حقيقـة واقعـة، ففـي اجتمـاع لهـم عنـد جـبران، قـرر المجتمعـون إخـراج الجمعيـة إلى حيـز الوجود وتسـميتها باسـم «الرابطـة القلميـة»؛ والذيـن حـضروا الاجتمـاع هـم: جـبران خليـل جبران، ميخائيـل نعيمـة، عبـد المسـيح حـداد، نـدرة حـداد، إليـاس عطـا اللـه، وليـم كاتسـفليس، نسـيب عريضـة، ورشـيد أيـوب»؛ وانضـم إليهـم فيمـا بعـد الشـاعر المهجـري إيليـا أبـو مـاضي والكاتـب وديـع باحـوط؛ وقـد أقـروا شروطـاً لتأسـيس الرابطـة القلميـة وهـي كالآتـي:

1. أنْ تُدعى الجمعية «الرابطة القلمية» وبالإنجليزية«Arrabitah».
2. أنْ يكـون لهـا ثلاثـة موظفـين وهـم: الرئيـس ويدعـى «العميـد»، فكاتـم السر ويدعـى «المستشـار»، فأمـين الصنـدوق ويدعـى «الخازن».
3. أنْ يكـون أعضاؤهـا ثـلاث طبقـات: عاملـين ويدعـون «عمـالاً» ، فمناصريـن ويدعـون «أنصـاراً» ، فمراسـلين.
4. أنْ تهتـم الرابطـة بنـشر مؤلفـات عمالهـا ومؤلفـات سـواهم مِـنْ كتـاب العربيـة المسـتحقين، وبترجمـة المؤلفـات المهمـة مـن الآداب الأجنبيـة.
5. أنْ تعطي الرابطة جوائز مالية في الشعر والنثر والترجمة تشجيعاً للأدباء.

(78) - حسن جاد حسن ، الأدب العربي في المهجر ، ص61 .

(79) - فصل سالم العيسى ، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية ، 2006، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص45.

ثُمَّ انتخب الحاضرون جبران خليل جبران عميداً للرابطة بإجماع الأصوات، وميخائيل نعيمة مستشاراً، ووليم كاتسفليس أميناً للصندوق؛ ويعمل تحت لوائها سبعة آخرون، يحملون اسم «العمال» هم: إيليا أبوماضي، ونسيب عريضة، ورشيد أيوب، وعبد المسيح حداد، وندرة حداد، ووديع باحوط، وإلياس عطا الله.

وقد كان أعضاء الرابطة العشرة عصبة صغيرة، - كما يقول ميخائيل نعيمة – تفاوتت قواها، ولكن توحدت نزعاتها ومراميها»، ولم يكونوا متكافئين في المواهب والإنتاج، ولكنهم كانوا متقاربين في الميول الأدبية، والذوق الفني»[80].

ورسم جبران خليل جبران عميد الرابطة شعاراً جميلاً يمثل دائرة في وسطها كتاب مفتوح وعلى صفحتيه خُطت هذه العبارة «لله كنوز تحت العرش، مفاتيحها ألسنة الشعراء» ومن فوق الكتاب قد أطلت شمس أشعتها نصف الدائرة الأعلى، وعند أسفل الكتاب سراج شطره الأيمن محبرة قد انغمس فيها قلم فتحول حبرها إلى لسان مِن نور خارج مِن طرف السراج الأيسر، ومِن تحت الدائرة اسم «الرابطة القلمية» مخطوط بأحرف مستقيمة الزوايا تشبه بعض أنواع الخطوط الكوفية ومِن تحته اسم الرابطة بالإنجليزية[81].

وكان لا بدّ لهذه الجماعة من حديقة ينثرون عليها وعلى ثراها بذورهم ويغرسون في أديمها أغراسهم، فكانت جريدة «السائح» التي أسسها عبد المسيح حداد؛ تلك التربة الخصبة التي حملت للعالم العربي ثمار قرائحهم اليانعة، فأدهشته بذلك المحصول الطيب؛ وتكاتفت جهود القائمين بها على صيانة حرمتها، ورفعها عن التحذلق والابتذال، وشرعت جريدتهم تنقل إلى العالم نتاج أقلامهم، وفي صدر كل عام كانت تصدر عدداً ممتازاً كان يطلع على الأدب العربي كحدث خطير، فتكتب الصحف فيه فصولاً، وتنقل عنه الشيء الكثير؛ وهكذا انتشر اسم «الرابطة القلمية» في العالم العربي وكل مهاجره[82].

يقول الدكتور عيسى الناعوري عن نتاج الرابطة الأدبي: «في عام 1921م ظهرت «مجموعة الرابطة القلمية» تحمل عدداً وافراً من المقالات والقصائد، بأقلام أعضاء الرابطة، ما عدا إلياس عطا الله؛ فهو مِن بينهم الوحيد الذي لم يجر قلمه بمقال طيلة مدة عضويته للرابطة، ولم ينتج شيئاً منذ تأسيس الرابطة، ولم أقرأ له قط سوى مقال»[83].

(80) عيسى الناعوري ، أدب المهجر، ص23 .

(81) ميخائيل نعيمة ، جبران خليل جبران (حياته ، أدبه ) ، ط1، 1934، بيروت ، لبنان ، ص179 .

(82) مدونة الرابطة الثقافية المعرفية ، سلمية ظهير الشعراني ، شبكة الانترنت ، 2018 .

(83) عيسى الناعوري ، أدب المهجر، ص24 .

أمّـا أكثـر عمّـال الرابطـة نشـاطاً في الإنتـاج الأدبـي، وغـزارة في المـادة، وأبعدهـم أثـراً في حياتهـا، وفي الأدب المهجـري؛ فكانـوا خمسـة، وهـم:

جـبران خليـل جـبران، وميخائيـل نعيمـة، وإيليـا أبـو مـاضي، ويليهـم نسـيب عريضـة، ورشـيد أيـوب، فهـؤلاء كان يتميـز إنتاجهـم بالخلـق والإبـداع، مِـن جهـة، وبروعـة التجديـد مـن جهـة أخـرى؛ وسرعـان مـا انتـشر أدبهـم في الدنيـا العربيـة كلهـا، لَمـا يحملـه مـن بـذور الحيـاة الجديـدة.

ولقـد ظلـت الرابطـة القلميـة حيّـة بأعضائهـا العـشرة نحـو إحـدى عـشرة سـنة – مِـن سـنة 1920م إلى سـنة 1931م – ثـم تبعثـرت حباتهـا، حـين راح مقـص المـوت يقلّـم أغصـان تلـك الدوحـة الفارعـة، وهـي أغنـى وأسـخى مـا تكـون بالثمـار الطيبـات مبتدئـاً بعميدهـا جـبران خليـل جـبران، ثـم تـلاه برشـيد أيـوب، وإليـاس عطـا اللـه، ونسـيب عريضـة، ثـم نـدرة حـداد، فوليـم كاتسـفليس، فوديـع باحـوط، فإيليـا أبـو مـاضي؛ ثـم تـوفي عبـد المسـيح حـداد وقـد كان قـد بـاع في أواخـر عـام 1957م حقـوق جريدتـه «السـائح» – حديقـة الرابطـة القلميـة المعطـاء – إلى راجـي الظاهـر، صاحـب جريـدة «البيـان»، فاندمجـت الجريدتـان في واحـدة هـي (البيـان) ومـضى عبـد المسـيح حـداد يعمـل فيهـا حتـى وفاتـه في نيويـورك 1963م.

ولعـل ممـا بعـث العـزاء في نفـوس أدبـاء العـرب في الـشرق وفي بـلاد المهجـر في تلـك الفـترة، قيـام «العصبـة الأندلسـية» في المهجـر الأمريكـي الجنوبـي، في البرازيـل بمدينـة سـان باولـو عـام 1933م؛ وإنشـاء مجلتهـا «العصبـة»، كمـا كان للرابطـة القلميـة مجلـة تؤدي رسـالتها الأدبيـة الكبرى.

### صدور مجموعة الرابطة القلمية:

صـدرت مجموعـة الرابطـة القلميـة لعـام 1921م، واشـترك في تحريرهـا جميـع عمـال الرابطة وعـلى رأسـهم عميدهـا وفنانهـا جـران، ثـم ناقدهـا وفيلسـوفها ومستشـارها ميخائيـل نعيمـة وبقيـة كتابهـا وشـعرائها، فجـاءت كتابـاً ضخمـاً متميـزاً ، يقـع في أكثـر مِـن ثلاثمائـة صفحة مـن الحجـم الكبير،مليئـاً بالموضوعـات الأدبيـة (الشـعر والنثـر) واللُّغويـة والاجتماعيـة والفلسـفية، والقصائـد الشـعرية التـي تعالـج شـتى الموضوعـات أيضـاً»[84].

ومَـا أنْ وصلـت هـذه المجموعـة إلى العالـم العربـي حتـى تناقلهـا الكُتّـاب والشـعراء وأخـذوا يطالعونهـا بشـغف زائـد وتطلـع نحـو البعـث والتجديـد اللذيـن لاحـت آثارهمـا مِـن خـلال سـطور المجموعـة، كمـا ظهـرت تباشـيرها مِـن قبـل عـلى صفحـات جريـدة «السـائح» ومجلـة «الفنـون».

(84) نادرة جميل سّراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص87 .

وقبـل أنْ نتعـرف عــلى أثـر هــذا الأدب الجديـد في الـشرق العربـي، يجـدر بِنَـا أنْ نتوقـف قليـلاً لنتأمـل مميـزات هـذه الـروح الجديـدة التـي ظهـرت في الأدب العربـي وعـلى أيـدي أعضـاء «الرابطـة القلميـة» بالمهجـر الشـمالي – عـلى وجـه خـاص – وجـاءت مسـطرة في كل مقـال أو قصيـدة ضمـن هـذه المجموعـة.

فميخائيـل نعيمـة، مستشـار الرابطـة، الـذي نظّـم قانونهـا وصـاغ مقدمتـه، يقـول في هـذه المقدمـة: « ليـس كل مـا سـطر بمـداد عـلى قرطـاس أدبـاً ولا كل مـن حـرر مقـالاً أو نظّـم قصيـدة موزونـة بالأديـب، فـالأدب الـذي نعتـبره هـو الأدب الـذي يسـتمد غـذاءه مِـن تربـة الحيـاة ونورهـا وهوائهـا، والأديـب الـذي نكرمـه هـو الأديـب الـذي خـص برقـة الحـس ودقـة الفكـر وبعـد النظـر في تموجـات الحيـاة وتقلباتهـا، وبمقـدرة البيـان عمـا تحدثـه الحيـاة في نفسـه مـن التأثـير»[85]. ويقـول أيضـاً: «إنّنـا إذا عملنـا عـلى تنشـيط الـروح الأدبيـة الجديـدة، لا نقصـد بذلـك قطـع كل علاقـة مـع الأقدمـين، فبينهـم مِـن فطاحـل الشـعراء والمفكريـن مَـنْ سـتبقى آثارهـم مصـدر إلهـام للكثيريـن غـداً وبعـد غـد، إلا أنّنـا لسـنا نـرى في تقليدهـم سـوى مـوت لآدابنـا، لذلـك فالمحافظـة عـلى كياننـا الأدبـي تضطرنا للانـصراف عنهـم إلى حاجـات يومنـا ومطاليـب غدنـا، وحاجـات يومنـا ليسـت كحاجـات أمسـنا»[86].

هـذه الـروح الجديـدة التـي شرح أصولهـا مستشـار الرابطـة في الفقـرات السـابقة هـي التـي نجدهـا غالبـة بـل متأصلـة في جميـع كتابـات عمـال الرابطـة القلميـة؛ سـواء أكانـت عـلى صفحـات جريـدة «السـائح» أمْ في المجموعـة الجديـدة نفسـها، فـالأدب عندهـم هـو الـذي يعـبر عـن هـذه الحيـاة التـي يعيشـونها، لا تلـك التـي عاشـها الأقدمـون.

فالنفـس أو الـروح هـي الـشيء الأهـم في أدب عمـال الرابطـة القلميـة، وكل مـا يبحـث في هـذه النفـس، وكل مـا يكتـب أو يقـال مـن أجلهـا يعـدّ أدبـاً حيـاً عندهـم.

يقـول ميخائيـل نعيمـة: «فالأثـر الخالـد لا يمـوت، والميـت لا يعيـش، ولا يخلـد مـن الآثـار إلاّ مـا كان فيـه بعـض الـروح الخالـدة «[87]، فـالأدب عنـد عمـال الرابطـة ليـس إلّا رسـولًا بـين نفـس الكاتـب ونفـس سـواه، والأديـب الـذي يسـتحق أنْ يُدعـى أديبـاً هـو مَـن يـزوّد رسـوله مِـن قلبـه ولبـه[88].

وقـد لخّـص ميخائيـل نعيمـة الغـرض مِـن هـذه المجموعـة التـي أصدرتهـا الرابطـة القلمية إذ يقـول: «إنّ الرابطـة القلميـة مـا كانـت لتقـدم المجموعـة إلى قـراء العربيـة إلّا لاعتقادهـا

(85) ميخائيل نعيمة، مجموعة الرابطة القلمية لسنة 1921، المطبعة السورية الأمريكية، 1921، نيويورك، ص4.

(86) ميخائيل نعيمة ، جبران خليل جبران (حياته – أدبه) ، ص180 .

(87) ميخائيل نعيمة، مجموعة الرابطة القلمية لسنة 1921، ،ص6.

(88) المرجع السابق، الصفحة نفسها .

بأنّهـا اتخـذت مِـن الأدب رسـولاً لا معرضـاً للأزيـاء اللُّغويـة والبهرجـة العروضيـة؛ وقـد تكـون مخطئـة فيمـا تعتقـد، ولكـن إخلاصهـا في الأقـل يشـفع بخطئهـا، فهـي لا تدّعـي لهـذه المجموعـة أكثـر مـا تسـتحق، فـإنْ لـم يكـن لهـا غـير تشـويق بعـض الأرواح الناشـئة إلى طـرق الأدب عـن سـبيل النفـس لا عـن سـبيل المعجمـات فحسـبه ثوابـاً، فقـد كفانـا مـا عندنـا مِـن المعجـزات اللُّغويـة»[89].

كل تلـك التفسـيرات لـلأدب عنـد شـعراء «الرابطـة القلميـة» وأدبائهـا، تبـيّن مـدى اتصـال الأدب عندهـم بالحيـاة والإنسـان الـذي يعيـش هـذه الحيـاة مؤثـراً فيهـا ومتأثـراً بهـا.

وقـد ضمّـت مجموعـة «الرابطـة القلميـة» ألوانـاً مِـن الأدب (الشـعر والنثـر)، وبـدأ المجموعة عميـد الرابطـة جـبران خليـل جـبران بقطعـة مِـن النثـر الشـعري الجميـل جعـل عنوانهـا «بـين ليـل وصبـاح»، يتحـدث فيهـا عـن نفسـه وعـن الحيـاة حولـه، ويخاطـب فيهـا قلبـه، ويبدؤهـا بقولـه:

**اسْكُت يَا قَلْبِي فالفَضاءِ لا يَسْمَعك.**
**اسْكُت فَالأثير المُثقلُ بِالنّواحِ والعويلِ لَنْ يَحْملَ أَغانِيكَ وَأَنَاشِيدك.**
**اسْكُت فَأشْبَاح اللّيلِ لا تَحْفلُ بِهَمسِ أَسْرارِكَ. وَمَواكبُ الظَّلامِ لا تَقِفُ أَمَامَ أَحلامِك.**
**اسْكُت يَا قَلْبِي، اسْكت حَتَى الصَّباح ، فَمَن يَتَرقب الصَّباحَ صَابِراً يُلاقِي الصَّباح قَوِيّاً ، وَمَنْ يَهْوى النُّورَ فالنُّور يَهْوَاه[90].**

وغـير جـبران، يتحـدث رشـيد أيـوب في هـذه المجموعـة عـن «أنفـس الشـعراء» وكـم هـي رقيقـة حنـون، تتأثـر لأدنـى العواطـف وتُشـابه أرقّ الكائنـات، وفيهـا يقـول:

**يَـا نَسْـمَةً في مُـروجِ الْحُـبّ نَافِحـةً * حيْـثُ الحمائـمُ لا تَنْفـكُّ نائِحـةً**
**نَاشَـدْتُكِ اللـه باكـرْتِ سَائِـحةً * عِنْدَ السّـواقِي بجـوّ الروحِ سـابحةً[91]**

ويناجي نسيب عريضة نفسه وروحه في هذه المجموعة أيضاً بقوله:

**لاحَـتْ قُصـورُ الخَيـالِ * تَعْـلو مُتـونَ الْغَـمَام**
**يَـا أُخْـتَ رُوحِـي تَعـالِي * أَطـلْت فِيـهَا الْمَقـام[92]**

إنّ هـذه النزعـة التأمليـة التـي سرت في شـعر نسـيب عريضـة وفي بعـض أشـعار غـيره مِـن عمـال الرابطـة هـي التـي فاضـت بهـا صفحـات المجموعـة، فالنفـس والقلـب والروح أشـياء

(89) المرجع السابق، ،ص7.

(90) المرجع السابق ، ص9.

(91) ميخائيل نعيمة ، مجموعة الرابطة القلمية لسنة 1921، ص10.

(92) المرجع السابق، ص12.

محسوسة يَفْتَنّ الشعراء في التعبير عنها وعما يخالجها مِن عواطف وأحاسيس وما يعتريها من قلق أو طمأنينة، وإلى جانب هذا فالأدب عندهم يجب أنْ يكون إنسانيّاً خالصاً فيه منفعة لبني الإنسان في كل العصور والأزمان؛ وفي إيضاح هذه الفكرة الإنسانية، يقول إيليا أبو ماضي:

مَاذا يَفِيدُ الصّوتُ مُرْتفعاً * إنْ لمْ يَكُنْ للصوتِ ثَمَّ صَدَى
والنّورُ مُنْبثقاً ومُنْتشراً * إنْ لمْ يَكُنْ للنّاسِ فِيه هُدَى
إنّ الحَوَادِثَ فِي تتَابُعِهَا * أبْدَلْنَني مِنْ ضِلَّتي رَشَدا[93]

وإنّ خير شاهد على نزعتهم التأملية الإنسانية، تجاربهم مع الطبيعة؛ فقد اندمجوا فيها لدرجة الاتحاد والفناء وخلعوا عليها صفات الأحياء، وتعلموا منها المبادئ، وصاحبوها في رحلاتهم للمعرفة والقيم الإنسانية[94].

وبالرجوع للنظر في أهداف الرابطة، نلاحظ أنّهم يتفقون في نزوعهم نحو التجديد والتخلص من قيود القديم؛ ومحور الأدب في رأيهم هو الإنسان وبقدر ما يرتبط الأدب بالإنسانية يكفل لنفسه البقاء، وفي ذلك يقول نعيمة: «فأنا ما أزال أقول إنّ محور الأدب هو الإنسان، فعلى قدر ما يتغلغل الأدب في حياة الإنسان في التفتيش عن أهدافها، وعن العقبات التي تقوم في وجه تلك العقبات، يكفل لنفسه البقاء وذلك أنّ الأدب – شعره ونثره – يجب أنْ يقيم بقدر ما فيه مِن قوى إنسانية ظاهرة أو باطنة لا بقدر ما فيه مِن الحذلقة والبراعة في صقل الكلمات والعبارات»[95].

ونخلص إلى أنَّ مجموعة «الرابطة القلمية» في فترة وجيزة استطاعت بفضل مفكريها وأدبائها وشعرائها أنْ تكوّن إطاراً ثقافياً مميزاً في المهجر، وأنْ تترك الأثر الفعّال في الشرق العربي، كما أشاع مفكروها تياراً فكرياً وأدبياً خصباً، وتركوا بذوراً أينعت ثمارها في الشعر العربي الحديث.

ومِن الإنصاف أنْ نذكر هنا أنّ مَنْ شاركهم في ذلك أدباء وشعراء المهجر الجنوبي مِن خلال روابطهم وجمعياتهم المتعددة وعلى رأسها «العصبة الأندلسية(1933) «التي قامت مقام الرابطة القلمية التي انقضت في الشمال؛ وقد كتب شفيق معلوف - الذي تولى رئاسة العصبة الأندلسية -، عن غاياتها قائلاً: «إنّ أركانها قد أجمعوا على النضال في سبيل الأدب مِن حيث هو فنّ وجمال، دونما نظر إلى إطار أو مصدر»([96]).

(93) ديوان إيليا أبي ماضي، تحقيق عفيف نايف خاطوم ، ص165.

(94) صابر عبد الدايم ، أدب المهجر ، ص38 .

(95) ميخائيل نعيمة ، المجموعة الكاملة ، م1 ،ط1، 1975، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ص476 .

(96) محمد عبد المنعم خفاجي ، حركات التجديد في الشعر الحديث ، ط1، 1992 ، دار الجيل ، بيروت ، ص181.

## أثر المجموعة في المهجر وفي الشرق العربي:

كانت عقول أبناء الشرق العربي قد بدأت تتفتح نحو التجديد، ولو بصورة أولية، منذ بدء دخول المؤثرات الأجنبية والمبادئ التجديدية التي لاحت في بعض قصائد أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، ثم مطران الشاعر الإبداعي، في مصر[(97)]، وعلى أيدي أحمد فارس الشدياق ومارون نقاش ونجيب الحداد وفرح أنطون وغيرهم مِن اللبنانيين؛ وعن بدايات المؤثرات التجديدية في الأدب العربي، قبل ظهور مجموعة الرابطة القلمية، يقول زكي مبارك: «ظهرت بداية التجديد مع أحمد شوقي، ثم خلفه حافظ إبراهيم فيما بعد؛ الذي لقب بشاعر النيل، وقيل عنه: أنّه أديب لم ترَ مثله أندية الأدب منذ أجيال»[(98)]؛ وهذا التجديد الذي ظهرت بوادره مع شوقي وحافظ، وغيرهما، كان تمهيداً لظهور مدرسة الديوان .

فما أنْ وصلت مجموعة الرابطة القلمية إلى أبناء الشرق العربي حتى تقبلتها القلوب والعقول أحسن قبول، وسارع إلى قراءتها الأدباء والمتأدبون وأخذ أصحاب الصحف والمجلات العربية ينقلون بعض محتوياتها وخاصة ما كان من كتابات ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي؛ وأصدرت دار الهلال كتاب «العواصف» لجبران في طبعة جميلة أنيقة، ثم طبعت له مجموعة أخرى من كتبه، وصدرت له في مصر أيضاً ثنائياته الشعرية المعروفة باسم «المواكب»، ومجموعته المختارة «البدائع والطرائق».

إنّ مجموعة الرابطة القلمية، كانت ثورة على التقليد والجمود، ودعوة إلى التجديد والعكوف على مطالب اليوم والغد، وقد خضع لتأثيرها أعضاء الرابطة، فتآلفت نزعاتهم وميولهم، والتقت أفكارهم ومواهبهم، ثم انتقل تأثيرهم إلى المهاجر الأمريكية الأخرى، ثم إلى الشرق العربي بعد ذلك»[(99)].

وقد أحدثت الرابطة القلمية تأثيراً كبيراً في نهضة الشعر العربي بالمهجر، كما أحدثت ثورة عارمة مِن أنصار القديم عليها، ولكنّها شقت طريقها في عزم وإصرار، حتى أصبح لها أنصار في كل مكان[(100)]، واهتم بعض الأفراد من المعنيين بالأدب في مصر بجمع بعض القطع الشعرية والنثرية مِن أدب المهجر، مثل الذي فعله الأستاذ مُحي الدين رضا حين أصدر كتاب «بلاغة العرب في القرن العشرين» وهو عبارة عن مختارات بأقلام رسل البلاغة العربية – كما جاء في الكتاب – في أمريكا

(97) نادرة جميل سّراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص94 .

(98) زكي مبارك ، الشاعر حافظ إبراهيم ، ط1، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1991 ، ص12 .

(99) حسن جاد حسن ، الأدب العربي في المهجر ، ص63 .

(100) المرجع السابق، الصفحة نفسها .

الشـمالية والجنوبيـة، وكتـب لـه مقدمـة توحـي بعظمـة كتابـات مجموعـة المهجـر؛ يقـول الأسـتاذ رضـا، في مقدمـة كتابـه: «نسـتطيع أنْ نسـمي هـذه المناحـي الكتابيـة والعلـوم الإنشـائية ( الأسـاليب الحيـة ) لأنّهـا حقيقـة تحيـي في نفـس قارئهـا روح الجمـال، وعظمـة الإبـداع، وجـلال المقصـد»[101]؛ ومـا أنْ صـدرت هـذه المجموعـة حتـى نفـدت مـن السـوق بأقـصى سرعـة، وتتابعـت عـلى ناشرهـا كلمـات الشـكر والتأييـد مِـن أشـهر أدبـاء الأقطـار العربيـة مثـل: عبـاس محمـود العقـاد، وإبراهيـم عبـد القـادر المازنـي، والآنسـة مـي زيـادة وغيرهـم؛ فـكان هـذا مشـجعاً لـه عـلى إعـادة طبـع الكتـاب في عـام 1924م[102].

وفي عـام 1924م صـدرت مجموعـة أخـرى مِـن شـعر المهجـر ونشـره في كتـاب بعنـوان «مـا وراء البحـار»، جمعهـا وأشرف عليهـا الأسـتاذ توفيـق سـعيد الرافعـي، وقـد جمـع فيـه مقتطفـات مِـن الـتراث الـذي نـشر في المهجـر مِـن مؤلفـات أمـين الريحانـي، وجـبران، وإيليـا، ورشـيد أيـوب، ونسـيب عريضـة، وعبـد المسـيح حـداد، ووليـم كاتسـفليس وغيرهم؛ وكتـب في مقدمتـه: «إننـا نغبـط أنفسـنا بنـشر هـذه الآثـار، التـي نـرى فيهـا نفعـاً كبـيراً لجمهـور أهـل الأدب ...»[103].

فـكان قبـل أنْ يـذاع الأدب المهجـري في الـشرق، ويتأثـر الأدبـاء بروحـه الحـرة، كان أكثـر الأدبـاء يتنافسـون في تقليـد الأسـاليب العتيقـة، ليبنـوا شـخصياتهم عـلى شـخصيات سـابقة معروفـة، فكانـت تأتـي كتاباتهـم عـلى نمـط واحـد، أو متقاربـة كمـا هـو معـروف. أمّـا بعـد انتقـال الأدب المهجـري إلى الـشرق بطابعـه المميـز لـكل شـخصية، فقـد تأثـر بـه الشـعراء هنـاك؛ وأصبحنـا نـرى في مـصر – مثـلاً – طابعـاً خاصـاً حديثـاً لـكل مِـن: طـه حسـين، والعقـاد، والحكيـم، والمازنـي، والزيـات، وأحمـد أمـين، وفي لبنـان وسـوريا نجـد طابعـاً لـكل مِـن إليـاس أبـي شـبكة، وسـعيد عقـل، ومـارون عبـود، وعمـر أبـي ريشـة، وبشـارة الخـوري، وهكـذا»[104].

وفي غـير مـصر ولبنـان وسـوريا مِـن الأقطـار العربيـة، وُجـد لمدرسـة المهجـر أنصـار كثـيرون ففـي تونـس شُـغف أبـو القاسـم الشـابي بـأدب المهجـر واسـتأسره مِنـه أسـلوب جـبران خليـل جـبران خاصـة، فكانـت النزعـة الجبرانيـة واضحـة في تعابـيره وخيالـه[105]، وفي الحجـاز وُجـدت طائفـة مِـن الشـعراء جنحـت إلى شـعر المهجـر فتأثـرت بأسـلوب جـبران ونعيمـة ونسـيب وغيرهـم؛ كمـا نجـد عنـد بعـض الثائريـن الحجازيـين روحـاً مِـن نثـر المهجـر الـذي يسـميه الدكتـور محمـد منـدور «النثـر المهمـوس»[106].

(101) محي الدين رضا، بلاغة العرب في القرن العشرين، (د.ط)، 1339هـ ، المطبعة الرحمانية ، مصر، الصفحة ب.

(102) نادرة جميل سّراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص95.

(103) أمين الريحاني وآخرون ، ما وراء البحار، تحقيق سعيد الرافعي،(د.ط)، 2020 ، مؤسسة هنداوي، القاهرة ، ص9.

(104) عيسى الناعوري ، أدب المهجر، ص66 .

(105) مجلة الأديب ، بيروت ، لبنان ،السنة الرابعة ، العدد الأول ، 1956 ، ص49 .

(106) مجلة الأديب ، بيروت ، لبنان ، السنة الثالثة ، العدد 12 ، 1955 ، ص42 .

ولكـن ليـس معنـى هـذا أنّ أدب الرابطـة القلميـة لـم يجـد لـه معارضـاً لا في الـشرق ولا في الغـرب أو أنّ كل الأدبـاء كانـوا يؤيدونـه ويدعـون لـه؛ فـككل نزعـة تجديديـة أو فكـرة مسـتحدثه، تجـد نصيبهـا مِـن المعارضـة، فقـد وجـد أدب الرابطـة نصيبـه مِـن المعارضـة في الـشرق العربـي وفي المهجـر نفسـه.

وحـين نفتـح سـجل الشـعر العربـي الحديـث يتضـح لنـا مِـن النظـرة الأولى أنّ شـعراء الرابطـة القلميـة بالمهجـر الشـمالي، بجانـب شـعراء المهجـر الجنوبـي، قـد لعبـوا دوراً أساسـياً في النهضـة الشـعرية التـي عرفهـا العالـم العربـي مطلـع القـرن العشريـن؛ بـل إنّهـم كانـوا رمـوز هـذه النهضـة وصانعيهـا وباعثيهـا، ونفضـوا عـن اللُّغـة العربيـة غبـار المـاضي، وأتاحـوا للشـعر العربـي الانفتـاح عـلى التجـارب الأدبيـة الرياديـة، خصوصـاً الغربيـة منهـا؛ وقـد عـاش هـؤلاء تجـارب مهمـة عـلى جميـع المسـتويات أتاحـت لهـم أنْ يلعبـوا هـذا الـدور التجديـدي، وأنْ يضعـوا هـذه النهضـة الشـعرية والأدبيـة في عالـم عربـي كان لا يـزال يعيـش البـؤس بالإضافـة للاحتـلال الأجنبـي.

وقـد أبـدى الأسـتاذ «محمـد يوسـف نجـم» رأيـه بوضـوح في أدب المهجـر، فيقـول: « ... والـذي يهمنـا مِـن هـذه الحركـة هـو وجههـا الأدبـي، وهـو وجـه مـشرق ناصـع، فقـد كُتـب للكثيريـن مـن هـؤلاء أنْ يـبرزوا في عالـم الأدب والفكـر، كمـا بـرزوا في نواحـي الحيـاة العمليـة؛ ومَـنْ مِنّـا ينكـر المسـاهمة القيمـة التـي شـارك بهـا المهجريـون في نهضتنـا الأدبية الحديثـة، ومَـنْ يجهـل «الرابطـة القلميـة « التـي كان رئيسـها جـبران خليـل جـبران ومِـنْ أعضائهـا: ميخائيـل نعيمـة، وإيليـا أبـو مـاضي، ونسـيب عريضـة و ...وهـذا لا يعنـي أنّ النشـاط الأدبـي في المهاجـر الأمريكيـة انحـصر في هاتـين الجمعيتـين (يعنـي بالثانيـة العصبة الأندلسـية في أمريـكا الجنوبيـة)؛ بـل هنالـك أدبـاء كُثـر لـم ينتظمـوا في سـلكهما...»[107].

ومِـن خـلال هـذا الـرأي وتلـك الآراء، يتبـين لنـا قيمـة شـعر الرابطـة الـذي جمـع مـا بـين الإنسـانية والرومانسـية والتأمـل والتصـوف؛ الناتـج عـن عمـق التجربـة، والتحـرر مـن القيـود والتقليـد، وهـذا في رأينـا مـا منـح أشـعار هـذه المجموعـة، صفـة العالميـة والذيـوع.

عـلى أنّ مِـن الإنصـاف لتأريـخ الحركـة الأدبيـة في المهجـر أنْ نشـير إلى أنَّ الـذي بعثهـا وأحياهـا ونقلهـا مـن جوّهـا المحـدود إلى الجـوّ العربـيّ في مشـارق الأرض ومغاربهـا إنّمـا كان أديـب المهجـر الأكـبر جـبران خليـل جـبران؛ يدعـم ذلـك مـا رواه ميخائيـل نعيمـة في ثنـي كتابـه النفيـس «جـبران خليـل جـبران»[108].

**تأثر أعضاء الرابطة القلمية بالغرب:**

يجدر بنا الرجوع قليلاً إلى الوراء قبل أنْ نتناول هذا الجزء لكي نتساءل:

---

(107) محمد يوسف نجم ، القصة في الأدب العربي الحديث ، (د.ط) ، 1952 ، القاهرة ، مصر، ص86.

(108) ينظر: ميخائيل نعيمة ، جبران خليل جبران ، ط13، 2009، بيروت ، لبنان ، 2009.

مـا الـذي أوحـى إلى تلـك العصبـة مِـن الأدبـاء المهجريـين بتأسـيس هـذه الجمعيـة التـي سـموها «الرابطـة القلميـة»؟ ومَـنْ الـذي نفـخ فيهـا أول مـا نفـخ مِـن روحـه وعزمـه؟ ومَـن الـذي هداهـا إلى هـذه المُثـل والنزعـات الجديـدة التـي اختطّتهـا لنفسـها في عالـم الأدب وسـارت في طريقهـا حتـى لاقـت مـا لاقـت مِـن نجـاح وانتشـار؟

إنّ جُـبران معـروف أنّـه كان المحـرك الأوّل والداعيـة الأكـبر لتأسـيس «الرابطـة القلميـة»، بدليـل انتخابـه رئيسـاً لهـا مِـن قِبَـل جميـع الأعضـاء، وبدليـل هـذا الاهتمـام الشـديد البـادي مِنـه نحـو كل خطـوة يخطوهـا الأعضـاء في طـور تأسـيس الرابطـة وكل اجتمـاع يجتمعـون مِـن أجلهـا؛ ولـو ذهبنـا أبعـد قليـلاً لوجدنـا جـبران كان عـلى صلـة وثيقـة ببعـض الشـعراء الأمريكيـين وشـاعراتهم في ذلـك الحـين، فهـو في أوائـل عـام 1918م قـدّم لصديقـه ميخائيـل نعيمـة، عـدداً مِـن مجلـة «الفنـون السـبعة» «The Seven Arts»، التـي كانـت تصـدر في حُلّـة جميلـة، وكان اسـم جـبران خليـل جـبران بـين أسـماء مديريهـا ومحرريهـا أيضـاً؛ فهـذه المجلـة شـجعت جـبران عـلى الكتابـة بالإنجليزيـة وأعطتـه نمـاذج يعرضهـا في شـعره في الأنديـة الأدبيـة ومكنتـه مـن الاتصـال بجمعيـة الشـعر النيويوركيـة التـي أتاحـت لـه أنْ يلقـي في اجتمـاع مِـن اجتماعاتهـا شـيئاً مـن نتـاج قلمـه؛ فهـذا دليـل عـلى أنّ جـبران كان عـلى صلـة، وعـلى صلـة وثيقـة بعـدد لا بـأس بـه مِـن المنتديـات الأدبيـة الأمريكيـة، وكان بينـه وبـين بعـض شـاعرات أمريـكا وأديباتهـا صداقـة تبلـغ حـد المتانـة والإخـلاص في بعض الأحيـان؛ كتلـك الصداقـة الروحيـة التـي كانـت بينـه وبـين الآنسـة «مـاري هاسـكل « مديـرة إحـدى مـدارس البنـات، ومِثـل التـي كانـت بينـه وبـين الآنسـة « بربـارا يونـج «([109]) التـي كتبـت فيمـا بعـد كتابـاً عـن جـبران كمـا عرفتْـه وعـن ذكرياتهـا معـه وعـن آرائـه وأفـكاره. كان جـبران قـد عُـرف بفنـه وشُـهر برسـومه الدقيقـة في الأوسـاط الأمريكيـة المختلفـة، كمـا أنّـه كان عـلى جانـب مـن الثقافـة يتيـح لـه الاطـلاع عـلى كل مـا وصلـت إليـه يـده مِـن الآثـار الأدبيـة الأمريكيـة، وربمـا وجـد في بعـض هـذه الآثـار مـا يسـتحق التقليـد والاحتذاء؛ فـأدب جـبران خليـط مـن تفاعـل روحـي وفكـري، اسـتمده مـن «وليـم بليـك»([110])، و»رودان»[111]، وغيرهما»[112].

(109) - بربـارا ، شـاعرة أمريكيـة ، كانـت صديقـة لجـبران عاشـت معـه في محترفـه آخـر سـبع سـنوات ،وكتبـت أدق التفاصيـل عـن يومياتـه ، وكيـف أمـلى عليهـا آخـر مؤلفاتـه ، وبعـد وفاتـه سـافرت إلى لبنـان حيـث وضعـت كتابهـا الشـهير " هـذا الرجـل مـن لبنـان " THIS MAN FROM LEBANON ARABIC ترجمة سعيد عفيف بابا، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ،1964.

(110) - وليـم بليـك (1757 – 1827 ) شـاعر إنجليـزي ورسـام صحـف ، يعـد أول شـاعر رومانطيقـي في إنجلـترا (ينظـر: قصائـد وليـم بليـك ، ترجمـة وتقديم ماجد الحيدر ، على موقع واي باك مشين، شبكة الإنترنت ) .

(111) أوغسـت رودان (1840 – 1917 ) فنـان ونحـات وكاتـب فرنـسي ، يعـد أحـد رواد النحـت في القـرن التاسـع عـشر ، مـن أعمالـه البـارزة : المفكـر، وأبواب الجحيم (ينظر : الموسوعة الحرة ، ويكيبيديا ، شبكة الإنترنت ) .

(112) الربح جغابة ، جماليات الشعر المهجري "إيليا أبو ماضي أنموذجاً "، ص29.

فـإنّ جـبران خليـل جـبران اسـتمد مِـن «وليـم بليـك» إنسـانيته، التـي تؤكـد الإخـاء الروحانـي والمسـاواة لذلـك نجـده يتمـرد عـلى الظلـم، والتمييـز بـين النـاس، وضـد ظلـم النظـام، وضـد الملـوك الطغـاة، ويتعصـب للإنسـان العفـوي العـادي كالرعـاة والفلاحـين، وهـم أبطـال قصصـه الإيجابيـين[113].

ومما لا شـك فيـه أنّ الرجـل الثانـي في مجموعـة الرابطـة القلميـة وهـو ميخائيـل نعيمـة، الـذي التحـق بجامعـة واشـنطن عـام 1912 لدراسـة الحقـوق فيهـا، وظـل فيهـا أربـع سـنوات حتـى نـال شـهادة الحقـوق سـنة 1916؛ فلـم يَفُتْـهُ مـدة دراسـته الاطـلاع عـلى أسـس الثقافـة الأمريكيـة والأدب الأمريكـي بمراحلـه المختلفـة.

وأغلـب الظـن أنّ بقيـة عمـال الرابطـة مِمَّـنْ أحسـنوا اللغـة الإنجليزيـة – أو عرفوهـا عـلى الأقـل كتابـة وقـراءة – قـد اطلعـوا هـم الآخريـن عـلى ذلـك الأدب الأمريكـي والحـركات الأدبيـة المعروفـة في تاريخـه، وعـلى آثـار رجالـه المعروفـين وشـاعراته المعروفـات؛ وليـس مـن الممكـن أنْ تعيـش جماعـة أدبيـة كهـذه الجماعـة المفكـرة المجـددة في بلـد أجنبـي اللغـة والآداب ولا تطلـع عـلى مـا لهـذا البلـد مِـن آثـار أدبيـة هـي في صميـم موضـوع اهتمامهـا؛ ولكـن رغـم ذلـك كانـت الـروح العربيـة تهيمـن عـلى نتاجهـم والاهتمـام باللغـة العربيـة الهـدف الأهـم مِـن أهدافهـم[114].

وقـد كانـت الثقافـة والتاريـخ و الحضـارة الشرقيـة أقـوى مِـن كل مـا عداهـا في تكويـن أدبهـم، وأنهـم عملـوا بقـول غانـدي: «لا أريـد لبيتـي أنْ يكـون مسـتوراً مِـن جميـع الجهات ولنوافـذي أنْ تكـون مغلقـة، أريـد أنْ تهـبّ عـلى بيتـي ثقافـات كل الأمـم بـكل مـا أمكـن مِـن حريـة، ولكنّـي أنكـر عليهـا أنْ تقتلعنـي مِـن أقدامـي» [115].

ولا نشـك في أنّ للبيئـة الأمريكيـة أثـر واضـح عـلى أدب المهجـر بوجـه عام، وعـلى شـعراء الرابطة القلميـة عـلى وجـه خـاص؛ فالذيـن كتبـوا عـن الرابطـة قـد لمحـوا في آثـار أعضائهـا بعـض التأثـر بالمدرسـة الرومانسـية، وهـم يعترفـون أيضـاً بوجـود شـبه كبـير بـين الرابطـة القلميـة وبـين تلـك المدرسـة الرومانسـية؛ وليـس غريبـاً مطلقـاً أنْ يكـون شـعراء العـرب في أمريـكا الشـمالية قـد اطلعـوا عـلى هـذه الآداب وفهمـوا مذاهبهـا وأهدافهـا، وراقتهـم أفكارهـا وآراؤهـا فاحتـذَوْا حذْوَهـا وعملـوا مثلهـا، فقـد كان للبيئـة الأمريكيـة فضـل عـلى أدبائنـا المهاجريـن، هـو غـير الثقافـة والحريـة ومـا أشـبه ذلـك؛ فهـذا الفضـل هـو عزلهـم عـن دنيـا الإقطاعيـة الفكريـة وعـن الأوسـاط الرجعيـة التـي كانـت تعتقـد أنّ اللُّغـة العربيـة لا تنتـصر[116].

(113) فصل سالم العيسى ، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص59.

(114) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ، ص66.

(115) المرجع السابق ، ص67.

(116) المرجع السابق ، ص116

وقد تأثر الأدباء المهجريون بالأدب الإنجليزي أيّما تأثر، وقلّدوه في بعض أنواعه مثل: الشعر المرسل، والشعر الحر، وترسموا خطى «والت ويتمان»[117] الأمريكي في ديوانه الذي أودعه شعره الحر، وسماه «أوراق العشب»، وقلّدوه كذلك في كثرة الحديث عن النفس وتأملاتها وفي الكلام عن الضمير والوحدة وفي نزعته الصوفية»[118].

ونجد ميخائيل نعيمة يعترف بأنّ الأدب العربي الحديث قد أخذ عن الغرب أمثولة جعلها حجر الزاوية في نهضته الأدبية، فيقول: «أدركنا – بفضل الغرب – أنّ نظم الشعر ممكن في غير الغزل والنسيب، والمدح والهجاء، والوصف والرثاء، والفخر والحماسة»[119].

فإنّ معظم ممَّن كتبوا عن «الرابطة القلمية»، قد لمحوا في آثار أعضائها بعض التأثر بالنزعة الرومانسية الأوربية؛ وهم يعترفون أيضاً بوجود شبه كبير بينها وبين تلك المدرسة الرومانسية التي نشأت في فرنسا؛ حتى في أسباب تكوّنها، فهناك الثورة الفرنسية وهنا الحرب العظمى؛ وحتى في الفن والتصوير فهما متشابهان، إلّا أنّ المدرسة الرومانسية كان لها أكثر مِن مصور بينما للرابطة القلمية مصور واحد هو جبران؛ ويذهب البعض إلى أكثر مِن هذا فيقولون: «إنّ ميخائيل نعيمة ناقد الرابطة القلمية يأخذ نفس المكانة فيها كتلك التي أخذها «سنت بيف» ناقد المدرسة الرومانسية»[120].

والمطلع على أدب الرابطة القلمية يلاحظ أنّ غالبه جاء إنعكاس لتفاعل روحي وفكري، مستمد مِن بعض أدباء الغرب، كوليم بلايك، ونيتشه، وورودان، وغيرهم، خاصة أدب جبران خليل جبران. وعلى الرغم مِن أنّ أدباء الرابطة تعمقوا في الآداب الغربية واستمدوا منها بعض صورهم، وتأثروا ببعض مدارسهم الأدبية، لكنّهم لم يذوبوا فيها، ومِن الثابت أنّ الرابطة القلمية لم تتأثر خُطى أي رابطة عربية قديمة في الشرق أو الغرب، بل على العكس، لقد كان مِن أهدافها أنْ تكون جديدة في بابها، طريفة في أسلوبها، لم يسبق لها مثيل في الأدب العربي»[121].

(117) والت ويتمان (1819 – 1892 ) شاعر وكاتب وصحفي أمريكي ، أحد أهم شعراء أمريكا وأكثرهم تأثيراً في القرن التاسع عشر ، وكثيراً ما يوصف بأنّه أبو الكتابة الحرة ، أشهر دواوينه " أوراق العشب " (ينظر: ديوان أوراق العشب لوالت ويتمان ، ترجمة سعدي يوسف ، ط1، منشورات الجمل ، بيروت ، 2010 ، ص1 وما بعدها ) .

(118) عمر الدسوقي ، في الأدب الحديث ، ج2 ، ط1، 1950، دار الفكر ، القاهرة ، ص232 .

(119) ، ميخائيل نعيمة ، الغربال ، ط15، 1991 ، مطبعة نوفل للنشر ، بيروت ، لبنان ، ص 84 .

(120) نادرة جميل سّراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص101.

(121) نادرة جميل سّراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص99.

## المبحث الثاني

# أعلام الرابطة القلمية

أُنشئت الرابطة القلمية في نيويورك عام 1920 – كما مرّ في المبحث الأوّل من هذا الفصل– على يد نخبة من أدباء وشعراء المهجر الشمالي، بهروا بأعمالهم الإبداعية العالم العربي شرقاً وغرباً مِن الأمريكتين، وقد تركوا لنا تراثاً أدبياً راقياً فيه نغمة التجديد، وروح الشرق، ومظاهر إنسانية نبيلة؛ إذن مَنْ أعلام هذه الرابطة؟ وكيف كانت نشأتهم وحياتهم؟ وما أعمالهم وآثارهم الأدبية التي خلدوها لنا ولأجيال الأمة العربية؟

فيستحسن أنْ نخصص هذا المبحث لعرض نبذة تعريفية لكل مِن أعلام الرابطة القلمية وأعضائها العشرة؛ متناولين في ذلك: نشأتهم، وحياتهم، ومراحلهم التعليمية، وأعمالهم الأدبية؛ معتمدين في كل ذلك، على كتب التراجم ومؤلفات الأدباء، ودواوين شعراء الرابطة القلمية أنفسهم، وبعض كتابات الباحثين المحدثين في العالم العربي.

### جبران خليل جبران (1883 – 1931)

هو جبران بن خليل بن ميخائيل بن سعد، عميد الرابطة القلمية، ولد في بلدة (بشرى ) في شمال لبنان في السادس من يناير سنة 1883م، والده خليل المكلف بجباية الرسوم على الماشية، أمّا أُمه فهي «كامّلا» ابنة الخوري اسطفان رحمة، وقبل زواجها من خليل كانت أرملة حنا عبد السلام، ومات عن ولد اسمه بطرس ولما عادت إلى أبويها تزوجها خليل فرزق منها جبران وأختاه سلطانة ومريانا، وكانت امرأة ذات ثقافة محدودة، غير أنّها كانت تتحلى بإرادة وهمة قويتين ساعدتاها على تدبير شؤون المنزل[122].

كان لأُم جبران تأثير بليغ في نشأته وتوجيهه في الحياة، قال عنها في رسالة موجهة إلى الكاتبة «مي زيادة» في 1920م: « كانت محبوبة في محيطها ما عهدتها في أدنى درجاتها أقل مِن شقيقة، ولا أعلى في درجاتها أقل مِن سيدة، لقد أفهمتني، وأنا بعد في الثالثة أنّ الرابطة بيننا هي كما بين صديقين رابطة حبّ متبادل، وأنّنا كائنان مستقلان جمعتهما يد الحياة الشريفة، كانت أعجب كائن عرفتها في حياتي»[(123)].

وما أنْ بلغ سن الخامسة مِن عمره أُلحق بمدرسة قريته «بشرى» فتلقى مبادئ القراءة والكتابة ، ولم ينعم طويلاً في حداثته إذ ضاقت أسباب الحياة أمام عائلته،

(122) جبران خليل جبران ، المجموعة الكاملة ، ص11 .

(123) جبران خليل جبران ، المجموعة الكاملة ، ص6.

لأنّ الأب أُتهم باختلاس ما كان يجبيه مِن الرسوم فسجن وحجزت أملاكه، فما كان مِن الأم إلا أنْ غادرت الوطن ومعها أولادها الأربعة، قاصدة الولايات المتحدة الأمريكية حيث نزلوا في مدينة «بوسطن» سنة 1895م ناشدين العمل والحرية، فعملت «كاملا» وابنها الأكبر «بطرس» في التجارة[124].

وأُدخل جبران في مدرسة مجانية وكان آنذاك في الثانية عشر مِن عمره، وكان جبران يقضي معظم أوقاته في الرسم ومطالعة الروايات الإنجليزية التي كانت تختارها له معلمته، ولما اكتشفت معلمته هوايته في الرسم، أوصت به إلى «فريد هولاند الـتري» الذي كان يشجع الفنانين الناشئين، ولما رأى مواهبه أعجب به فتبناه فنياً[125].

وفي معرض لـ «فريد هولاند الـتري»، التقي جبران سنة 1898م شاعرة فنية اسمها «جوزيف بيودي» فأعجب بها وهناك خفق قلبه لأول مرّة في هذه المرحلة، وأصبح أيضاً يتقن فنَّ التصوير[126]؛ ثم أُرسل جبران إلى بلده «لبنان» ليدرس اللغتين العربية والفرنسية، فالتحق بمعهد «الحكمة» في بيروت حيث تلقى دروسه على يد مشاهير الأساتذة أمثال: الخوري يوسف حداد، وأمضي في معهد «الحكمة» ثلاث سنوات تبلورت مِن خلالها مواهبه في الرسم والكتابة[127].

وفي عام 1908م سافر جبران إلى باريس ليكمل الموهبة الفنية فيه، فأقام فيها ثلاث سنوات حصل بعدها على إجازة عالية في التصوير مِن معهد «الفنون الجميلة» وفاق بالسبق والتقدم مئات مِن المتقدمين معه لهذه الإجازة الرفيعة مِن شعوب شتى[128].

وفي مدينة العلم والنور(باريس) بفرنسا اتصل جبران بالنّحات العالمي «رودان» وزاره في محترفه، وسمع منه حديثاً عن الشاعر الفنان «وليام بليك» وكيف التقى فيه الشعر والتصوير، ومِن هنا فتن جبران بالشعر، وتمنى لو اجتمع فيه الفنان والشاعر كما اجتمعا في «وليم بليك» ؛ يقول محمد عبد الغني حسن في كتابه «الشعر العربي في المهجر»: «وما خابت أمنية جبران، فقد التقى فيه الفن الجميل والشعر، وإنْ كان شاعراً تحرر مِن قيود الوزن والقافية إلى أبعد الحدود، فإنه يغلب على كتاباته النثر الشعري أو الشعر المنثور، أما الشعر المقفى الموزون فقد كان مقلاً فيه؛ ولكن له مع ذلك قصيدته «المواكب» التي اجتمع فيها شعره ورسمه»[129]. ومطلعها :

---

(124) ربيعة براخلية ، شعرية السرد القصصي عند جبران خليل جبران، ص 24.

(125) بريك نزار هنيدي، الأجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران ، ص 14.

(126) ربيعة براخلية ، مرجع سابق ، ص27 .

(127) بريك نزار هنيدي، مرجع سابق ، ص10 .

(128) محمد عبد الغني حسن ، الشعر العربي في المهجر، ص210 .

(129) المرجع السابق ، ص212.

الْخَــيرُ فِي النّـاسِ مَصْنُــوعٌ إذا جُــبروا * والـشَّرُ فِي النّـاسِ لا يَفْنــى وإنْ قُــبِروا
وأكْثَــرُ النَّـــــاسِ آلاتٌ تُحَرِكَهـــا * أصابِـعُ الدّهـرِ يومـاً ثُمَّ تنْكَـسِرُ[130]

قـرر جـبران في العـام 1912م أنْ يبـدأ الكتابـة باللغـة الإنجليزيـة لكـي لا تقتـصر مجموعـة قـراءه عـلى متحدثـي العربيـة فقـط، فكانـت أولى منشـوراته بالإنجليزيـة مجموعـة نصـوص مـن قصـة «المجنـون the madman»[131]؛ فقـد كان جـبران مِـن أحـد الأدبـاء العـرب القليلـين الذيـن كان لهـم إنجـازات باللغتـين العربيـة والإنجليزيـة حيـث حقـق نجاحـاً كبـيراً في التأليـف باللغـة الإنجليزيـة، وأصـدر عـدد مِـن الكتـب وصـل إلى الثمانيـة، وذلـك خـلال ثمانيـة أعـوام [132].

وكان للمـرأة دور كبـير في حيـاة جـبران خليـل جـبران؛ بـل وتكويـن شـخصيته الفكريـة والفنيـة، وقـد تجـلى ذلـك واضحـاً في جميـع مؤلفاتـه، إذ تعـددت العلاقـات الغراميـة التـي أقامهـا جـبران خليـل جـبران أبرزهـا كان مـع «جوزفـين بيبـودي»، و«حـلا الظاهـر»، و«سـلطانة ثابـت»، و«مـاري هاسـكل»، و«إميـلي ميشـال»، و«شـارلوت تايلـر»، و«مـاري قهوجـي»، و«مـاري خـوري»، و«جيتريـد بـاري»، و«بربـارة يونـج»، و«ماريتـا لوسـن»، و«هيلانـة غسـطين»، و«مـي زيـادة»[133]؛ وموقـف جـبران يلتقـي مـع موقـف الشـاعر الهنـدي «رابندرانـات طاغـور إزاء المـرأة، يقـول وفيـق غريـزي: «يقـف جـبران مـع طاغـور ووليـم بليـك وغيرهمـا عـلى ضفـة واحـدة مِـن قضيـة المـرأة، وكانـت المـرأة بالنسـبة لـه رمـز الأم الكـبرى – الأرض – معـدن العطـاء، وأنّ الإنسـان بـدون حـب يبقـى كائنـاً حيّـاً لا يتعـدى ماديـة اللحـم والـدم»[134]؛ وخـير مَـنْ عـبّر عـن هـذا المفهـوم أبـو مـاضي في قصيدتـه « كـن بلسـماً »، عندمـا قـال:

أحْبِــبْ فَيَغْــدُو الْكُــوخُ كوْنــاً نــيّراً * وابْغُــضْ فيُمْسِي الْكَـوْنُ سِـجْناً مُظْلِما
مــا الْـكأسُ لَــولا الخَمْــرُ إلّا زُجَاجَــةٌ * والمَـرْءُ لَولا الْحُـــــبُّ إلّا أَعْظُما[135]

والمطلـع عـلى مؤلفـات جـبران خليـل جـبران، يجـد أنّـه لـم يلتـزم بلـون أدبـي وحيـد فكتب في جميـع الألـوان الأدبيـة، حيـث نظَـمَ الشـعر وألّـف الروايـة والقصـة وكتـب المقالـة؛ أمّـا بالنسـبة لجـبران الشـاعر فإنّـه لـم يتبـع الأسـلوب الشـعري التقليـدي، فأسـلوبه الشـعري يُلاحـظ مِنـه تأثـره بالثقافـة والأدب الغربـي، وقـد ترجمـت مؤلفاتـه إلى عـشرات اللغـات؛

(130) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة (الشعر)،ص19.

(131) إسكندر نجار ، قاموس جبران خليل جبران، 2008، ص213 .

(132) السيد مرسي أبو ذكرى ، المقال وتطوره في الأدب المعاصر، ط1، 1981 ، دار المعارف، مصر ، ص196 .

(133) وفيق غريزي ، نساء في حياة جبران وأثرهن في أدبه ، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر ، 1992.

(134) المرجع السابق، ص10.

(135) زهير ميرزا ، ديوان إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ص657.

ومِن مؤلفاته التي ترجمت إلى اللغة الصينية، رمل وزبد، والنبي، ودمعة وابتسامة، والمواكب، والأجنحة المتكسرة، وفي عام 1999م نشرت دار الجيل ببيروت المجموعة الشعرية الكاملة لجبران خليل جبران جمعها وقدّم لها أنطوان القوّال[136].

ولعل ترجمة ميخائيل نعيمة لـ «جبران خليل جبران» هي أبدع ما في كتب التراجم في الأدب العربي، فقد صور فيها نشأته وحياته وموته، وفنه وأدبه تصويراً حياً نابضاً، وصور لنا هذه الروح الأدبية المفكرة التي أطلت على سماء الدنيا.

توفي جبران خليل جبران في أبريل عام 1931م في مدينة نيويورك، وكانت أمنيته أنْ يُدفن في لبنان، وفي أغسطس مِن السنة نفسها نُقل جثمانه إلى لبنان، حيث شيع في موكب رهيب إلى بلدته «بشرى» وهناك دفن في ثرى الأرض التي وهبته إلى العالم الجديد، ثم استردته إلى أحضانها مِن جديد[137].

## ميخائيل نعيمة (1889 – 1988)

أديب وشاعر لبناني ولد عام 1889م بقرية «بسكنتا» بجبل لبنان، تلقى تعليمه الأولي في قريته «بسكنتا»، وأظهر نجاحه وتفوقه، فأرسل إلى مدينة الناصرة بفلسطين لمتابعة دراسته، وبعدها في عام 1906م أُوفد إلى معهد«بولتافا» في روسيا، فمكث هناك ما يقارب خمس سنوات، فتعلم الروسية ونَظَمَ الشعر ثم عاد إلى وطنه (لبنان)[138]، وعن هذه الفترة التي قضاها ميخائيل نعيمة في بولتافا الروسية يقول محمد عبد الغني حسن في كتابه «الشعر العربي في المهجر»: «وتزود جبران مِن الأدب الروسي بزاد خصيب، حتى برع في الكتابة بالروسية والنظم فيها، وما قصيدته «النهر المتجمد» إلا أثر مِن آثاره الفكرية باللغة الروسية، نقلها بعد حين إلى لغة الضاد»[139]. وفي عام 1911م شدَّ ميخائيل نعيمة الرحال مهاجراً إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فدرس الحقوق في جامعة واشنطن، ثم جُنّد عام 1918م مع الجنود الأمريكيين، وألقت به الأقدار إلى جبهة فرنسا، وأُتيحت له بعد الحرب بعثة تعليمية في جامعة «ربن» الفرنسية، فدرس تاريخ الآداب والفنون، والتاريخ السياسي لفرنسا وفي عام 1919م عاد ميخائيل نعيمة إلى مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، وساهم في إنشاء الرابطة القلمية، وصار مستشاراً لها، وظل في نيويورك ثلاثة عشر عاماً حيث غادرها إلى لبنان سنة 1932م ليعيش في ذرا «صنين»، وفي أكناف بسكنتا الهادئة، وفي ظلال الشخروب حيث مزرعة له ورثها عن آبائه[140]. ومِن الإنصاف

---

(136) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة (الشعر ) ، 1999 .

(137) محمد عبد الغني حسن، الشعر العربي في المهجر، ص214 .

(138) محمد بوزواوي ، موسوعة الشعراء العرب، (د.ط)، 2010، دار هومة ، الجزائر، ص512.

(139) محمد عبد الغني حسن، ، مرجع سابق، ص157.

(140) محمد عبد الغني حسن ، الشعر العربي في المهجر، ص158 .

أنْ نذكر سيرة حياة ميخائيل نعيمة كما سردها بنفسه شفاهة للشاعر المهجري جورج صيدح، فيقول صيدح: «أوجز ميخائيل سيرة حياته في حديث شافهنا به فقال: «أنا الولد الثالث بين خمسة أخوة وأخت واحدة مِنْ عائلة بسيطة كادحة، غادرت بسكنتا عام 1902م ولي مِن العمر ثلاثة عشر عاماً والتحقت بمدرسة المعلمين الروسية في الناصرة، وبعد أربع سنوات اختارتني إدارة المدرسة لتحصيل العلم على نفقتها في روسيا، فسافرت إلى بولتافا ودرست في كليتها خمس سنوات، ثم توجهت إلى الولايات المتحدة الشمالية عام 1911م بعد أن قضيت الصيف في لبنان، ونزلت ولاية واشنطن حيث يقيم أخواي في مدينة صغيرة اسمها «والاوالا»، ودرست الحقوق والآداب في جامعتها إلى عام 1916م وجعلت أنشر في مجلة «الفنون» مقالات نقدية وقصصاً، فراسلني صاحب المجلة نسيب عريضة ودعاني بإصرار للقدوم إلى نيويورك. وهناك تعرفت إلى الأدباء الذين تكوّنت منهم «الرابطة القلمية». وفي عام 1918م انخرطت في الجنديّة تحت اللواء الأمريكي وذهبت إلى ساحة الحرب في فرنسا، وبعد انتهاء الحرب مكثت شهوراً في جامعة «ربن» في فرنسا ثم تركت الجنديّة وعدت إلى نيويورك وأقمت فيها ثلاثة عشر عاماً، أسهمت في خلالها في نشاط الرابطة الأدبي بينما كنت اشتغل موظفاً في متجر براتب متواضع؛ وبعد أنْ توفي جبران عولت على مغادرة المهجر فحملت كتبي المخطوطة وعدت إلى لبنان عام 1932م»[141]. ونلاحظ أنّ سيرة حياة ميخائيل نعيمة التي دونها مؤرخو الآداب والباحثون تتطابق تماماً مع سيرة حياته الموجزة التي حكاها بنفسه شفاهة للشاعر والكاتب السوري جورج صيدح[142] دون أي اختلاف.

أمّا عن مؤلفات ميخائيل نعيمة في مجال الأدب فقد تخطت الثلاثين مؤلفاً؛ ففي مجال القصة نشر نعيمة مجموعته القصصية الأولى سنة 1937م بعنوان «كان ما كان» وفي عام 1956م نشر مجموعته القصصية الثانية «أكابر» ثم المجموعة الثالثة « أبو بطة « في العام 1958م و «هوامش» في العام 1965م. وفي مجال المسرح وضع نعيمة مسرحيته « الآباء والبنون عام 1918م ، تلتها مسرحية «أيوب» في عام 1967م. أمّا إنتاج نعيمة في الشعر، فكان مجموعته الوحيدة ديوان «همس الجفون» الذي يحتوي على قصائد مَنظومة باللغة العربية وأخرى معربة، كان قد نَظَمها بالإنجليزية وصدرت المجموعة عام 1945م في بيروت. وفي مجال الرواية فقد كتب نعيمة عدد مِن الروايات مِنها: لقاء (1948م)، ومذكرات الأرقش (1949م)؛ أمّا عن أشهر مؤلفاته كتابه الفريد «الغربال» (نيويورك 1922م)، وهو أحد المؤلفات النقدية له، وكتاب

(141) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا، ص260

(142) جورج بن ميخائيل بن موسى صيدح(1893-1978)، ولد بدمشق ، اتجه إلى أوربا عام 1927 ثم سافر إلى فنزويلا فأقام فيها عشرين عاماً، ثم انتقل عام 1947إلى الأرجنتين وأسس فيها الرابطة الأدبية (1949-1951) ، من أشهر مؤلفاته:أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ويعد ضمن شعراء المهجر الجنوبي. (شموع في الضباب لعيسى فتوح ، ط1، 1992، دار المنارة ، بيروت ودمشق ).

جـبران خليـل جـبران: حياتـه – موتـه – أدبـه – فنـه (1934م)؛ وعـن كتابـه الفريـد «الغربـال»، يقـول جـورج صيـدح: «سـتجري ميـاه كثـيرة في الغـدران قبـل أن يظهـر في الأدب العربـي كتـاب يماثـل «الغربـال» في النقـد الأدبـي، إنّـه وضـع الأشـياء في موضعهـا ووزن القيـم بميزانهـا الصحيـح»[143].

وفي عـام 1960م أتحـف نعيمـة الأدب العربـي بترجمـة حياتـه في كتابـه «سـبعون» في ثلاثـة أجـزاء؛ أمّـا سـائر مؤلفاتـه في نظـره هـي أهـم مـا أنتـج قلمـه- وإنْ لـم نذكرهـا جميعها-؛ فهـي بـلا شـك مِـن دعائـم النهضـة الأدبيـة، فـإنّ مؤلفاتـه التـي أنتجهـا في صومعـة الشـخروب في لبنـان: «هـي سلسـلة مـن التعاليـم الروحانيـة والتحاليـل الفلسـفية الراميـة إلى إصـلاح المجتمـع البـشري بقـوة الـروح، وتربيـة النفـوس عـلى فضائـل المحـب»[144].

تابـع ناسـك الشـخروب[145](ميخائيل نعيمـة) مسـيرته الأدبيـة في وطنـه (لبنـان) حتـى رحيلـه في 29 مِـن فبرايـر عـام 1988م، عـن تسـعة وتسـعين عامـاً[146].

**إيليا أبو ماضي ( 1889 – 1957 )**

هـو إيليـا بـن ضاهـر أبـي مـاضي شـاعر لبنانـي مـن كـــــبار شـعراء المهجـر، ولـد في قريـة «المحيدثـة» بلبنـان سـنة 1889م، غـير أنّ الأسـتاذ محمـد قـره في مقاليه المنشـورين في جـريدة»الحياة» اللبنانيـة عـلى أثـر وفـاة الشـاعر، يقـول إنّـه قـد سـأل أبا مـاضي عن تاريـخ مولـده حـيـن زار لبنان سـنة 1948م ،

فأجابـه بأنّـه ولـد عـام 1980م – وهـذا خطـأ طباعـي واضـح، وهـو حتمـاً يقصـد سـنة 1890م –، وقـد ذكـر محقـق ديـوان إيليـا أبـو مـاضي الدكتـور عفيـف نايـف حاطـوم في مقدمـة الديـوان التـي جعلهـا عـن سـيرة أبـي مـاضي، أنّـه وُلـد سـنة 1890م [(147)]؛ ويكـون بذلـك وافـق مـا ذكـره الأسـتاذ محمـد قـره، وهنـاك روايـة أخـرى ذكرهـا جـورج صيـدح في كتابـه «أدبنـا وأدباؤنـا»[148]، يقـول فيهـا: إنّ أبـا مـاضي ولـد سـنة 1891م، ثـم تجـيء روايـة رابعـة؛ فحـين نعـت جريـدة (الحيـاة) أبـا مـاضي في 1957/11/24م، ذكـرت أنّـه وُلـد عـام 1894م وأنـه قـد تـوفي عـن أربعـة وسـتين عامـاً.

---

(143) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص 262.

(144) المرجع السابق، ص268.

(145) ناسـك الشـخروب : لقـب أطلقـه الكاتـب اللبنانـي توفيـق يوسـف عـوّاد عـلى ميخائيـل نعيمـة في مقالـة كتبهـا عنـه في جريـدة الـبرق عام 1932م .( مجلة القافلة الألكترونية ، الأستاذة لوركا حيدر ، المملكة العربية السعودية ، 2018 ).

(146) بوابة فيتو الإخبارية الإلكترونية، شركة الأحرار للنشر، مصر، الأربعاء 27 فبراير 2013.

(147) ديوان إيليا أبو ماضي ، تحقيق وشرح الدكتور عفيف نايف حاطوم، ص7 .

(148) - عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص333.

نلاحظ أنّ»هناك اختلاف غير قليل في السنة التي رأي فيها أبو ماضي نور الوجود، ولكن نرى الصواب فيما ذكرته جريدة «السائح» في عددها الممتاز لعام 1927م تذكر أنّه وُلد عام 1889م، وهي حتماً لم تأتِ بهذا التاريخ اعتباطاً، لعضو مِن أبرز أعضاء الرابطة القلمية التي كانت «السائح» لسانها الرسمي، وندوتها الفكرية، فلا بدّ أنّها أخذته مِن الشاعر نفسه، ولذلك ظل تاريخ «السائح» هو التاريخ الذي يعتمد عليه كل مَن يكتب عن إيليا، ويتعرض لتاريخ مولده» [149].

ويستغرب الباحثون لهذا التضارب في مولد الشاعر إيليا، فيقول عيسى الناعوري:» وغريب جداً أن تتضارب الروايات إلى هذا الحد في مولد شاعر عظيم كأبي ماضي، كان إلى الأمس القريب ملء السمع والبصر والقلب، وليس غريباً إذن أنْ تتضارب الروايات في التاريخ لإنسان مِمّن عاشوا في العصور المتقدمة»[150].

وحينما بلغ أبو ماضي الثامنة مِن عمره أرسله والده برفقة شقيقه الأكبر مراد إلى مدرسة اليسوعية في «بكفيا»، فكان أثناء عودته إلى منزله عند المساء يتسلَّق حائطاً في الطريق ويأخذ يخطب في رفاقه منتقداً بعض أقربائه أو وجهاء ضيعته، وكان فيما يبدو صاحب قريحة شعرية منذ صغره؛ فمن شعره – مثلاً – وهو في سن الثامنة من عمره ، يقول بلهجة عربية لبنانية:

**عَنّا جُردون[151] يَا أَخْوان * بِيطْلَع قنْطار بِالقبّان**
**لَمّن يَجي ساعة بالليلِ * يبقى يصهل مثل الخيل**
**كَانَ عِنّا مِنْ القَمْحِ كَيْل * روَّحهم بِلَيْلة دَخّان[152]**

فكان أهل المنطقة يستظرفون حديثه فيطلبون مِنه أنْ يحدثهم عن ذلك الجردون الكبير الضخم الذي لم يكن يتورّع عن إقلاق مضجعهم كُلَّ مساء خلال رقادهم في منزلهم، فكان ينشدهم مثل تلك الأبيات، ويقول دكتور عفيف حاطوم عن مصدر تلك الأبيات: «ذكرت لي هذا الشعر جارة أبي ماضي السيدة «جميلة عفيش»، وذلك لدى قيامي بزيارتها بتاريخ 10 ابريل سنة 1964م في منزلها الذي أقعدتها فيه الشيخوخة »[153]. وحينما بلغ أبو ماضي الحادية عشرة مِن عمره رحل إلى مصر سنة 1902م بهدف التجارة مع عمه الذي كان يمتهن تجارة التبغ (السجائر)،

(149) ميرغنى حمد ميرغني، النزعة الإنسانية في شعر إيليا أبو ماضي، ص180.

(150) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص334 .

(151) الجردون:الجرذ (الفأر) جنس من القوارض. (ينظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ، ط5، القاهرة، 2011 ) .

(152) ديوان إيليا أبو ماضي ، مرجع سابق، ص8.

(153) ديوان إيليا أبو ماضي ج2 ، تحقيق وشرح الدكتور عفيف نايف حاطوم ، ص8 .

وهنـاك التقـى بأنطـون الجميـل[154]، الـذي كان قـد أنشـأ مـع أمـين تقـي الديـن[155] مجلـة «الزهـور» فأعجـب بذكائـه وعصاميتـه إعجابـاً شـديداً ودعـاه إلى الكتابـة بالمجلـة، فنـشر أولى قصائـده وتـوالى نـشر أعمالـه، إلى أنْ جمـع بواكـير شـعره في ديـوان أطلـق عليـه «تـذكار مِـن المـاضي» وقـد صـدر في سـنة 1911م عـن المطبعـة المصريـة، وكان أبـو مـاضي يبلـغ مـن العمـر اثنـين وعشريـن عامـاً آنـذاك[156].

وقبـل أنْ ننتقـل مـع أبـي مـاضي إلى بـلاد المهجـر الأمريكـي، نقـف ليذكـر لنـا بإسـهاب في قصيدتـه «الميميـة» شـيئاً مهمـاً عـن إقامتـه في مـصر، فيتضـح لنـا منهـا ذاك الحنـين الصامـت لأيـام جميلـة قضاهـا هنـاك؛ فلنسـتمع إليـه متحدثـاً عـن ذكرياتـه في مـصر في بعـض مِـن أبياتهـا، فيقـول :

**لَيْـسَ الْوُقُـوفُ عَـلَى الأّطْـلَالِ مِـنْ خُلقِـي ❊ ولا البُـكاء عَـلى مـا فـاتَ مِـنْ شـيَمِي**
**لَكـنّ (مِصْراً) ومَـا نَفْـسِي بِناسـيةٍ ملْكيّة ❊ الـشّرقِ ذَات النّـيلِ والْهـرمِ**
**صَرفْـتُ شَـطرَ الصّبـا فِيهـا فما خَشـيتْ ❊ نَفْـسِي العثـار ولا نَفْـسِي مِـن الْوصَـمِ**
**فِي فتْيـةٍ كالنّجُـومِ الزُّهـرِ أوجُـهُـم ❊ مَـا فِيهـم غَـيْر مَطْبُـوعٍ على الكَـرَمِ**
**لا يَقْبِضُـونَ مَـعَ الألـواءِ أيْديهـم ❊ وقلّمـا جَـادَ ذُو وَفـرٍ مَـع الأزمِ[157]**

وفي عـام 1912م انتقـل أبـو مـاضي إلى المهجـر الشـمالي، وهنـاك أقـام أربـع سـنوات في مدينـة سنسـناتي بولايـة (أوهايـو) يعمـل في التجـارة مـع أخيـه مـراد، ويقـول جـورج صيـدح عـن إقامتـه في سنسـناتي[158]: «إنّ هـذه السـنوات الأربـع التـي قضاهـا بعيـداً عـن دنيـا الأدب، كان لهـا تأثـير عـلى شـاعريته, فقـد تطـورت بسرعـة عجيبـة، حتـى غـاب عـن قصائـده المنظومـة في خلالهـا ذلـك الشـاعر المقلـد الـذي يقـول في ديوانـه الأوّل:

**بِيـضٌ تَرائِبُهـا سُـودٌ ذَوائبُهـا ❊ زُجٌّ حَواجِبُهـا كُـحلٌ مآقِيهـا**
**دُهِشْـتُ حَتّـى كَأنّـي لَـم أرَهـا ❊ وَكِـدتُ واللـهِ أنْـسى أنْ أُحَيّهـا[159]**

---

(154) أنطـون باشـا بـن جميـل (1887 – 1948 ) كاتـب وصحفـي لبنانـي ثـم مـصري ، ولـد في بـيروت هاجـر إلى مـصر طلبـاً للحريـة وأصـدر مجلـة الزهـور عـام 1910م مـع أمـين تقـي الديـن . (ينظـر : أنطـون الجميـل العاشـق الـذي مـات أعـزب، بقلـم : واسـيني الأعـرج ، جريدة المدينة المنورة ، دار العلم للطباعة والنشر ، أغسطس ، 2017 )

(155) أمـين بـن سـعيد بـن حسـين تقـي الديـن ( 1884 1937– ) كاتـب وشـاعر ومحامـي لبنانـي أكمـل دراسـته في بـيروت ثـم سـافر إلى مـصر وأصـدر مجلـة الزهـور مـع أنطـون الجميـل . ( ينظـر : أمـين تقـي الديـن الشـاعر والناثـر ، لنجيـب البعينـي ، دار العلـوم العربيـة للنـشر ، القاهرة ، مصر ، 1990 ) .

(156) زهير ميرزا ، إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر،الصفحة ج.

(157) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ، ص 383.

(158) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص272.

(159) إيليا أبو ماضي ، ديوان تذكار الماضي ، ص44 .

وأبو ماضي نفسه في رده عن سؤال محمد قره: «هل ألهتكم التجارة عن الشعر؟ » يجيب قائلاً: «كلا، بل ازدادت شاعريتي وتطورت تطوراً عجيباً»[160].

وقد ذكر الأستاذ «نجدة فتحي صفوة» سبب هجرة أبي ماضي إلى أمريكا فيرجح أنّه واحد مِن ثلاثة: أولها- مهاجمة ديوانه «تذكار الماضي» في مصر مما أزعجه وأقلق باله وأظلم الدنيا في عينيه، وثانيها- فشله في تجارته بمصر، وأمّا السبب الثالث - فهو أنّه منذ البداية كان قد اتخذ السفر إلى مصر خطوة أولى تمهد للهجرة الثانية، إلى العالم الحديد»[161]؛ وترى الدكتورة نادرة سّراج أنّ السبب الثالث عند الأستاذ صفوة سبب صحيح ثابت منذ أوّل الأمر، فكثير مِن اللبنانيين والسوريين كانوا يجيئون إلى مصر ومِنْها يذهبون إلى سفرهم إلى أمريكا في أحيان كثيرة ولأنهم كانوا فقراء لا يملكون أجور السفر إلى أمريكا رأساً حتى إذا جمعوا بعض الثروة شدّوا رحالهم إلى العالم الجديد[162].

وفي سنة 1916م انتقل إيليا أبو ماضي مِن سنسناتي إلى نيويورك، وعن انتقاله إلى نيويورك، يقول دكتور عفيف حاطوم[163]: «وقد صادف وصول إيليا إلي نيويورك الاحتفال بيوم عيد اكتشاف القارة الأمريكية على يد كرستوفر كولمبس حتى وجد نفسه يهتف بعدما وقع نظره على تمثال الحرية المنتصب على مدخل ميناء نيويورك قائلاً:

**نَفْسِي اخْلدِي وَدعِي الْحَنينَ فإنّما ❋ جَهْلٌ بِعِيدِ الْيَومِ أَنْ نَتَشوَّقا**
**أصْبَحتْ حَيثُ النَّفس لا تَخْشَى أَذًى ❋ أبداً وحَيْثُ الْفِكر يَغدو مُطْلَقا[164]**

وهناك في نيويورك اجتمع بجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ونسيب عريضة ورشيد أيوب ووليم كاتسفليس وعبد المسيح حداد وأضرابهم، ليؤلفوا جميعاً فيما بعد «الرابطة القلمية»، والتي كان لها فضل نشر مذهب المهاجرين في الأدب كما مرّ؛ وقد مارس أبو ماضي العمل الصحفي، فحرر في عدد مِن الصحف، ثم انفرد بإصدار مجلة «السمير» مجلة نصف شهرية استمرت لمدة سبع سنوات، ثم حولها إلى جريدة يومية، وظلت كذلك إلى حين وفاته[165]، وبعد ثلاث سنوات مِن انتقاله إلى نيويورك أصدر الجزء الثاني مِن ديوانه بعنوان «ديوان إيليا أبو ماضي» ليكون

(160) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص378 .

(161) نجدة فتحي صفوة، إيليا أبو ماضي والحركة الأدبية في المهجر، ص59.

(162) نادرة جميل سّراج ، شعراء الرابطة القلمية، ص320 .

(163) ديوان إيليا أبو ماضي ج2 ، ص10 .

(164) المرجع السابق.

(165) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص382 .

الديـوان الثاني لـه بعـد ديـوان «تـذكار المـاضي»، وطبـع في نيويـورك عـلى مطابـع جريـدة «مـرآة الغـرب» سـنة 1919م، وكتـب مقدمتـه جـبران خليـل جـبران جـاء فيهـا: «إيليـا أبـو مـاضي شـاعر وفي ديوانـه هـذا سـلالم بـين المنظـور وغـير المنظـور، وحبـال تربـط مظاهـر الحيـاة بخفاياهـا وكـؤوس مملـوءة بتلـك الخمـرة التـي إنْ لـم ترشـفها تظـل ظمـآن حتـى تمـلّ الآلهـة البـشر فتغمرهـم ثانيـة بالطوفـان»[166]؛ وهـذه شـهادة عاليـة، نحسـب أنّهـا لـم ينلهـا شـاعر غـير مطبـوع أو غـير مجـدد في الكلمـة الشـعرية ليجعلهـا تتسـع لمضامـين الحيـاة الاجتماعيـة والفكريـة.

وعـن طباعـة وإصـدار ديـوان «إيليـا أبـو مـاضي» يقـول الدكتـور عفيـف حاطـوم الـذي جمـع وحقـق وشرح هـذا الديـوان: «لقـد أسـعف الحـظّ أبـا مـاضي، ويـسرت لـه الأقـدار مهاجـراً مفضـالاً تـبرّع لـه مجانـاً بنفقـات طبـع قسـم مِـن هـذا الديـوان، فأصـدره أبـو مـاضي وطبعـه مفتخـراً كلّ الافتخـار بمقدّمتـه التـي قـدم بهـا جـبران خليـل جـبران هـذا الديـوان؛ أمـا ذلـك التاجـر المفضـال الـذي أنعـم عليـه بنفقـة طبـع ديوانـه فـكان حظّـه مِنـه نـشر صورتـه عـلى أوّل صفحـة مِـن صفحاتـه مشـفوعة بهذيـن البيتـين:

**أَنْـتَ امْـرُؤٌ صَـاغَ الْمُهيمِـنُ رُوَحَـه * مِـن جَوْهَريـن اللُّطْـفُ والْحرّيَّـة**
**لَـك هِمّـةٌ مِثْـل الزِمـانِ كَبِـيرةٌ * ويَـدٌ لمُنْسـكِبِ الْغَمـامِ سَـخيّة**[167]

وفي عـام 1927م أصـدر إيليـا أبـو مـاضي ديوانـه «الجـداول» وهـو ثالـث دواوينـه، الـذي طبـع في مطبعـة «مـرآة الغـرب» في نيويـورك، وكتـب مقدمتـه ميخائيـل نعيمـة قائـلاً فيهـا: «فبـين هـذه الجـداول مـا تنسـكب معـه روحـي مترقرقـة، مترنمـة، مطمئنـة جذلـة بنـور في عينيهـا، وجمـال في جانبيهـا؛ مرحـة بحريـة لا أرصـاد عليهـا ولا قيـود، ومـدى لا آفـاق لـه ولا حـدود»[168]؛ وهكـذا كانـت أصـدق وأكـرم تحيـة مِـن شـاعر إلى شـاعر، ويقـول ميخائيل نعيمـة أيضـاً في مقدمتـه لديـوان إيليـا أبـو مـاضي: «والـذي أحاولـه الآن هـو القـول: «إنّـي آنـس قرابـة روحيـة بينـي وبـين صاحـب «الجـداول» مـا كنـت أشـعر بمثلهـا بينـي وبـين ناظـم الجـزء الأول والثانـي مِـن ديـوان إيليـا أبـو مـاضي؛ تـرى أتغـير أبـو مـاضي إلى هـذا الحد في السنوات الثماني الأخيرة، أم تراني تغيرت؟»[169].

إنّ أبـا مـاضي نحسـبه هـو الـذي تغـير، وآراءه هـي التـي تغـيرت وأفـكاره تجـددت، ونظرتـه إلى الحيـاة نفسـها قـد تحولـت؛ فالـدارس لديـوان «الجـداول»، يجـده يمثـل حيـاة أبـي مـاضي وشـعره في سـنيه الأولى مِـن انضمامـه للرابطـة القلمية، بعكـس ديوانيـه الأوّلين،

(166) إيليا أبو ماضي، ديوان تذكار الماضي، ينظر: المقدمة، ص2.

(167) ينظر: ديوان إيليا أبو ماضي ج2، ص11. وكتاب "سبعون" ص 071 .

(168) إيليا أبو ماضي ، ديوان الجداول، ص3 .

(169) إيليا أبو ماضي ، ديوان الجداول، ص3 .

فهو هنا قد اندمج في الرابطة القلمية، وأتقن مبادئها وفهم أهدافها؛ فإنّه قد تخلّى عن مدرسة التقليد في الشعر التي كان يعد مِن أخلص تلاميذها في أول نشأته الأدبية، لينخرط في سلك مدرسة تجديدية تحررية، وقد عدّل عن البحور الطويلة والأوزان المعقدة، كما تخلى عن المطالع الفخمة؛ والدليل على ذلك واضح في فاتحة ديوانه «الجداول»، حيث يقول إيليا أبو ماضي :

**لَسْتَ مِنّي إنْ حَسِبْتَ الشّعرَ ألفاظاً ووَزْنَا**

**خَالفْتُ دَرْبكَ دَرْبِي وانْقَضى مَا كانَ مِنّا**

**فَانطَلِقْ عَنّي لَئلّا تَقتَنِي هَمّاً وَحُزْنَا**

**واتخِذْ غَيْرِي رَفِيْقاً وسِوَى دُنْيَايَ مَغْنَى[170]**

يقول عيسى الناعوري في كتابه «أدب المهجر» عن ديوان «الجداول»: «وفي هذا الديوان بلغ أبو ماضي قمة مجده الشعري، فقد جاء فيه بعدد كبير مِن القصائد الملأى بالغنى والدسم والجمال؛ فكان ثروة كبيرة للرابطة وللشعر المهجري، وكسباً عظيماً للشعر العربي»[171].

ويقول جورج صيدح في كتابه «أدبنا وأدباؤنا» عن ديوان «الجداول» أيضاً: «فيه تجلّى منتهى نضجه الشعري، وندر أنْ يجتمع في ديوان واحد ما اجتمع في «الجداول» مِن القصائد الرائعة، الغنية بالشعور الإنساني، الموّارة بجمال الصور وعذوبة الأنغام، فضلاً عن جلال المواضيع وطرافة التخيّلات»[172].

وكرّت الأعوام حتى قاربت العشرين، و«الجداول» تجري، وأبو ماضي لا يرفدها بمعين جديد، حتى ظنّ الناس أنّه نام على أمجاده، إلى أنْ أصدر ديوان «الخمائل» سنة 1946م ليصبح رابع دواوينه، فدعم تليد الشهرة بالطريف؛ وكان لأزهار الخمائل روعة تضاهي روعة الأنغام في «الجداول» ولكنّها لا تزايدها، ولقي مِن الإشادة والترحيب ما اقتضى إعادة طبعه في زمن يسير؛ وقد صدر في نيويورك عن مطبعة «مرآة الغرب»، ويعدّ امتداداً لديوان «الجداول» مِن حيث الأسلوب والفكر والموضوعات التأملية والإنسانية، كما تلمح فيه إلحاحاً شديداً على الدعوة إلى التفاؤل والتمتع بالحياة؛ فتقول دكتورة نادرة سرّاج عن ديوان «الخمائل»[(173)]: «فجاء صورة مِن صور التطور ودرجة مِن درجات التقدم في الشاعرية، وإنْ يكن ديوان «الجداول»

(170) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 555.

(171) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص183.

(172) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص772.

(173) نادرة جميل سّراج، شعراء الرابطة القلمية، ص723 .

قد حظي بصيت أكبر وبشهرة أوسع وأعم؛ ولا أبعد أنْ قلتُ إنّ في ديوان «الخمائل» قطعاً شعرية تخيلية روحية تنقل القارئ إلى عالم مِن الخيال الروحي السامي، كما في قصته الشعرية «أمنية الآلهة»، حيث يقول[174]:

**أُريدُ دُنْيا فِيها شُعَاعٌ * يَبْقَى إذا غَابتِ النّجُوم**
**أُريدُ دُنْيا تَحُسُّ نَفْسِي * فِيها نُفوسَاً بِلا جُسُومْ[175]**

ويجيء ديوانه الخامس، بعنوان «تبر وتراب» وقد عثر عليه أبناؤه بعد وفاته كما يقول محمد خفاجي في كتابه «قصة الأدب المهجري»[176]، وصدر عام 1960م عن مطبعة دار العلم للملايين ببيروت التي تكفلت بطباعته[177]؛ والمتأمل لديوان «تبر وتراب» يجد فيه قصائد عظيمة تحمل بصمة أمير شعراء المهجر إيليا أبو ماضي، وفيه أيضاً قصائد - على ما يبدو- ما قد يكون الشاعر نشرها في مناسبات عامة أو قالها في ارتجال عابر ولم يكن أنْ يضمنها ديوانه، فمعروف أنّ إيليا ينتخب مما كتب ما يراه الأكثر إبداعاً شعرياً، وقد لاحظنا ذلك في كل دواوينه آنفة الذكر، وذلك دأبه ودأب كثير مِن الشعراء. وفي أواخر عام 1948م أتيح لأبي ماضي أنْ يعود إلى وطنه الأصلي، لبنان، لفترة قصيرة – قبل أن يرجع إلى مهجره – ليمثل هو والأستاذ حبيب مسعود، رئيس تحرير مجلة «العصبة» في البرازيل، صحافة المهجر في مؤتمر اليونسكو، الذي عقد حينذاك في بيروت، فيقول عفيف حاطوم عن زيارة إيليا لموطنه لبنان[178]: «أمّا أسعد لحظة مِن لحظات حياته فقد كانت تلك اللحظة التي وجد نفسه فيها يكحل عينيه برؤية مدينة بيروت, وقد شعر بالحزن الشديد لدى وصوله إلى منزله القديم في «المحيدثة» وهو المنزل الذي أبصر فيه نور الحياة لأول مرة، ثم وقف أمام منزله مخاطباً بعزة وكرامة وطنه الحبيب لبنان في قصيدته «وطن النجوم»، التي تغنى بها الفنان السوداني الراحل المقيم الأستاذ أحمد المصطفي(1922-1999)، وهذا يدل على مدى الأثر الثقافي والبعد الإجتماعي، الذي أحدثه الشعر المهجري في نفوس الشعراء والمغنيين في العالم، فيقول فيها:

**وَطَنُ النُّجُومِ أنَا هُنَا * حَدّقْ أتذْكُر مَن أنا؟**
**أنَا ذَلِكُ الْوَلَدُ الّذِي * قَدْ كَانَ مَوْطِنُه هُنا[179]**

(174) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص381 .

(175) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة( الخمائل)، ص 096.

(176) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص 415 .

(177) خذاري محمد ، مجلة فصل الخطاب ، جامعة ابن خلدون، الجزائر ، فبراير 7102، ص291 .

(178) ديوان إيليا أبو ماضي، ج2 ، تحقيق دكتورعفيف نايف حاطوم ، ص12.

(179) المرجع السابق ، ص22.

وفي هـذه الزيـارة منحـت الحكومـة اللبنانيـة أبـا مـاضي وسـامي الاسـتحقاق والأرز، وأقيمت لـه في السـادس مِـن فبرايـر 1949م حفلـة كـبري في دمشـق بسـوريا برعايـة الرئيـس «شـكري القُوَّتـلي»[180] الـذي علّـق عـلى صـدره وسـام الاسـتحقاق الممتـاز[181].

وبعـد مـضي تسـع سـنوات عـلى هـذه الرحلـة المجيـدة أدرك المـوت شـاعر الحيـاة إيليـا أبـو مـاضي، وكانـت وفاتـه في نيويـورك يـوم الأحـد الثالـث والعشريـن مـن نوفمـبر عـام 1957م، الموافـق الثانـي مِـن جمـادي الأولى عـام 1377هـ، فحـزن العالـم لوفاتـه[182]. غادر أبومـاضي هـذا العالـم الفانـي، ولكنّـه تـرك فيـه مجـداً شـعرياً، لا يقـل بحـال مِـن الأحـوال عـن المجـد الشـعري الـذي تركـه كبـار الشـعراء الأفـذاذ في أدبنـا العربـي الخالـد، إذ يعتـبر أكثـر شـعراء الرابطـة القلميـة انتاجـاً شـعرياً، حيـث تـرك لنـا خمسـة دواويـن شـعرية، بالإضافـة إلى عـدد كبـير مـن الآراء والموضوعـات الأدبيـة والفنيـة .

**نسيب عريضة (1887 – 1946)**

ولـد الشـاعر السـوري نسـيب عريضـة في مدينـة حمـص في سـوريا عـام 1887م[(183)]، والـده هـو أسـعد عريضة، وأمـــــه سـليمة حـداد، وتلقـى تعليمـه الأولى بمدرسـة حمص الروسـية المجانيـة، وعندمـا ظهـر تفوقـه في الدراسـة اختارتـه الجمعيـة الروسـية ليكمـل دراسـته في مدرسـة المعلمـين الروسـية في النـاصرة (فلسـطين)، عـاش نسـيب عريضـة في القـــسم الـــداخلي لمدرسـة النـاصرة منـذ سـنة 1900م، حيـث التقـى بعد عامـين قضاهما في مدرسـة النـاصرة بتلميـذ جديـد، أصبـح فيمـا بعـد صديقـاً وزميـلاً لـه مـدى حياتـه، هـو ميخائيـل نعيمـة، كمـا التقـى بزميـل آخـر هـو الشـاعر عبـد المسـيح حـداد. أمـضى نسـيب عريضـة في مدرسـة النـاصرة خمـس سـنوات أنهـى خلالهـا تعليمـه الثانـوي، وأغـرم بالقـراءة والتأمـل في الطبيعـة والحيـاة، فقـرأ أمهـات الكتـب في الأدب العربـي خاصـة دواويـن الشـعراء، ثـم بـدأ يقـرض الشـعر في مختلـف موضوعـات الحيـاة وغلـب عـلى شـعره التأمـل، وكان يجيـد اللغـة الروسـية إذ كان قـد تلقـى تعليمـه في مدرسـة المعلمـين الروسـية بالنـاصرة، وفي ذلـك سـار في طريـق واحـد مـع نعيمـة وعبـد المسـيح حـداد، وغيرهمـا. هاجـر نسـيب عريضـة إلى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة عـام 1905م، وقصـد مدينـة (نيويـورك) وكان عمـره لا يتجـاوز سـبع عـشرة سـنة، واشـتغل في المتاجـر والمصانـع المختلفـة، وكانـت الحيـاة شـاقة لا يخفـف عنـه آلامهـا إلا عالَـم الشـعر الـذي أحبـه[(184)]. في سـنة 1912م أسـس نسـيب عريضـة مطبعـة وأصـدر فيهـا مجلـة «الفنـون» التـي احتلـت

(180) شكرى بن محمود بن عبدالغني القُوّتلي(1981–7691)، رئيس الجمهورية السورية بين 3491–9491 ثم 5591–8591.

(181) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص383 .

(182) محمد عبد المنعم خفاجي ، قصة الأدب المهجري، ص 515 .

(183) محمد عبد المنعم خفاجي ، قصة الأدب المهجري ، ص 856.

(184) المرجع السابق، ص 856.

مكانــاً محترمــاً في الجاليــة العربيــة بأمريــكا والعالــم العربــي في الــشرق، وظلــت تصــدر حتــى ســنة 1918م، ثــم توقفــت بســبب الظــروف الماديــة فاشــتغل في التجــارة مــع أبنــاء عمــه، ثــم تــرك التجــارة وتســلم رئاســة تحريــر جريــدة «مــرآة الغــرب» لصاحبهــا نجيــب ديــاب، ثــم انتقــل إلى جريــدة «الهــدى» لصاحبهــا نعــوم مكــرزل؛ وفي أثنــاء الحــرب العالميــة الثانيــة عُــيّن كمحــرر في القســم العربــي في مكتــب الاســتعلامات الحربيــة الأمريكيــة وعمــل فيهــا نحــو ســنتين، ثــم شــارك في تأســيس «الرابطــة القلميــة» بنيويــورك ســنة 1920م.

وبعــد عامــين مِــن تأســيس الرابطــة تــزوج عريضــة، الســيدة نجيبــة حــداد شــقيقة الشــاعرين عبــد المســيح حــداد ونــدرة حــداد ولــم ينجبــا أطفــالاً[185].

تــوفي نســيب عريضــة في 25 مــارس ســنة 1946م في «بروكلــين» إحــدى بلــدات نيويــورك بالولايــات المتحــدة الأمريكيــة؛ فبــكاه الأدب في وقتــه، وتفجــع عليــه الأدبــاء والشــعراء في حفلــة الذكــرى التــي أحياهــا لــه نســيباه نــدرة حــداد وعبــد المســيح حــداد، في اليــوم الأربعــين لوفاتــه[186]. وكانــت أمنيــة الشــاعر نســيب عريضــة، أنْ يدفــن في بلدتــه «حمــص»، وقــد وردت أمنيتــه هــذه في قصيدتــه «حمــص أم الحجــارة الســود»، حيــث يقــول فيهــا:

**يَـــا دَهْــرُ قَــدْ طَــــالَ * البُعَــــــادُ عَــــــنْ الْوَطَــن**
**عُــدْ بِـــي إلى حِمْــص * ولَـــــوْ حَــــــشْو الْكَفَــن**
**واجْـــعَـــــــلْ ضَرِيحـــي * مِـــــنْ حِجَـــارة سُـــود[187]**

وخــرج للوجــود بعــد وفاتــه بأيــام معــدودة ديــوان شــعر، وفي هــذا الديــوان تجمعــت أشــواق ومزايــا عاليــة مــن تلــك الــروح الفنيــة، التــي فاضــت بعــد أن قطعــت مِــن عمــر الحيــاة نحــو تســعة وخمســين عامــاً، ذلــك الديــوان هــو ديــوان شــعره الوحيــد بعنــوان «الأرواح الحائــرة».

ولــه مؤلفــات وروايــات وقصــص أخــرى منهــا: ديــك الجــن الحمــصي، والصمصامــة؛ وهمــا قصتــان تاريخيتــان منشــورتان في مجموعــة «الرابطــة القلميــة»، كمــا كان عــلى اطــلاع واســع بــأدب الغــرب عــن طريــق الأدب الــروسي، تشــهد بذلــك روايتــه «أسرار البــلاط الــروسي» (1933)[188].

وعــن ديــوان شــعره الوحيــد «الأرواح الحائــرة»؛ كتــب «عيــسى الناعــوري» يقــول: يقــع ديــوان «الأرواح الحائــرة» في نحــو 285 صفحــة مِــن القطــع الكبــير، ويحتــوي عــلى خمــس

(185) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري ، ص 658.

(186) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص203

(187) نسيب عريضة ، ديوان الأرواح الحائرة ، ص34.

(188) محمد عبد المنعم خفاجي قصة الأدب المهجري، ص856.

وتسعين قصيدة، منها مطوّلتان، إحداهما بعنوان «على طريق إرم»، والأخرى بعنوان «احتضار أبي فراس»[189]، وقد طبع الديوان بعد أيام معدودة مِن وفاة نسيب عريضة بمطبعة جريدة الأخلاق في مدينة نيويورك سنة 1946م[190].

يقول الشاعر المهجري جورج صيدح في حق نسيب عريضة: «كان نسيب عريضة – رحمه الله – ركناً متيناً مِن أركان «الرابطة القلمية» وموضع ثقتها، عُرف بالإخلاص والغيرة عليها، وأحبه الجميع لدماثة أخلاقه ونبالة روحه وعفّة قلمه ولسانه، امتلأ قلبه الكبير بالحب الإنساني حتى لا موضع فيه للبغض والحسد والكبرياء»[191].

ويقول ميخائيل نعيمة مِن مقال نشره في مجلة الأديب البيروتية عن نسيب عريضة: «حسبك أنْ تقرأ قصيدة أو قصيدتين مِن نظم نسيب عريضة لتشعر أنّك في حضرة شاعر فذ رحب الخيال مرهف الحس رفيع الذوق خفيف الظل صافي النبعة صادق النبرة، ولأنّه كذلك تراه يتنكب السبل المطروقة والقوالب المألوفة، ويترفع عن كل مبتذل في اللون واللحن وفي المبنى والمعنى، فلا يتملق ولا يماري ويتصنع ولا يتحذلق، بل هو يبث شعوره بالحياة بثاً أشبه ما يكون برذاذ المطر يتساقط في سكينة الليل على البقاع العطشى فيؤنسها ولا يزعجها «[192].

**نَدْرة حداد ( 1881 – 1950)**

هو ندرة بن رشيد حداد شاعر سوري ولد في مدينة «حمص» بسوريا عام 1881م، وتلقى تعليمه في مدارسها، ثم هاجر إلى أمريكا الشمالية عام 1897م، فعمل بالتجارة، ثم مال إلى الصحافة والأدب، فراح يساعد شقيقة عبد المسيح حداد في تحرير جريدة «السائح»، ثم عمل بعدها في أحدالمصارف؛ وكن واحداً مِن الأعضاء المؤسسين البارزين لمجموعة «الرابطة القلمية» عام 1920م[193].

جاء في كتاب الأعلام للزركلي عن ترجمة نَدْرة حداد: «ندرة الحداد الحمصي، كاتب صحفي، له شعر؛ مِن المهجريين، ولد وتعلّم بحمص وهاجر إلى نيويورك 1897 وعمل مع أخيه عبد المسيح في جريدة السائح وانتسب إلى الرابطة القلمية، وتوظف في بنك لبناني؛ توفي مغترباً له ديوان شعر «أوراق الخريف»[194].

وغير ديوان شعره «أوراق الخريف» الذي طبع عام 1941م، له قصائد أخرى عديدة

(189) عيسى الناعوري، أدب المهجر ، ص904.

(190) المرجع السابق، ص204.

(191) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص892 .

(192) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص 166.

(193) عيسى الناعوري، أدب المهجر ، ص814، وينظر: معالم وأعلام ج1 ص682 ، وأعلام الأدب والفن ج1 ص901.

(194) ينظر: الأعلام للزركلي : ج7 ، خير الدين الزركلي ، ط5، 2002 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ص343 .

نشرت في مجلة «المعرض» - نقلاً عن جريدة «السائح» - مثل: قصيدة «أحلى الحب ما يجمع»[195].

وقد وضمّن ندرة حداد ديوانه «أوراق الخريف» خلاصة شعره: في الحب، والألم، والحنين إلى الماضي وإلى الأهل والوطن، كما ضمنه شعر الطبيعة ومراثٍ تفيض باللوعة، وفيه عدا ذلك قصيدة طويلة هي «الراهبة» ذات مئة وعشرة أبيات.

يقول جورج صيدح عن شعر نَدْرة حداد: «شعره مرآة نفسه عذوبة وبساطة ونعومة وصفاء، وقد جرى بعضه مجرى الأمثال في الدعوة إلى الإيثار والصفح عن الإساءة وفي رقة الحنين إلى الوطن، وأولع بالبحور القصيرة المجزأة، كقول له في الحنين[196]:

مَا قِيلَ لِي مَرْحَباً * فِي كُلِ أَسْفَارِي
إلّا وقَلْبِي صَبا * للأهْلِ وَالدّارِ
راجَعْتُ بَعدَ الشّبابِ * فِي التّيه ألْوَاحِي
فَلمْ أَجِدْ فِي الْحِسَابِ * بَاباً لأرْبَاحِي[197]

كانت وفاته فجأة في حفلة عرس عام 1950م، كما يقول أدهم الجندي في كتابه «أعلام الأدب والفن»، وأقيم حفل لتأبينه في مسقط رأسه (حمص) تحت رعاية رئيس الجمهورية السورية «هاشم الأتاسي»[198] آنذاك[199].

**عبد المسيح حداد (1890 – 1963)**

هو شقيق الشاعر «ندرة حداد» وصنوه في المجد الأدبي، ما ذُكر المجاهدون الروّاد في حقل الصحافة والأدب في المهجر الأمريكي إلّا ذُكر في طليعتهم اسم صاحب جريدة «السائح» عبدالمسيح حداد، وما دار حديث عن «الرابطة القلمية» إلّا تخلل ثناء على عبد المسيح حداد، الذي احتضن الرابطة ورباها ومزج روحه بروح عميدها[200].

ولد عبد المسيح بن رشيد حداد في مدينة «حمص» بسوريا سنة 1890م، وتلقى

(195) مجلة المعرض ، العدد الثامن ، بيروت ، 1923 .

(196) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص403.

(197) ندرة حداد ، ديوان أوراق الخريف، ص12.

(198) هاشم خالد الأتاسي(5781-0691) ، الملقب أبو الجمهورية، ثاني رئيس للجمهورية السورية ، وتاسع حاكم لسوريا منذ الاستقلال عن الدولة العثمانية، تعتبر عائلة الأتاسي التي ينتمي إليها من أشهر عائلات حمص. (سوريا صنع دولة وولادة أمة، وديع بشور، ط1، دار اليازنجي، دمشق،4991 سوريا، ، ص304).

(199) ينظر: أعلام الأدب والفن ، ج1 ، أدهم آل جندي ، ط1، 4591،مطبعة مجلة صوت سوريا ، دمشق ، ص 901.

(200) جورج صيدح ، مرجع سابق ، ص903.

علومه الابتدائية في المدرسة الأرثوذكسية، ثم انتقل إلى دار المعلمين الروسية في بلدة «الناصرة» وتابع دراسته في المدرسة الإنجيلية ودرس اللغة الإنجليزية، وعمل في تدريس اللغة الإنجليزية في مدارس «حمص»[201].

هاجر عبد المسيح حداد من سوريا إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1907م بعد هجرة أخيه نَدْرة حداد بعشر سنوات، وفي عام 1912م أصدر جريدة «السائح»؛ منبراً عربياً حراً رفيعاً، للعرب ولغة الضاد في أرض كولومبوس الجديدة[202]، واستمر في إصدارها حتى سنة 1959م مع زملائه أعضاء «الرابطة القلمية».

وعن دوره ونشاطه في «الرابطة القلمية»، يقول أحمد زكي أبو شادي في مقال له أذاعه مِن محطة صوت أمريكا، ثم نشره في مجلة «القلم الجديد» الأردنية سنة 1953م: «كان عبد المسيح – مؤسس تلك الرابطة الفذة – أصغر أعضائها سناً، ولكنّه كان أنشطهم، ومِن ألمعهم تفكيراً، وأقواهم أصالة، وكان يدعى «مارك توين العرب» في أمريكا، لذكائه الخارق، وروحه الفكهة الحلوة النيرة التي يتذوقها الكثيرون في باب «ألحان وأشجان» بجريدة «السائح»؛ ولا تزال «السائح» مِن المراجع الهامة عن روح «الرابطة القلمية»، وهي الروح التي تقمصتها شخصية عبد المسيح حداد»[203].

ألّف عبد المسيح حداد كتابه المشهور «حكايات المهجر»، وله في مجموعة «الرابطة القلمية» قصتان هما: «الله يسعده ويبعده» و «وفي ست الميت» ، ضمهما إلى كتابه هذا الذي طبع عام 1921م في مئتين وخمسين صفحة، مشتملاً على إحدى وثلاثين حكاية[204].

غير أنّ هذا لا يعني أنّ عبد المسيح حداد لم يكتب شيئاً غير هذه الحكايات، فقد ألّف كتاب «انطباعات مغترب»، بالإضافة إلى ذلك ظلّ يحرر جريدة « السائح « نحواً مِن خمسة وأربعين عاماً، ويكتب الكثير مِن افتتاحياتها الرائعة التي تمثل هرماً فنياً؛ وكتبت ياسمين أشرف في مجلة «حكاية كاتب»، تقول: «وطّد عبد المسيح حداد العزم على نشر ما انطوى مِن آثار الرابطة القلمية، وأنْ يكتب ذكرياته عن زملائه لكن لم تتحقق أمنيته، فتوفي في مساء الخميس 17 كانون الثاني (يناير) 1963م ودفن غريباً كما عاش غريباً في نيويورك، وأقامت له الجالية العربية حفل تأبين حضره دكتور «جورج طعمة» القنصل العام لسوريا وممثل الجامعة العربية بنيويورك، وأدباء المهجر آنذاك»[205].

(201) عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص324 .

(202) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص 491 .

(203) أدب المهجر، مرجع سابق، ص424 .

(204) قصة الأدب المهجري ، مرجع سابق ، ص 291 .

(205) ياسمين أشرف ، مجلة حكاية كاتب الإلكترونية ، اكتوبر ، 1202 .

## رشيد أيوب (1871 – 1941)

ولد رشيد أيوب في بسكنتا بجبل لبنان – قرية ميخائيل نعيمة – سنة 1871م، ثم انتقل إلى باريس سنة 1889م ومكث بها ثلاث سنوات، وانتقل بعدها إلى مانشستر (انجلترا) ثم عاد إلى بلدته «بسكنتا»؛ ومع بدايات حركة الهجرة من سوريا ولبنان إلى أمريكا شدّ

رشيد أيوب الرحال إلى هناك، واستقر في مدينة «نيوأورلينز» الأمريكية، حيث عمل في التجارة، ثم وصل إلى نيويورك سنة 1905م بحثاً عن مناخ أدبي يحفز طاقته الإبداعية؛ وقد وجد رشيد أيوب ضالته في نيويورك بالفعل، حيث التقى عدداً مِن خيرة أدباء المهجر، واشترك مع زملائه في تأسيس «الرابطة القلمية» وفي تغذية بعض الصحف والمجلات بالمقالات النثرية والقصائد الشعرية[206].

سُمي رشيد أيوب «الشاعر الشاكي»، لكثرة ما شكا مِن الزمان وبكى حظّه المتأرجح بين العسر واليسر وردّد زفرات الحنين إلى الوطن، وعلى الرغم مِن ذلك كان فاكهة المجالس بين الأدباء؛ كما يقول جورج صيدح في كتابه «أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية»: «كان رشيد أيوب بهجة المجالس وواسطة العقد بين الندامى، لم أعرف بين الأدباء أفكه مِنه حديثاً ولا ألطف ظلاً ولا أكثر حيوية[207].

واختار رشيد أيوب لنفسه لقب «الدرويش» إعلاناً عن زهده في الغنى وفي السعي وكرّس هذا اللّقب بتسمية ديوانه الثاني «أغاني الدرويش» الذي صدر عام 1928م، وقبله أصدر ديوانه الأوّل «الأيوبيات» عام 1916م، وصدر ديوانه الأخير «هي الدنيا» عام 1939م؛ توفي بعد ذلك بعامين في تمام السبعين مِن العمر في بروكلين (نيويورك) منتصراً على الدنيا، على حد قوله في قصيدته، «هي الدنيا»:

**ولمّا رأيْتُ الْمَالَ يَسْتعْبدُ الْوَرَى * وآمَالُ نَفْسِ الْحُرّ تَقضِي بأنْ يَحْيَا**
**عَكفْتُ عَلَى الإقْلالِ عَلْمَاً بِأنّه * يَلذّ لِنفْسِي الانْتَصَارُ عَلَى الدّنْيا[208]**

والذي يطالع ديوانه الأوّل «الأيوبيات» الذي صدر في نيويورك عام 1916م يلاحظ غلبة موضوع الحنين على معظم ما أنتج الشاعر مِن قصائد، فهو فيها هائم بحب لبنان وسماء لبنان[209]، وقد صدّر الشاعر مجموعته الشعرية في هذا الديوان بهذين البيتين:

---

(206) حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ط1، 1986 ، دار الجيل ، لبنان ، ص212.

(207) المرجع السابق ، ص212.

(208) رشيد أيوب، ديوان أغاني الدرويش، ص78 .

(209) نادرة جميل سّراج ، شعراء الرابطة القلمية، ص243 .

قضيْـتُ الْعُمــرَ أَبْحــثُ عَــنْ أمُــورٍ * وقِسْــتُ غَــدِي عَــلَى مِقْيــاسِ أمْــسِي
فَلــمْ أرَ غَــيْر نَفْــسِي مِــنْ صَدِيــقٍ * ولــمْ أرَ مِــنْ عَــدوّ غَــيْر نَفْــسِي[210]

وكثـيراً مـا كان يحـنُّ لأيـام الصبـا، وأيـام عشـقه، ويتـأوّه لفقدهمـا تعبـيراً عـن توجعـه وشـكواه، يقـول في قصيدتـه «آه وا شـوقي لأيـام الصبـا»:

آهِ وا شَــوْقِي لأيّــام الصّبــا * كشُــعَاعِ الشّــمسِ كانــت صَافِيــةْ
كُنْــتُ إنْ أحْــدَقَ بِــي جَيْــشُ * الضَّنــى ألتقيـه بجيـوش العَافيـةْ[211]

أمّـا خلاصـة شـعره فقـد لخصهـا عيـسى الناعـوري في ثـلاث كلمـات، حيـث يقـول: «أمّـا خلاصـة شـعره: حـب، وألـم، وخمـر؛ فهـو كثـير التشـبيب والشـكوى والنـواح، كثـير الحنـين إلى عهـد الشـباب والحـب»[212].

ولعلنـا لا نعـدو الصـواب إذا قلنـا إنّ رشـيد أيـوب قـد جمـع شـعار حياتـه في فقـرة نثريـة ضمنهـا ديوانـه المسـمى بــ «هــي الدنيـا»، فقـال: «إنّ الحيـاة تـارة فـرح، وتـارة حـزن، وطـوراً يـأس، وآونـة رجـاء؛ ولكـن الآلام وجدهـا تحتفـظ بهـا النفـس، والـسرور يضمحـل ويتـلاشى، لأنّ النفـس التـي لا تتألـم لا جمـال فيهـا ولا تقـترب مِـن اللـه، ولعـلّ في معنـى هـذه الفقـرة سر انـصراف رشـيد أيـوب إلى الشـعر الباكـي الكئيـب.

**إلياس عطا الله ، وديع باحوط ، وليم كاتسفليس:**

حقـاً إنّ أعضـاء الرابطـة القلميـة العـشرة لـم يكونـوا جميعـاً عـلى مقيـاس واحـد مِـن الكفايـة الأدبيـة، ولكنهـم كانـوا جميعـاً متفقـين مِـن ناحيـة الـذوق الفنـي والفهـم الأدبـي، وعـلى عقيـدة واحـدة في سـعيهم للنهـوض بـالأدب العربـي؛ وقـد تكاتفـوا للقيـام بهـذا العـبء جميعـاً، فـكان لهـم فضـل السـاعين المخلصـين[213].

فـإذا كانـت الرابطـة قـد توصلـت إلى أنْ تعمـل شـيئاً كثـيراً لـلأدب العربـي، وتفتـح أعـين النـاس عـلى مقاييـس جديـدة لـلأدب، واعتبـارات جديـدة لمعنـاه وقيمتـه، وأنْ تثـير في نفوسـهم الطمـوح إلى التجديـد، ومحاولـة خلـق أدب حـر قـويّ، فمـا اسـتطاعت ذلـك إلا بفضـل تكاتـف سـائر الأعضـاء وسـعيهم معـاً؛ ولـذا مِـن الإنصـاف أنْ نذكـر بقيـة أعضـاء الرابطـة القلميـة، لأنّـه لـو لـم يكـن لهـم سـوى فضـل الإسـهام في إنشـاء الرابطـة في الوقت الـذي أنشـئت فيـه، لكفاهـم ذلـك تأديـة لرسـالتهم الأدبيـة إلى أمتهـم وإلى الحيـاة؛ وهـؤلاء

(210) رشيد أيوب ، ديوان الأيوبيات، ط نيويورك ، 1916.، ص53.

(211) المرجع السابق.

(212) عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص414.

(213) عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص428 .

هـم: وليـم كاتسـفليس، و وديـع باحـوط، و إليـاس عطـا اللـه؛ فهـؤلاء الثلاثـة هـم أقـل أعضـاء الرابطـة شـهرة في ربـوع الـشرق، لأنهـم أقـل انتاجـاً، وأقلهـم محاولـة للظهـور.

فإليـاس عطـا اللـه – مثـلاً- لا نعـرف أنّـه كتب شـيئاً طيلـة مـدة انتسـابه إلى الرابطة، مع أنّـه كان قبـل هجرتـه يعالـج الكتابـة أحيانـاً، وهذا مـا يؤكـده الناعـوري، بـقوله:»أخبرني الأسـتاذ ميخائيـل نعيمـة في إحـدى رسـائله بـأنّ إليـاس عطـا اللـه لـم يكتـب شـيئاً منـذ تأسـيس الرابطـة، ولكـن كان لـه بضـع مقـالات قبـل انخراطـه في الرابطـة[214].

ولـد إليـاس عطـا اللـه في لبنـان، وعـن ترجمـة سـيرته يقـول جـورج صيـدح: «والـذي نعلمـه عنـه أنّـه أصـدر في نيويـورك جريـدة «بريـد المهاجـر» بأربـع لغـات لفائـدة الجاليات المهاجـرة مِـن مختلـف الجنسـيات، وانّـه عـاد إلى لبنـان عـام 1927م، وأسـس في بـيروت أول مكتـب للترجمـة تخـرج فيـه مئـات المترجمـين، وتـوفي عـام 1943م»[215].

أمـا وديـع باحـوط فقـد كان مثـل إليـاس عـطا اللـه انعـزالاً عـن حقـل الإنتـاج الأدبـي، فـلا يُعـرف لـه أكثـر مِـن مـقال واحـد بعنـوان «البرغشـة» منشـور في»مجـموعة الرابطـة القلميـة»، وعـن ذلـك يقول جـورج صيـدح: « وديــــع باحـوط مِن أعضـاء الرابطـة القلمية المؤسسـين، لـم نعثـر إلاّ علىأثـر أدبـي واحـد لـه هـو «البرغشـة» في مجموعـة الرابطـة. وقـد أكـد ذلـك ميخائيـل نعيمـة، بقولـه: «ليـس لـه مِـن الإنتـاج سـوى مقـال بعنـوان «البرغشـة»؛ وهـو مقـال حـواريّ فيـه فلسـفة اجتماعيـة وتأمـل إنسـاني، والحـوار يـدور فيـه بـين الكاتـب والبرغشـة، ولكنّـه يتوصـل مِنـه إلى أنّ البرغشـة – عـلى أذاهـا – ليسـت أكثـر ضرراً وأذى مِـن الإنسـان؛ تـوفي وديـع باحـوط عـام 1952م[216].

بقـي وليـم كاتسـفليس، وعـن ترجمـة سـيرته كتـب جـورج صيـدح، في كتابـه «أدبنـا وأدباؤنـا في المهاجـر الأمريكيـة»، يقـول:»ولد وليـم كاتسـفليس في طـرابلس الشـام عـام 1879م مِـن أسرة عريقـة نسـباً وأدبـاً، وتعلّـم في مـدرسة «عينطـورا» وكليـة «الآبـاء اليسـوعيين» في بـيروت، ثـم غـادر طرابلـس عـام 1902م متجهـاً إلى نيويـورك؛ مـزوداً بالعلـم والثـقافة وبعـض الخـبرة التجاريـة، ولاقـى نجاحـاً مرمـوقاً في ميـدان الأعمـال بعد مـا مـرّ في أدوار مختلفـة مِـن العـسر واليـسر»[217].

ولوليـم كاتسـفليس مشـاركة غـير قليلـة في الإنتـاج الأدبـي، وقـد كان خطيبـاً بارعـاً، وكاتـب مقـالات مجيـداً، ولكنّـه لـم يجمـع شـيئاً مِـن خطبـه ومقالاتـه في كتـاب؛ والكتـاب الوحيـد

(214) - المرجع السابق ، ص428 .

(215) - جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص963.

(216) - عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص824 .

(217) - جورج صيدح، مرجع سابق، ص863.

الـذي ذُكـر لـه هـو بعنـوان «حضـارة العـرب»، وقـد وضعـه باللُّغـة الإنجليزيـة[218]؛ وقـد نُـشر لـه في مجموعـة الرابطـة القلميـة ثلاثـة فصـول هـي: «البـترون» عـام 1920م ، و «اجعلـوا الحلـم جميـلاً» و «القلـوب الجائعـة»، واشـتهرت هـذه الفصـول، ونقلتهـا بعـض كتـب المختـارات الأدبيـة.

والـذي يطالـع ديـوان «أوراق الخريـف» لنَـدْرة حـداد، يجـد لوليـم كاتسـفليس مقدمـة طويلـة رائعـة، كتبهـا تعريفـاً بالشـعر الصحيـح والشـاعر الحـق؛ نختطـف منهـا قولـه: «الأدب، في عـرفي، هـو خدمـة الحيـاة، بتعريفهـا إلى نفسـها، أو ترجمـة الحيـاة لأبنـاء الحيـاة، فالرسـام والنحـات والموسـيقي والخطيـب والكاتـب والشـاعر جميعهـم يصـورون الحيـاة كمـا يرونهـا، أو كمـا هـي، أو كمـا يريدونهـا أنْ تكـون؛ هـم الأصـوات المتصاعـدة مِـن أعمـاق الإنسـانية، ومِـن هـذه الأصـوات، الجميـل والوسـط والقبيـح» [219].

ووليـم كاتسـفليس مِـن أدبـاء الرعيـل الأول البارزيـن، ومِـن أعضـاء الرابطـة القلميـة المؤسسـين؛ احتفلـت الجاليـة العربيـة بعيـده السـبعيني عـام 1949، بمهرجـان أدبـي كبـير، وتوفـاه اللـه في العـام التـالي»[220].

انتقـل وليـم كاتسـفليس إلى الرفيـق الأعـلى في الولايـات المتحـدة عـام 1951م، بعـد أنْ تجـاوز الثانيـة والسـبعين مِـن عمـره، فلحـق برفاقـه وزملائـه الخالديـن مِـن أعضـاء الرابطـة الذيـن سـبقوه إلى الأبديـة، وكان قـد مـرّ عـلى هجرتـه إلى أمريـكا أكثـر مِـن تسـعة وأربعـين عامـاً»[221].

ونخلـص إلى أنّ أدبـاء وشـعراء الرابطـة القلميـة ربطـت بينهـم العروبـة، والتاريـخ المشـترك والجغرافيـة والثقافـة العربيـة، كمـا وحـدت بينهـم الغربـة، فتآلفـت نزعاتهـم، وتوافقـت أفكارهـم، فأصبحـت وكأنّهـا شـخصية أدبيـة واحـدة ، ففتحـوا بـاب التجديـد الشـعري العربـي، وشـاركوا في نهضتنـا الأدبيـة الحديثـة بذلـك الإنتـاج الأدبـي الغزيـر، وحافظـوا عـلى اللّغـة العربيـة وآدابهـا في تلـك الديـار النائيـة.

---

(218) - عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص228 .

(219) - ندرة حداد ، مقدمة ديوان أوراق الخريف ، ط1، 7691، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، ص4 .

(220) - جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص053.

(221) - عيسى الناعوري، مرجع سابق، ص234.

## المبحث الثالث

# العناصر البارزة في شعر الرابطة القلمية

بين سائر المدارس التي عرفها تاريخ الأدب العربي، على طوله، تمتاز المدرسة المهجرية بوفرة ما فيها مِن العناصر الجديدة القوية، في القالب وفي الجوهر معاً، مما يجعل سائر المدارس السابقة تكاد تتضاءل أمامها.

فقد استطاعت المدرسة المهجرية على وجه العموم ومنهم شعراء الرابطة القلمية خاصة أنْ يقفزوا بالأدب العربي قفزة واسعة جداً أوصلت الكثير مِن إنتاجهم إلى مستوى أرقى الآداب العالمية الحيّة؛ يقول عيسى الناعوري: «كان الأدب العربي قبلهم يزحف زحفاً سلحفائيّاً، وهو ينوء بما يجرجروه مِن ركام الألفاظ والأساليب القديمة البالية، التي تكبله وتثقله فتعوق سيره وتكاد تشل حركته»[222].

ولعل أبرز العناصر الحيّة التي تميزت بها مدرسة المهجر الأدبية ومِن ضمنهم شعراء «الرابطة القلمية» تتلخص في تسع مزايا كبرى: اثنتان منها في القالب التعبيري، وهما: التحرر مِن قيود القديم، والطابع الشخصي المتميز، والسبع الباقية هي في الموضوع ، أو جوهر العمل الأدبي ، وهي: الحنين إلى الوطن، والتأمل ، والنزعة الإنسانية، وعمق الشعور بالطبيعة، وبراعة الوصف والتصوير، والغنائية الرقيقة في الشعر، والحرية الدينية؛ وقد تكون هناك عناصر وميزات أخرى تسجل إلى مدرسة المهجر غير تلك العناصر، إلّا أنّ الباحث يرى أنّ هذه العناصر التسعة هي الخصائص الكبرى الرئيسة التي تميزت بها مدرسة المهجر الشمالي ولا سيما شعراء «الرابطة القلمية» منهم، لذا سيجتزئ الباحث بما تقدم، فهو حسبنا في هذا البحث.

**التحرر مِن قيود القديم:**

كان الأدب العربي قبل أنْ يطلع علينا المهجريون بأدبهم القوي العميق المشرق، يسير على أنماط مِن الأساليب القديمة التي يهمها اللفظ أكثر مما يهمها المعنى، وكان الكتّاب والأدباء يتبارون في تقليد القدماء في ما يطرقونه مِن المواضيع: شعراً ونثراً، ويجرون على نفس الأساليب التي درج عليها أولئك القدماء، والتي لا تلائم إلا عصورهم الماضية؛ فها هو ميخائيل نعيمة يقول: «فقد تكشف لنا فقرنا الفاضح إلى أدب ينبع مِن الحياة وأدباء لا يتلهون بالقشور عن اللباب»[223].

فلمّا ظهرت مدرسة الرابطة القلمية في المهجر الشمالي بخصائصها الجديدة وعناصرها

(222) عيسى الناعوري ، أدب المهجر، ص63 .

(223) ميخائيل نعيمة، أبعد مِن موسكو ومِن واشنطن، ط3، 1966، دار صادر، بيروت، لبنان، ص68.

الحيّة، وثورتها الجريئة على كل قديم لا يصلح للحياة ولمسايرة العصر، تطلعت إليها الأبصار، فرأت فئة مِن ذوي الأقلام الفتية قد تحررت مِن عبودية التقليد، ونفضت عنها مذلة الجمود على ما اصطلح عليه الأقدمون مِن أساليب وتعابير، وحررت إنتاجها الأدبي مِن قيود الألفاظ، بينما رأت الفئة الأخرى تمسكها بالقديم وتقليد القدماء إلى حد ينالون معه إعجاب إخوانهم المقلدين[224]؛ وفي هذه المعركة أخذ شعر الرابطة القلمية يشق طريقه بأقدام راسخة في الشرق؛ فتأثر به الشعراء والكتّاب، أولئك الذين وجدوا فيه المثل الأعلى للأدب الجديد الذي يؤمنون به.

وبلغ مِن تأثر شعراء الشرق بهذا الشعر المهجري لدرجة أنّهم طبقوا أساليبه في الثورة على قيود القافية، ولم يكن التأثر في الأسلوب فحسب، بل تعداه إلى المعاني، فقد وجد شعراء الشرق في شعر المهجر آفاقاً أرحب، ووجدوا فيه نزوعاً إلى التأمل والفلسفة والمثالية، والحب، والخير، والإنسانية، فحذوا حذو شعراء المهجر، وأنتجوا شعراً شرقياً في مولده وفي مكانه، مهجرياً في أسلوبه ومبناه»[225]. ونذكر مِن الشعراء الشرقيين الذين تأثروا بالشعر المهجري:

- التيجاني يوسف بشير السوداني.
- عبد المعطي الهمشري المصري.
- أبو القاسم القاسم الشابي التونسي.

وهؤلاء مِن الشعراء الشباب الذين ماتوا في ريعان شبابهم، وغيرهم كُثر ممّن تأثروا بشعر المهجريين.

ولنأخذ مثالاً يبين مدي تأثر شعراء الشرق بالشعر المهجري، ولتكن قصيدة أبي القاسم الشابي «في ظل وادي الموت»، فإنّه يقول:

**نَحْنُ نمْشِي وحَوْلَنا هَاته * الأكْوان تَمشِي لَكنْ لأيّة غَايهْ**
**نَحْنُ نَشْدُو مَعَ العَصَافِير * للشّمْسِ وهَذا الرْبيعُ يَنفخُ نايهْ[226]**

إلى أنْ يقول :

**جَفّ سِحْرُ الحَياةِ يَا قَلْبِي * الْباكِي فَهَيّا نُجرّب الموتَ هَيّا**

نلاحظ كيف أنّ الشابي قد تحرر مِن قيود القافية وأساليب الشعراء القديمة، متأثراً في ذلك بما

(224) عيسى الناعوري ، أدب المهجر، ص46 .

(225) نادرة جميل سّراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص542 .

(226) أبو القاسم الشابي ، ديوان الشابي ، ط4، 5002 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص471.

نهجه شعراء المهجر؛ وملاحظة أخرى إلى معاني القصيدة ترينا مِن وراء كل بيت روح أبي ماضي الفلسفية، وتشاؤم نسيب عريضة في عاطفياته.

وقد مضى المهجريون في أدبهم الجديد الجريء بلا تردد، متحررين مِن كل ما لا يصلح للحياة الجديدة، وانصرفوا عمّا وضعه الأقدمون مِن السنن الأدبية، وما فرضوه مِن الأغراض الشعرية؛ تقول نادرة سرّاج: «ويمكننا أنْ نعد أوّل مبادئ الرابطة القلمية: الثورة على موضوعات الشعر التقليدي التي سار عليها الشعراء منذ عهد امرئ القيس الكندي حتى عصر شوقي وحافظ ومطران في مصر، وناصيف اليازجي في لبنان، والرصافي والزهاوي في العراق»[227].

ومِن الإنصاف أنْ نذكر هنا أنّ هذه الثورة التجديدية في المهجر بدأت مِن الكتّاب والشعراء المهجريين أنفسهم قبل إنشاء الرابطة القلمية؛ فإنّ البذور الأولى لتلك الثورة المهجرية، كانت قد غرست قبل تأسيس الرابطة القلمية، وذلك حين هبَّ الكاتب المهجري «أمين الريحاني» مطالباً الشعراء بنبذ موضوعات الشعر التقليدي وعدم السير في ركاب الأقدمين مِن ابتداء القصائد بالبكاء على الأطلال وتذكر الأحبة ممن غادروا الديار»[228]، يقول أمين الريحاني في إحدى وصاياه للشعراء المهجريين: «حرروا صناعتكم مِن «قفا نبك» و «سائق الأظعان»، إنّ عندكم اليوم الطيارات لتسوقوا النجوم»[229].

وإذا كان أمين الريحاني[230] واضع بذور الثورة على الشعر التقليدي في المهجر، فإن جبران خليل جبران – رئيس الرابطة القلمية – هو باعثها ونافخ بوقها ومغذي روحها، فنجده يقول مخاطباً الشعراء والكتّاب: «ليكن لكم مِن قصائدكم الخصوصية مانع مِن اقتفاء أثر المتقدمين، فخير لكم وللغة العربية أنْ تبنوا كوخاً حقيراً مِن ذاتكم الوضيعة مِن أنْ تقيموا صرحاً شاهقاً مِن ذاتكم المقتبسة»[231].

فالشعر عنده يجب أنْ يكون تعبيراً عما في نفس صاحبه وما ينفعل به هو عينه لا غيره ممن تقدمه مِن الشعراء. وها هو جبران طول حياته الفنية والأدبية لا تّعرف له قطعة في مدح رئيس أو رثاء صديق؛ وعلى هذا النهج الذي انتهجه

(227) نادرة جميل سّراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص114 .

(228) المرجع السابق، ص113.

(229) أمين الريحاني ، أنتم الشعراء ، ط1، 2012 ، مؤسسة هنداوي ،القاهرة ، مصر، ص47.

(230) هو أمين بن فارس الريحاني (1876-1940) ولد في قرية الفريكة في لبنان وتوفي فيها ، بدأ ظهوره الأدبي في المهجر قبل أن يعرف الناس جبران ورفاقه ، له عدد كبير من المؤلفات العربية والإنجليزية ، وبهذه المؤلفات لا يزال أكبر مرجع عربي في تعريف العرب ببلادهم ، ومنها " ملوك العرب"وتاريخ نجد الحديث وقلب لبنان وقلب العراق ، المغرب الأقصى ، الريحانيات ، وأنتم الشعراء ...إلخ (ينظر أدب المهجر : لعيسى الناعوري ، ص347 ) .

(231) محي الدين رضا ، بلاغة العرب في القرن العشرين ، ط1، 1339هـ ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ص83 .

جـبران سـار جميـع أعضـاء الرابطـة القلميـة مِـن الشـعراء والكتّـاب، فنـرى ميخائيـل نعيمـة يمتـدح هـذا النهـج الجديـد في الأدب الحديـث، وخاصـة أنّـه يبتعـد عمـا اعتـاد أنْ ينظمـه الأقدمـون مِـن شـعر تقليـدي لا يمثـل حيـاة اليـوم ولا يمـتّ إليهـا بصلـة، ويعـترف بـأنّ الأدب العربـي الحديـث أخـذ عـن الغـرب أمثولـة جعلهـا حجـر الزاويـة في نهضتـه الأدبيـة؛ فيقـول نعيمـة: «أدركنـا – بفضـل الغـرب – أنّ نظـم الشـعر ممكـن في غـير الغـزل والنسـيب، والمـدح والهجـاء، والوصـف والرثـاء، والفخـر والحماسـة، لذلـك أطربتنـا نغمـة بعـض شـعرائنا الحديثـين الذيـن تجـاسروا أنْ يتعـدّوْا هـذه الحـدود المقدسـة»[232].

وهكـذا جـاء ديـوان ميخائيـل نعيمـة (همـس الجفـون)، كلـه خواطـر نفسـية وتأمـلات فلسـفية وأفـكار في الزهـد والصوفيـة؛ ومِـن هنـا جـاء اسـم ديوانـه مطابقـاً لمضمونـه، هـي همسـات بينـه وبـين نفسـه، وبينـه وبـين الطبيعـة الصامتـة حولـه.

ونجـد «أبـا مـاضي» يقـول في نفـس المضمـون، مؤيـداً لـرأى نعيمـة، وداعيـاً لنبـذ أغـراض الشـعر المألوفـة لـدى الأقدمين:

**أنَـا مَـا وَقَفْـتُ لِكَـي أُشـبّبَ بِالطّـلا * مـــالي وللتَّشْـــبيب بالصّهْبـــاء**
**لَا تَسْـــأَلونِي المـدحَ أَو وصْـف الدُّمَـــى * إنّـــي نبــذْتُ سَفاســـفَ الشُّـــعَراء**
**بَاعُـوا لأجْــلِ الْمَــالِ مَــاءَ حَيَائِهـم * مَدْحَــاً وبِــتُّ أصُــونُ مَــاءَ حَيائِــي**[233]

ومِـن هنـا نلاحـظ أنّنـا بمجـرد النظـر إلى عناويـن الدواويـن الشـعرية التـي صـدرت عـن أعضـاء «الرابطـة القلميـة» في نيويـورك، نجدهـا تعطينـا فكـرة واضحـة عـن ماهيـة الشـعر وأغراضـه عندهـم، فهـي إمّـا أسـماء مسـتقاة مِـن الطبيعـة بمظاهرهـا المختلفـة كالجـداول والخمائـل وأوراق الخريـف، وإمّـا أسـماء معـبرة عـن حـالات نفسـية وأفـكار فلسـفية تأمليـة مثـل: الأرواح الحائـرة، وهـي الدنيـا، وأغانـي الدرويـش.

إذن فالشـعر عنـد مدرسـة الرابطـة القلميـة ليـس ذلـك الـذي يُقـال في أغـراض قديمـة مملولـة تأباهـا النفـس المتحـررة، وليـس بغريـب هـذا عـلى قـوم عاشـوا في بـلاد متحـررة لا تعـترف بالقيـود والأغـلال، وأنّهـم هاجـروا مِـن بـلاد تـئن مِـن وطـأة القيـود السياسـية والدينيـة والاجتماعيـة؛ وهـم إلى جانـب هـذا أفـراد مثقفـون عشـقوا القـراءة والمطالعـة، وتعلمـوا لغـة البـلاد التـي حلـوا بهـا، فأمكنهـم هـذا مِـن الاطـلاع عـلى بعـض الآداب الأجنبيـة التـي وجـدوا ميـلاً نحوهـا[234].

(232) ميخائيل نعيمة ، الغربال ، ص84 .

(233) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص332.

(234) – نادرة جميل سّراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص118.

## الطابع الشخصي:

مِـن أبـرز مـا يتميـز بـه أدبـاء وشـعراء المهجـر أنّ لـكل مِنْهـم طابعـاً خاصـاً يمتـاز بيـسر وسـهولة عـن طبائـع الآخريـن، وتظهـر فيـه شـخصية صاحبـة قويـة بخصائصهـا عـلى الرغـم مِـن وحـدة المنبـع ووحـدة الغايـة لـدى الأكثريـن.

فأغلـب شـعراء «الرابطـة القلميـة» يغترفـون مِـن مناهـل واحـدة، ويهدفـون إلى غايـة واحـدة أو غايـات متقاربـة؛ ولكـن بقـدر اشـتراك هـؤلاء الشـعراء جميعهـم مِـن مناهـل واحـدة، والسـعي لغايـة واحـدة، فنلاحـظ تبايـن شـخصياتهم الأدبيـة، بحيـث يظهـر كل منهـم مسـتقلاً عـن الآخريـن، بطابعـه الخـاص في التفكـير أو في التعبـير، أو في كليهمـا معـاً، وقـد نكـون في حاجـة إلى بعـض الشـواهد عـلى تميـز الطوابـع الأدبيـة لـدي هـؤلاء المهجريـين؛ فلذلـك نـرى أنْ نستشـهد بعـدد مـن أعـلام الرابطـة القلميـة، لأنّ المجـال لا يتسـع للجميـع.

فـإذا أخذنـا الآن جـبران خليـل جـبران، فقـد كان مِـن أسـبق المهجريـين إلى الظهـور وإلى التأثـير في الأدب العربـي الحديـث بأسـلوبه الجديـد في التعبـير، وقـد بهـر العالـم العربـي بخيالاتـه الجميلـة وبيانـه المترقـرق بأبسـط الألفـاظ وأعذبهـا، وأوقعهـا في النفـوس، فنجـده في «المجنـون» و «السـابق»، حكيمـاً يخاطـب العقـول بالأمثـال، وفي «آلهـة الأرض» يتحـدث بالرمـوز، وفي «المواكـب» يتحـدث بطريقـة الحـوار التمثيـلي، وفي «النبـي» نجـده معلمـاً ومرشـداً؛ ففـي كل هـذه الأسـاليب المتنوعـة، تميـز في طابعـه الأدبـي عـن كل أديب آخـر[235]؛

أمّـا ميخائيـل نعيمـة في كل مـا يكتبـه، فأسـلوبه هـو هـو لا يتنـوع، ولغتـه البسـيطة الجميلـة الواضحـة هـي هـي، وروحـه هـي هـي، ونـوع تفكـيره العاطفـي الخيـالي هـو هـو؛ وبهـذا كلـه يتميـز طابـع ميخائيـل نعيمـة الأدبـي عـن سـواه[236].

أمّـا مزايـا الطابـع الشـخصي لأبـي مـاضي، أو لنسـيب عريضـة، أوغيرهمـا مِـن شـعراء الرابطـة القلميـة، فهـي أوضـح مِـن أنْ نحـاول إيضاحهـا وتحديدهـا؛ حيـث نلاحـظ أنّ لـكل منهـم طابعـه الخـاص بـه مِـن خـلال إنتاجهـم الأدبـي، حيـث يـولي كل شـاعر أهميـة التعبـير عمـا بداخلـه، متأثـراً بمـا يحيطـه، فمثـلاً أبـو مـاضي يلجـأ أحيانـاً إلى الرمـز، ففـي قصيدتـه «الضفـادع والنجـوم»، هـي رمـز للثرثـار الكـذاب المتطـاول عـلى أقـدار الأعليـاء، وقصيدتـه «التينـة الحمقـاء»، فهـي رمـز للبخيـل الشـحيح الـذي لا يعطـي ممـا تعطيـه الحيـاة، فيكـون جـزاؤه المـوت محرومـاً، وكذلـك قصيدتـه « الغديـر الطمـوح»، فهـي رمـز للطامـع الـذي يطلـب مِـن الأيـام مـا ليـس في طبعهـا؛ أمّـا نسـيب عريضـة

(235) عيسى الناعوري ، أدب المهجر، ص69.

(236) المرجع السابق ، ص27.

فنجـده في طابعــه الخــاص لا يميــل إلى الغمــوض، فشــعره واضــح معــبر عــن الحيــاة في صــدق، ونلاحــظ ذلــك في قصيدتــه «النهايــة»، حيــث يقــول:

**كَفِنُوه! ادْفِنُوه! أسْكِنُوه**

**هُوَةَ اللّحْدِ الْعَمِيقْ**

**واذْهَبُوا لَا تَنْدُبُوه، فَهْو شَعْبٌ**

**مَيّتٌ لَيْسَ يَفِيقْ**[237]

وقــد كتــب الأديــب العربــي المعــروف الدكتــور محمــد منــدور في كتابــه «الميــزان الجديــد» عــن أســلوبهم الفنــي المتميــز، الــذي يضفــي عليــه الشــعراء المهجريــون طابعهــم الشــخصي، وحلــل عــدداً مِــن القصائــد والقطــع النثريــة المهجريــة في فصــول متتابعــة تحــت عنــوان «الأدب المهمــوس»، اهتــم فيهــا كثــيراً ببيــان قــوة الألفــاظ في الدلالــة عــلى معانيهــا، وفي جمــال مواقعهــا، وإبــراز الطابــع الشــخصي لــكل منهــم[238].

وعــلى الرغــم مِــن تميــز الشــخصية عنــد بعضهــم، والطابــع الخــاص الــذي يميــز كلّ منهــم، إلّا أنّــه كان للرابطــة القلميــة تأثيرهــا الثــوري القــوي في الفكــر والبيــان عــلى أعضائهــا المنضويــن تحــت لوائهــا، فتآلفــت نزعاتهــم، وتوافقــت أفكارهــم، وتقاربــت مراميهــم، واتحــدت أهدافهــم، بحيــث التقــت فيهــا قرابــة النســب العربــي، ووشــيجة الغربــة، بقرابــة الهــدف الفكــري والغــيرة عــلى إنقــاذ الأدب العربــي مِــن جمــوده، واجتمــاع الكلمــة عــلى تجديــده[239].

مِــن هنــا نــرى أنّ هــذه الجماعــة أصبحــت وكأنّهــا شــخصية أدبيــة واحــدة، لأنّهــا تشــابهت ظروفهــا، وتوحــدت مبادئهــا، وتآلفــت أرواحهــا، واتفقــت في معظــم خصائــص الشــعر ومميزاتــه، مِــن حنــين وحــب وتأمــل وبراعــة في الوصــف والتصويــر، ثــم انطلقــت تــؤدي رســالة واحــدة، تجــاه الأدب العربــي الحديــث، وأمــة العــرب قاطبــة في الــشرق، والعالــم ككل.

**الحنين إلى الوطن:**

بالرغــم مِــن ابتعــاد شــعراء «الرابطــة القلميــة» عــن موطنهــم وموطــن آبائهــم في الــشرق، فإنهــم ظلــوا مرتبطــين بــه بعوامــل شــتى، فهنــاك الأهــل الذيــن لــم يكــن مِــن الســهل نســيانهم، وهنــاك الأرض وطبيعــة بلادهــم الجميلــة التــي كانــوا دائمــاً يحنــون إليهــا، ثــم

(237) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص23.

(238) ينظر: عيسى الناعوري ، أدب المهجر، ص71.

(239) حسن جاد حسن ، الأدب العربي في المهجر، ص423 .

هنـاك أحـداث سـوريا ولبنـان والـشرق العربـي التـي كانـت تهتـز لهـا قلوبهـم فتفيـض عـلى ألسـنتهم شـعراً ونثـراً. يقـول الدكتـور أنيـس المقـدسي في حديثـه عـن الأدب المهجـري: «ومنـذ إعـلان الدسـتور العثمانـي 1908م إلى الحـرب العالميـة الأخـيرة ومـا أعقبهـا مِـن الاعـتراف باسـتقلال أكثـر الأقطـار العربيـة ومـا يتصـل بذلـك، كان لـلأدب المهجـري شـعراً ونثـراً يـد تذكـر في المدافعـة عـن حقوقنـا وإذكاء نـار الحميـة في نفوسـنا»[240]؛ وهكـذا ظـلّ شـعرهم مرتبطـاً بالأوطـان. وقـد قسـت الحيـاة عـلى بعـض شـعراء المهجـر ومِنهـم شـعراء الرابطـة القلميـة، فـزاد ذلـك مِـن نغمـات حنينهـم إلى أوطانهـم، عـلى أنّ الميسـورين منهـم لـم تنسـهم النعمـة شـقاء أوطانهـم الأولى، ولـم تشـغلهم الوفـرة عـن تذكرهـا والحنـين إليهـا، فهـم دائمـو النـزوع إليهـا كمـا قـال شـوقي:

**وَطَنِـي لَـوْ شُـغِلْتُ بالخُلْـدِ عَنْـهُ * نَازَعتْنِـي إليْـه فِي الخُلْـدِ نَفْـسِي**[241]

ومـا غـاب الوطـن لحظـة عـن ضمـير شـعراء المهجـر، فهـو ماثـل دائـم الحضـور في ضمائرهـم»؛ وقـد عـبر عـن ذلـك، إيليـا أبـو مـاضي بقولـه:

**لَبْنَـانُ فِيكُـم مَاثِـلٌ إنْ كُنْتـم * في مـصْرَ أوْ فِي الهِنـد أوْ فِي الصّـين**
**إنْ بِنْتُمُـو عَنْـه فَمَـا زَالَ الْهَـوى * يدْنِيُـمُ مِنْـه كَمـا يدْنِينِـي**
**وَحَراكُكـم لِعَلائـه وَسُـكونكُم * وإلى ثَـراهُ حَنينُكُـم وَ حَنينـي**[242]

ويقول أيضاً :

**الأَرْضُ: سُـوريا أحَـبُّ رُبوعِهـا * عنْـدِي ولبنـانُ أعـزّ جِبالَهـا**
**والنّـاسُ أكْرَمَهُـم عـليّ عَشـيْرُها * رُوحِـي الفـداءُ لرهْطِهـا ولِآلهـا**[243]

ويقول ندرة حداد متلهفاً إلى الربوع السورية وإلى خمائل حمص:

**أيُّهَا الآتِي مِن الأوْطَانِ والأوْطَانُ حُلْوَه**

**لَمْ أَجِدْ عَنْهَا وإِنْ طَالَ زَمَانُ الْبُعْدِ سَلْوه**

**وَطَنٌ أوْجَدَ مُذْ فَارَقْتُهُ فِي الْقَلْبِ جَذْوَه**[244]

فـإنّ الحنـين المشـبوب يتجـلى في أدب الرابطـة القلميـة وفي أدب المهجريـين جميعـاً، فهـا

(240) أنيس الخوري المقدسي ، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، ط1 ، 1952، بيروت ، لبنان، ص62.

(241) أحمد شوقي ، ديوان الشوقيات، تحقيق أحمد الحوفي، ج1، (د.ط)، 1978، دار نهضة مصر، ص205.

(242) إيليا أبو ماضي ، ديوان الخمائل ، ص107 .

(243) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص234..

(244) ندرة حداد ، ديوان أوراق الخريف ، ص23.

هـو جـبران خليـل جـبران يـبرز لنـا صـورة بارعـة مؤثـرة مِـن الحنـين إلى الوطـن، حيـث يقـول: «نجانـي اللـه وإيـاك مِـن المدنيـة والمتمدنـين، ومِـن أمريـكا والأمريكيـين، وسـننجو بـإذن اللـه، وسـنعود إلى قمـم لبنـان الطاهـرة، وأوديتـه الهادئـة، ولـن أسـتعيد عـزة نفـسي وحريـة فكـري وراحـة جسـمي إلا في لبنـان»[245].

إنّ الحنـين إلى الأوطـان ليـس جديـداً عـلى الأدب العربـي، فقـد كان منـذ كان الإنسـان، عـلى حـد قـول أبـي تمـام:

**نَقّـلْ فُـؤادَكَ حَيْـثُ شِـئتَ مِـن الهَوَى * مَـا الْحُـبُّ إلاّ لِلحَبِيـبِ الأَوَّلِ**

**كَـمْ مَنْـزِلٍ فِي الأرْضِ يَألَفُـهُ الفَتَـى * وَحَنِيْنُـهُ أَبَـدَاً لأوَّلِ مَنْـزِلِ[246]**

ولكن جدته في أدب المهجر تظهر:

**أولاً:** في أنّـه ظاهـرة شـائعة لـم تعهـد مِـن قبـل في أدب العـرب حيـث كان مجـرد ومضـات خاطفـة، ولمحـات قليلـة، تبـدو عنـد بعـض الشـعراء.

**ثانياً:** في عمقه وحرارته، وصدقه وقوته.

**ثالثاً:** في رقته العاطفية، وجرسه الساحر المؤثر.

ويرجـع ذلـك – في رأي الباحـث – إلى أنّ المهجريـين الذيـن شـكلوا منظومـة الرابطـة تركـوا وراءهـم بـلاد سـاحرة بمـا فيهـا مـن جمـال الأنفـس وجمـال الطبيعـة كانـت مرتـع صباهم وآمالهـم، إلى جانـب مـا شـاهدوه مِـن قسـوة وظلـم، وعنـت ومشـقة، في بلـد المهجـر، مـا أشـعل في نفوسـهم جـذوة الحنـين، ونـار اللّهفـة الموجعـة إلى أوطانهـم؛ فيقـول أبـو مـاضي:

**اثْنَـانِ أَعيَـا الْدَهْـرَ أنْ يَبلِيْهُمـا * لُبْنَـانُ والأمَـلُ الّـذِي لِذَويـه**

**نَشْـتاقُهُ والصّيْـفُ فَـوْقَ هِضَابِـهِ * وَنُحَبّـهُ والثّلـجُ فِي وَادِيـه[247]**

ونـري كيـف هـي عاطفـة الحنـين إلى الوطـن إذا تأملنـا قـول أبـي مـاضي يـوم زار لبنـان بعـد غيابـه عنـه نحـواً مِـن نصـف جيـل؛ غـادره صغـيراً وعـاد إليـه بعـد أنْ اكتهـل، فـراح يناجيـه بهـذا اللحـن الجميـل، فيقـول:

**وَطَنَ النّجُومِ أنَا هُنا حَدّقْ أتذْكر مَـنْ أنا**

**أنَا ذَلِكَ الوَلَدُ الّذَي دُنْياه كَانتْ هـهُنا**

---

(245) عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص76.

(246) ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي، ط4، 1994م، دار الكتاب العربي، ص65.

(247) إيليا أبو ماضي ، ديوان الخمائل ، ص70.

أنَــا مِــنْ مِياهُــكَ قَطْــرةٌ * فَاضَــتْ جَــداوِلَ مِــنْ سَــنا
أنَــا مِــنْ تُرابِــكَ ذَرةٌ * مَاجَــتْ كَواكِــبَ مِــنْ مُنــى
أنَــا مِــنْ طُيــورِكَ بلبــلٌ * غَنّــى بِمجْــدك فاغتَنــى[248]

وليــس مِــن الغرابــة في شيء أنْ يأتــي الأدب المهجــري مصبوغــاً بالشــوق والحنــين؛ وهــو الــذي ينبــع مِــن قلــوب قـضى عليهــا الدهــر بالهجــران والحرمــان، عــلى أنّ الجديــد في الأمــر هــو أنّ هــذا الحنــين راح ينـسرب في ثلاثــة روافــد ليســتقرَّ أخــيراً في بحــيرة الحيــاة العذبــة؛ فهنــاك الحنــين لــلأم وللوطــن الأم، والحنــين إلى الطبيعــة، وهنــاك الحنــين إلى الطبيعــة [249].

ولنســتمع الآن إلى ميخائيــل نعيمــة ليحدثنــا عــن مــدى تعلقهــم بأوطانهــم وحنينهــم إليهــا، فيقــول: «في صيــف تلــك الســنة اتفقنــا أنــا وجــبران ونســيب عريضــة وعبدالمســيح حــداد أنْ نقــضي عطلــة قصــيرة في البريــة، فانطلقنــا في أواخــر حزيــران إلى مزرعــة صغــيرة تبعــد نحــو مئــة ميــل عــن نيويــورك اســمها «كوهنــزي»، في تلــك العزلــة المعطــرة بالســكينة المكحلــة بالجمــال قضينــا عــشرة أيــام مــرت كعــشر دقائــق، جلســنا عــلى تلــك الصخــرة ومــع أنّــه لــم يكــن بيننــا ولا واحــد يحســن الغنــاء فمــا شــعرنا إلا ونحــن نغنــي أغنيــات كلهــا مِــن الأغانــي القوميــة الوطنيــة المعروفــة في لبنــان وســوريا»[250].

**التأمل :**

هنــاك ميــزات يتميــز بهــا مهجريــو الشــمال، وميــزات أخــرى يتميــز بهــا مهجريــو الجنوب، وميــزات ثالثــة يشــتركون فيهــا جميعــاً، ولــو عــلى مقاييــس متفاوتــة؛ ففــي حديثنــا عــن الحنــين إلى الوطــن – مثــلاً – لاحظنــا كيــف أنّ المهجريــين قــد اشــتركوا كلهــم في ذلــك، لأنهــم جميعــاً عانــوا لواعــج الغربــة، واكتــووا بنــيران الشــوق إلى الحيــاة البســيطة، بعــد أن صدمتهــم ماديــة الغــرب ومدنيتــه صدمــات قاســية.

ونأتــي الآن إلى ميــزة اختــص بهــا – في الغالــب – شــعراء وأدبــاء الرابطــة القلميــة، ومنهــم في المــكان الأوّل، جــبران، ونعيمــة، ونســيب عريضــة، وأبــو مــاضي؛ يقــول عيــسى الناعــوري: «لــم يشــترك في ميــزة التأمــل مِــن مهجريــي الجنــوب إلا الأقلــون، وعــلى مــدى ضيــق»[251].

وميــزة التأمــل هــذه هــي مِن أبــرز مــا يميــز أدب الرابطــة القلميــة، بنــوع خاص، على ســواه مِــن آداب العــرب جميعــاً، في القديــم والحديــث – باســتثناء القليــل منهــا، كأدب المعــري مثــلاً – لأنّهــا بعــض طابعهــم الجديــد، وبعــض الخصائــص التــي أدخلوهــا عــلى الأدب العربــي

(248) إيليا أبو ماضي ، ديوان تبر وتراب ، ط5، 1986 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ص363 .

(249) وديع أمين ديب، الشعر العربي في المهجر الأمريكي، ط1، 5591، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ص77.

(250) المرجع السابق، ص08.

(251) عيسى الناعوري ،أدب المهجر ، ص38 .

الحديث، وتفوقوا فيها، وسموا إلى جواء عالية؛ والذي يقرأ أدبهم التأملي: الشعري والنثري، يرى أنّ هؤلاء الأدباء، كأنما كانوا في تأملاتهم يتجردون مِن طبيعة الطين، ويسمون فوق الحياة وفوق البشر، ويحلقون بأخيلتهم في عوالم مجهولة، يحللون النفس الإنسانية ويصورونها بدقة، ويحاولون إماطة اللثام عن أسرار الحياة، وأسرار ما وراء الحياة، وفي كثير مِن هذه التأملات العميقة يحدوهم الشك؛ ولكنّه الشك الباحث عن الحقيقة، المتطلع إلى تحقيق مُثل إنسانية عليا خالدة»[252]، يقول وديع ديب: «التأمل في الشعر المهجري مِن أبرز خصائصه، وبهذا كان الشعر المهجري عميقاً في أحاسيسه»[253].

إنّ الأدب العربي لم يعرف الأدب التأملي قط كما عرفه في أدب المهجر، بشكل جديد رائع، فيه عمق ورحابة وشمول، وفيه قوة وحيوية وجمال، فنلاحظ أنّ أغلب مؤلفات جبران، مثل: يسوع ابن الإنسان، وآلهة الأرض، والنبي، والمجنون، والمواكب، وأشياء مِن العواصف، وغيرها، يمتد مِن خلالها الخيال الجموح في أدب الرابطة القلمية، وندرك فيها مدى انفساح الآفاق النفسية؛ وكذلك مؤلفات نعيمة: زاد المعاد، والمراحل، والبيادر، وهمس الجفون، ومرداد؛ والقسم الأكبر مِن شعر أبي ماضي، ولا سيما «الطلاسم»، ومثله مِن شعر نسيب عريضة؛ يقول عيسى الناعوري عن شعر نعيمة[254]: «نعيمة شعره كله من النوع التأملي، وكذلك أغلب نثره؛ فانظر إلى قصيدته «الخير والشر» التي يقول فيها:

**سَمِعْتُ فِي حلْمِي ويا للعَجَبْ ✻ سمعْتُ شيطاناً يناجِي مَلاكْ**
**يَقُولُ:أي بَلْ ألف أي يا أخِي! ✻ لوْلا جَحِيمِي أيْنَ كَانتْ سَمَاكْ؟**
**أَلَيْسَ أنّا تَوأمَانِ اسْتَوى ✻ سِرّ البَقَا فِينَا وشَرّ الهَلَاكْ[255]**

أمّا جبران خليل جبران ، فليس ثمة مَن يجهل «مواكبه»، التي تجمع في أبياتها المئتين والثلاثة خلاصة فلسفة الحياة؛ وفيها يقول في «العدل» على لسان الشيخ:

**والعَدْلُ فِي الأرْضِ يُبْكِي الجنَّ لَوْ سَمِعُوا ✻ بِه ويسْتضحِكُ الأمواتَ لوْ نَظَرُوا**
**فالسّجنُ والموْتُ للجانينَ إنْ صَغرُوا ✻ والمَجدُ والفَخرُ والإثراء إنْ كبرُوا**

وعلى لسان الفتى يقول:

(252) المرجع السابق ، ص38 .

(253) وديع أمين ديب، الشعر العربي في المهجر الأمريكي، ص89.

(254) المرجع السابق ، ص48 .

(255) المرجع السابق، ص58.

**لَيْسَ فِي الْغَاباتِ عدْلٌ لَا ولَا فيْهَا الْعُقَابْ**

**فَإذَا الصّفْصَافُ أَلْقَى ظِلْه فَوْقَ التُّرابْ**

**لَا يَقولُ السّرو : هَذِى بِدْعةٌ ضـدّ الكتابْ**

**إنّ عَدْلَ النّاسِ ثَلْجٌ إنْ رأتْهُ الشّمسُ ذابْ**(256)

وعــلى هــذه الطريقــة مِــن الحــوار بــين الشــيخ والفتــى يمــضي جــبران في تحليــل أمــور الحيــاة والمجتمــع الإنســاني.

وإذا قرأنا «طلاسم» إيليا أبو ماضي، فنراه يبدؤها بقوله:

**جِئتُ لا أعْلَمُ مِنْ أَيْنَ ، ولكنّي أتيْتُ**

**ولَقدْ أبْصَرْتُ قُّدامِي طْريقاً ، فَمشَيْتُ**

**وسأبقى ماشياً إن شئتُ هذا أم أبيت**

ثم يختمها بقوله :

**إنّنِي جِئْتُ وأمْضِي ، وأنا لا أعلمُ**

**أَنَا لغزٌ ، وذَهَابِي كَمَجيئي طَلْسمُ**

**لَا تُجادِلْ ذا الحِجا مِنْ قَالَ: إنّي!**

**لسْتُ أدْري!**(257)

فالقصيــدة في مجملهــا واضحــة في معانيهــا وتعبيراتهــا وصياغتهــا، إلا أنّهــا عميقــة في مدلولاتهــا وأفكارهــا والتــي تحمــل مِــن الأبعــاد التأمليــة الفلســفية مــا يقــف عنــده القاريء باهتمــام، وتــدور حــول عــدة أفــكار وأســئلة فلســفية حــول الوجــود وحــول الحيــاة، ولكنــه لا يســتطيع لهــا جوابــاً إلّا في « لســت أدري» التــي ينهــى بهــا تســاؤلاته؛ والتــي تعنــى عــلى الصعيــد الفلســفي الجــواب أو الــلا أدريــة الفلســفية(258).

وهــذه القصيــدة مِــن ضمــن قصائــد ديــوان «الجــداول» وتعتــبر مِــن أطــول القصائــد في الديــوان فتتكــون مِــن نحــو 340 بيتــاً، نظمــت عــلى بحــر مجــزوء الرمــل، وتتــوزع إلى

(256) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران (الشعر) ، جمع وتقديم أنطوان القدال ، ص22.

(257) ديوان إيليا أبي ماضي ، ج2، جمعه وحققه وشرحه الدكتور عفيف نايف حاطوم ، ص 78 .

(258) الــلا أدريــة أو الأغنوســتية (AGNOSTICISM) مصطلــح مشــتق مــن الإغريقيــة، وهــي توجــه فلســفي يؤمــن بــأن القيــم الحقيقيــة للقضايــا الدينيــة أو الغيبيــة غــير محــددة ولا يمكــن لأحــد تحديدهــا، عُرفــت في القرنــين الأولــين مــن العهــد المســيحي بخاصــة، تمــزج الفلســفة بالدين ، وتستند إلى المعرفة الحدسية العاطفية للوصول إلى معرفة الله .

عـدة أقسـام: (المقدمـة، البحـر، في الديـر، بـين المقابـر، القـصر، الفكـر، صراع وعـراك)[259]، وقـد أثـارت كثـيراً مـن الجـدل وحفـزت شـهية عـدد مِـن النقـاد لتناولهـا، ودفعـت بعـض الشـعراء لمعارضتهـا والإجابـة عـن تسـاؤلات شـاعرها، ومِـن أوائـل مَـن عارضهـا وأجـاب عـن تسـاؤلاتها الفلسـفية التأمليـة الشـاعر محمـد الجـواد الجزائـري حيـث نظـم قصيـدة طويلـة مِـن نحـو 238 مقطعـاً عـلى شـكالتها وبنفـس الـوزن مقسـمة إلى أبـواب بنفـس عناويـن القصيـدة الأصـل، بحيـث يذكـر الأصـل ثـم المعارضـة، وسـماها «حـل الطلاسـم» وطبعـت في كتـاب أول مـرة في بـيروت سـنة 1946م ، جـاء في مقدمتهـا :

**أنا في جوهري الفقرُ إليه ، وهو حسبي**

**أنا في الكونِ، ولكنْ أنَا سارٍ وهو درْبي**

**وكلانا فيضُهُ، والفيضُ فضلُ**

أمّـا صاحـب ديـوان «الأرواح الحائـرة» نسـيب عريضـة، نلاحـظ مِـن تسـمية ديوانـه، أنّهـا تـدل عـلى حـيرة روحـه الباحثـة عـن الحقيقـة خلـف كل شيء؛ فلنسـمعه في قصيدتـه «عـلى الطريـق» يتسـاءل وهـو يحـث نفسـه عـلى المسـير:

**لِمَاذَا وقَفْتُ بِخَوْفٍ وحَيْرَة أيَا نَفْسُ عِنْدَ الطَرِيقِ الأَخِيرَه ؟**

**ألا أمْشي فإنّ الْحَيَاةَ قَصِيرَه ألا أمْشِي ![260]**

وإذا كانـت الخطـرات التأمليـة قـد خامـرت أذهـان الكثيريـن مِـن الفلاسـفة والأدبـاء قبـل المهجريـين، فـإنّ الجديـد في هـذا الطابـع عندهـم هـو غلبتـه عليهـم واسـتغراقه لعقولهـم وأفكارهـم، وكثرتـه في أدبهـم، وعرضـه في شـكل جديـد رائع مِـن الأسـلوب والصياغة، واتسـامه بالعمـق والشـمول، والقـوة والحيويـة والجمـال[261]؛ ومِـن ذلـك قـول نسـيب عريضـة:

**يَا نَفْسُ مَالِك وَالأَنِين تَتَألّمَين وتُؤلِمِين**

**عَذّبْتِ قَلْبِي بِالحَنِينِ وَكَتَمْتِهِ مَا تَقْصُدين[262]**

وهكـذا نـرى أنّ هـذا النـوع مِـن الأدب التأمـلي، يكتشـف المجهـول، ويسـتنطق الغيـب، ويحلـل الأشـياء ويعللهـا، ليصـل إلى حقائقهـا الخالـدة؛ وهـو كمـا يقـول الناعـوري: «أدب أفاضتـه أرواح حـرّة، ورتلتـه ضمائـر صريحـة، لا تجـد مـا يحدوهـا ويكبلهـا دون البحـث عـن الحقيقـة »[263].

(259) ينظر: الموسوعة الحرة، حل الطلاسم .

(260) نسيب عريضة ، ديوان الأرواح الحائرة ، ص23.

(261) حسن جاد حسن ، الأدب العربي في المهجر ، ص683.

(262) ديوان الأرواح الحائرة ، مرجع سابق، ص30.

(263) عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص87 .

## عمق الشعور بالطبيعة:

سحرت الطبيعة شعراء العربية مِن العصر الجاهلي وما تلاه مِن العصور، وراعتهم مشاهدها، وبهرتهم مناظرها، فحلَّق خيالهم في أجوائها وآفاقها، وانطلق بين جداولها ومروجها، وجنح فوق رباها وخمائلها، مأخوذاً بما أودعه الله تعالى فيها مِن جمال وفتنة وحسن، وراحوا يصدحون في مجاليها العديدة، ومغانيها الجميلة، بأعذب الألحان، وأروع الأنغام؛ هكذا يقدم دكتور محمد حسين هيكل لكتاب «شعر الطبيعة في الأدب العربي لمؤلفه «سيد نوفل»، الذي ذهب إلى أنّ كل مظاهر الطبيعة بأنواعها المختلفة، هي التي أثّرت في شاعرية كل شاعر، وإبداع كل فنان وأديب[264].

ولكننا نلاحظ أنّ كثيراً مِن شعراء العربية في تلك العصور، كان شعوره بالطبيعة يقف عند ألوانها الزاهية ومفاتنها الحسية، فلا يعدو أنْ يصف الألوان ونقوش الجدران، أي أنّه يتناول الطبيعة وكأنّها دمية جامدة صامتة لا حسّ فيها ولا شعور ولا حياة ، كما في قول ابن خفاجة في وصف نهر:

**مُتَعَطِّفٌ مِثْلَ السِّوارِ كَأنّهُ * والزّهْرُ يَكْنُفُهُ مَجَرُّ سَمَاءِ**[265]

ولعلنا نلاحظ التشبيه تلو التشبيه (مثل) (كأنّ) دون أنْ يكون هناك تشخيص لهذه الصور ليمنحها الحياة والإحساس والشعور الذي يخرج بها مِن نطاق الجمود إلى مجال الحركة والحيوية[266]؛ ولعلّ هذا ما نجده عند معظم الشعراء الأقدمين الذين تناولوا الطبيعة في شعرهم، وقليل منهم مَنْ كان يميل إلى بث الروح والحياة في الطبيعة.

أمّا الناظر إلى شعر شعراء المهجر عامة وشعراء «الرابطة القلمية» بوجه خاص، فيجدهم أنّهم ارتبطوا بالطبيعة ارتباطاً شعورياً وثيقاً خلق بينهم وبينها ارتباطاً وجدانياً، جعلهم يختلفون عن غيرهم مِن الشعراء في تناولهم للطبيعة؛ وقد صور لنا ميخائيل نعيمة، في حياة جبران، مدى شعور المهجريين بالطبيعة بصورة دقيقة، إذ قال: «... فالإنسان والثعبان، والقنفذ والغزال، والملاك والشيطان، أبناء الغاب الواحد، والغاب منهم غاية واحدة، وله فيهم مشيئة واحدة، مَنْ عرفها لم يعاندها، بل استسلم لها، ومِن جهلها فعاندها، سحقته فأشقته»[267]؛ فنعيمة إذ يقول هذا القول، إنّما ينظر إلى الوجود كله على أنّه وحدة كاملة، تتنوع مظاهرها ولكن جوهرها واحد لا ينفصل.

---

(264) ينظر : شعر الطبيعة في الأدب العربي، سيد نوفل ، ط1،1945، مطبعة مصر، القاهرة، ص4.

(265) ديوان ابن خفاجة، تقديم دكتور عمر الطبّاع، (د.ط)، 4991، دار القلم، بيروت، لبنان، ص21.

(266) فوزي يوسف ، شعر المهجر قضاياه ومميزاته، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزيرة ،السودان، 2013، ص87 .

(267) ميخائيل نعيمة ، جبران خليل جبران، ص67.

والغـاب عنـد المهجريـين هـو رمـز البسـاطة والجمـال، كمـا يقـول نسـيب عريضـة: «الغـاب كتـاب مقـدس، كلماتـه تعاويـذ تشـفي مـن لذعـات فلسـفة الحيـاة «([268]).

ولعـل «الغـاب» هـو المـسرح الـذي وجـد فيـه المهجريـون جمـال الطبيعـة في فطرتهـا، وصفائهـا ومسـاواتها التامـة بـين الأحيـاء، فهـا هـو أبـو مـاضي يصـور لنـا الغـاب، ومـا فيـه مِـن لهـو وجمـال وعطـف، في قصيدتـه «الغابـة المفقـودة»، فيقـول:

**للـهِ فِي الْغَابَـةِ أيّامُنَـا ❊ مَـا عَابَهَـا إلاّ تَلَاشِـيْهَا**
**طَـوْراً عَلَيْنَـا ظـلُّ أدْوَاحهَـا ❊ وتَـارَةً عَطــفُ دَوَاليهَـا**
**وتَـارَةً نَلْهُـو بِأعنَابِـهَا ❊ وتَـارَةً نُحْـصِي أَقَاحِيْهَـا[269]**

وهذا ميخائيل نعيمة يكر إلى الغاب قائلاً في قصيدته «صدى الأجراس»:

**أشْـجَارُ الْغَـابِ تَحـيّينا ❊ وطِيُـورُ الغَـابِ تنَاجِيْنَـا**
**وَزُهُـورُ الْغَـابِ تصَافِحُنَـا ❊ ونصَـافِحُهَا وتـهنّينا[270]**

ويقول جبران خليل جبران في قصيدته «المواكب»:

**لَيْسَ فِي الْغَابَاتِ حُزْنٌ ❊ لَا ولَا فِيْهَا الْهُمُومْ[271]**

فالغـاب التـي يقصدهـا الشـاعر جـبران، فليسـت غابـاً بمعناهـا الضيـق؛ بـل هـي الطبيعـة بأسرهـا كمـا قـال أنطـوان القـوّال في مقدمتـه التـي كتبهـا للمجموعـة الكاملـة لمؤلفـات جـبران خليـل جـبران الشـعرية[272].

ويعـبر شـعراء الرابطـة القلميـة عـن الحيـاة الطبيعيـة السـهلة غـير المعقـدة بألفـاظ أخرى غـير الغـاب منهـا: القفـر والنـور والضيـاء؛ فهـذا إيليـا أبـو مـاضي في ديوانـه «الجـداول» يكتـب قصيـدة بعنـوان «في القفـر» ويعنـي بـه نفـس مـا عنـاه جـبران خليـل جـبران بكلمـة الغـاب ويبدؤهـا بقولـه:

**سَـئمَتْ نَفْـسِي الْحَيـاةَ مَـعَ النّـاسِ ❊ ومَلَّـتْ حَتَـى مِـنَ الأحْبَـابِ[273]**

وقـد خـرج شـعراء المهجـر مِـن أوطانهـم يحملـون معهـم خصائـص الشـعر العربـي، وفي

(268) نادرة جميل سّراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص261 وما بعدها.

(269) الأعمال الكاملة لأبي ماضي، تقديم عبدالكريم الأشتر، ص387.

(270) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ط6، 4002، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ص83.

(271) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران(الشعر)، جمع وتقديم أنطوان القوّال، ص91.

(272) المرجع السابق ، ص7.

(273) إيليا أبو ماضي، ديوان (الجداول) ، ط1، 8891، دار كاتب وكتاب، بيروت، ص84.

أخيلتهم تلك الطبيعة الجميلة التي طالما عاشوا فيها ومعها أجمل مراحل عمرهم؛ مرحلة الطفولة والصبا، وعندما وصلوا إلى بلاد المهجر وعاشوا في العالم الجديد جعلوا مِن الطبيعة أدباً جديداً مبتكراً، فكانت الطبيعة عندهم أفسح مِن أنْ تكون مستودعاً لا يرى فيه الشاعر إلا صورة اعتدال القوام واهتزاز الخصر وابتسام الثغر([274]). وقد منح شعراء المهجر الطبيعة الحياة وخلقوا فيها الشعور والإحساس، مما خلق نسباً وثيقاً وتجاوباً شعورياً بينهما، فعانقوها عناقاً روحياً لا ينفصم فهي بما فيها مِن قلب نابض وحياة شاملة تساجلهم العطف وتجاذبهم المودة، مما جعل الطبيعة في شعرهم تختلف عن الطبيعة في شعر غيرهم على مرّ مراحل الشعر العربي، فهذا الإحساس العميق بالطبيعة الذي نجده في أدب المهجريين وأصحاب الرابطة القلمية منهم بنوع خاص جديد في طريقته، جديد في روحه؛ فهذا نعيمة في قصيدته «صدى الأجراس» يهتف بالغاب ويتجاوب مع كل شيء فيه شجره وزهره وطيره وشمسه ونهره حتى يصبح كل العالم ملكه، ويتخيل الغاب بأشجاره وطيوره وأزهاره، كلها تصافحهم وتهنئهم بسلامة الوصول، فيقول:

**النّاسُ تَسِيرُ إلَى القُدّاسِ ونَحْنُ نَكِرّ إلَى الْغَابِ**

**أَشْجَارُ الْغَابِ تُحَيِيّنا وطِيورُ الْغَابِ تُنَاجِينا**

**وزُهُورُ الْغَابِ تُصَافِحُنا ونصَافِحها وتُهنِينا**

**والشّمْسُ بِلُطفٍ تَلْثُم أوْجُهَنا وتــذرُّ لنا ذَهّبا**[275]

وفي قصيدته «النهر المتجمد»، يقول:

**يَا نَهْرُ هَلْ نَضِبتْ مياهُك فانقَطعْتَ عَن الخَرِيرْ؟**

**أمْ قَدْ هَرِمْتَ وخَارَ عزمُك فانثنيتْ عَن المسِيرِ؟**

**بالأَمْسِ كُنْتَ مُرَنّمَاً بَيْنَ الْحَدَائقِ والزهُورِ**[276]

وفي عالم الحيوان والطير يصور لنا إيليا أبو ماضي الفراشة المحتضرة، وقد علته الكآبة لما أصابها، فيخاطب الرياح قائلاً:

**فَيَا رِيَاحَ الْخَرِيفِ الْعَاتِيَات كَفَى * عَصْفَاً فَقَدْ كَثُرَتْ فِي الأَرْضِ قَتْلَاكْ**

**كَيْفَ اعْتِذَارُكِ إنْ قَالَ الإلهُ غَداً * هَلْ الْفَرَاشَةُ كَانَتْ مِنْ ضَحَايَاكْ؟**[277]

(274) فوزي يوسف إبراهيم، شعر المهجر قضاياه ومميزاته، ص89 .

(275) ميخائيل نعيمة ، ديوان همس الجفون ، ص14 .

(276) المرجع السابق ، ص43.

(277) أبو ماضي ، الأعمال الشعرية الكاملة ، تقديم دكتور عبدالكريم الأشتر، ص107.

ولا شك أنّ هذا الإحساس العميق بالطبيعة هو إحساس جديد في طريقته، جديد في روحه، يترك في النفس أثراً عميقاً يتعالى فوق قيود المادة!

واتخذ شعراء المهجر الطبيعة رمزاً للآمال ومعلماً مثالياً، وكتاباً مفتوحاً لتعلّم المبادئ والمُثل؛ وها هو أبو ماضي في قصيدته «الطلاسم» يناجي البحر ويوظف الطبيعة ليجعل منها بؤرة للوجود، فيقول:

**أيُّها البَحْرُ أتدْرِي كمْ مَضتْ ألفٌ عَليكا**

**وهَلِ الشّاطِئُ يَدْرِي أنّه جَاثٍ لَديكا**

**وهَلِ الأنْهارُ تَدْرِي أنَّها مِنْك إليْكا**

**مَا الّذِي الأمْوَاجُ قَالتْ حَينَ ثَارتْ ؟** (278)

والذي يطلع على الإنتاج الأدبي لشعراء الرابطة القلمية يرى أنّ للطبيعة حظاً وافراً مِن هيامهم، وتأملاتهم وهمساتهم، ويرى أنّ حب الطبيعة قد جرى في نفوسهم مجرى الدم في المفاصل، حتى أنّ أغلب دواوينهم الشعرية جاءت موشحة بعناوين الطبيعة: أوراق الخريف، الجداول، الخمائل، تبر وتراب، وغيرها؛ وهكذا الأدب عند شعراء الرابطة القلمية ليس مشاركة وجدانية لبني الإنسانية فحسب؛ ولكنّه مشاركة وجدانية – أيضاً – لمظاهر الطبيعة بأشكالها وألوانها المختلفة.

**براعة الوصف والتصوير:**

ليس الوصف شيئاً جديداً في الأدب العربي، ولا في أدب أي أمة مِن أمم الأرض، فهو مِن العناصر الأساسية التي يَعتمد عليها الأدب، يقول عيسى الناعوري: «في الشعر العربي كثيرا جداً مِن نماذج الأدب الوصفي والتصويري البارع، كأوصاف الرياض، ومجالس الطرب، والأوصاف الوجدانية الغنية بالشعور والعاطفة»(279)، ويقول أبو هلال العسكري: «وإنّما كانت أقسام الشعر خمسة: المديح، والهجاء، والتشبيب، والمراثي، والوصف»(280).

ولمّا ظهرت المدرسة المهجرية ومِنهم شعراء الرابطة القلمية، اعتمدت على حد كبير على جمال التصوير في الشعر والنثر على السواء، ولكن على مدى كبير مِن رحابة الأفق الإنساني، ودقة الإحساس بشتى نواحي الحياة والمجتمع؛ وإذا كان التصوير في الأدب عامة، دعامة كبرى من دعاماته، تسبغ عليه أفانين مِن الرقة واللطف والجمال،

(278) أبو ماضي، ديوان الجداول، ص931 .

(279) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص911 .

(280) أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق على البجاوي، ط1، 2591، دار إحياء الكتب العربية، ص131 .

فهـو في الأدب المهجـري خاصـة إحـدى مزايـاه الجميلـة التـي بـرع فيهـا، وقـدّم منهـا ألواناً عجابـاً في مختلـف صـور الحيـاة، ونـوازع النفـس البشريـة، والفكـر الإنسـاني[281].

ومِـن هـذه الصـور البـوارع، وصـف جـبران «للقبلـة الأولى» فقـد صـور روائـع مِـن الخيـال البعيـد الانطـلاق، حيـث يقـول: «هـي الرشـفة الأولى مِـن كأس ملأتهـا الآلهـة مِـن كوثـر الحـب، هـي الحـد الفاصـل بـين شـك يـراود القلـب فيحزنـه، ويقـين يفعمـه فيغبطـه، هـي مطلـع قصيـدة الحيـاة الروحيـة، والفصـل الأوّل مِـن روايـة الإنسـان المعنـوي»[282]؛ ويشـترك نعيمـة مـع جـبران في هـذه المزايـا، فقلمـه ريشـة رسـام عبقـري قبـل أنْ يكـون مرقمـاً لكتابـة الألفـاظ، ومَـن شـاء أن يعـرف إلى أي مـدى بلغـت براعـة نعيمـة التصويرية، فليقـرأ كتابـه عـن حيـاة جـبران، وليقـف خاصـة عنـد وصفـه لمدينـة نيويـورك»؛ وفي كتابه «البيـادر» نجـد قطعـة مِـن رسـومه النثريـة، عجيبـة الألـوان، سـاحرة الظـلال والخطـوط، يقـول فيهـا: «ففـي الصيـف مـا ينفـك البحـر يغمـر بأنفاسـه وجـه صنـين، فآنـاً سـحاب، وآونـة ضبـاب، وآنـاً نـدى مـا أظـن جنـة عـدن عرفـت ألطـف أو أخـف مِنـه ...»[283]، وفي قطعـة نثريـة أخـرى لـه بعنـوان «سـحر الوجـود» يتجـلى جمـال التصويـر، يقـول فيهـا: «تـأكل الأرض بنيهـا، ويأكلهـا بنوهـا، فـلا هـي بالثـكلى ولا هـم باليتامـى، وتـزدردُ الفصولُ الفصـولَ، وتـدور الشـمس عـلى محورهـا موزعـة نارهـا عـلى الأكـوان، فـلا محورهـا يـبرى ولا نارهـا تخبـو»[284]؛ وفي شـعر أبـي مـاضي، نطالـع سلاسـل متواصلـة الحلقـات مِـن الصـور الرائعـة، يسـتمدها الشـاعر مِـن الحيـاة والطبيعـة، ومِـن خيالـه الخصيـب، وإذا أخذنـا قصيدتـه «الحكايـة الأزليـة» مثـلاً، فنـرى أمامنـا سلسـلة مِـن الصـور العميقـة الإحسـاس، البارعـة الخيـال، فـكل صـورة منهـا تتألـف مِـن مجموعـة مِـن الصور الشـعرية الزاهيـة, ففـي عتـاب الجاريـة لربهـا يقـول:

**أنْ أخْطَأَ الخَزّافُ فِي جَبَلِه الطّينَ  فأيُّ الذّنْبِ لِلآنِيه؟**

وفي قول الفتى الشاكي يقول:

**عِبءٌ عَلَى نَفْسِي هذا الصّبا  الجائشُ المُستوفزُ الطّامي**

**يَزْرَعُ  حَوْلِي  زهْراتِ   المُنَى  وشَوْكُها فِي  قلْبِي الدّامي**

وفي قول الحسناء يقول:

(281) أدب المهجر، مرجع سابق، ص120.

(282) المرجع السابق ، ص 121.

(283) ميخائيل نعيمة ، البيادر ، ص811.

(284) ميخائيل نعيمة ، البيادر ، ص14.

وجْهِــي سَــنيٌّ مُــشْرِقٌ إنّـــما ❋ مَرْعــى عيــونِ الخَلْــقِ وجْهِــي السَّــنِي
حَظْــيّ مِنْــه حَــظٌّ ورد الرُّبــا ❋ مِــنْ عِطْــرِه الفــوّاحِ والسَّوْســـنِ
ومِثْــلِ حَــظِّ الــسَّرْوِ مِــنْ فَيْئِــه ❋ والطَّــيرِ مِــنْ تَغْرِيدِهــا الْمُتْقَــنِ[285]

وإذا قرأنـا لأبـي مـاضي «السـجينة» أو «فلسـفة الحيـاة» أو «الطلاسـم» أو «المسـاء»، أو مـا شـئنا مِـن قصائـده الكثـيرة في دواوينـه الخمسـة، التـي تزخـر بالإبـداع، فإننـا نجـد لديـه كنـوزاً غاليـة مِـن اللوحـات الفنيـة، ونلاحـظ كذلـك في شـعر نسـيب عريضـة[286] نمـاذج عديـدة مِـن الصـور الحيـة وخيـال متفجـر لا ينضـب معينـه، وبنـوع خـاص قصيدتـه «النعامـي» وسـائر شـعره الـذي يصـور حيرتـه فيـه وحنينـه إلى المجهـول، ولرشـيد أيـوب أيضـاً نمـاذج عديـدة[287] في الوصـف التصويـري البـارع؛ منهـا قصيدتـه «المهاجـر».

إنّ الصـور الشـعرية الجماليـة في أدب «الرابطـة القلميـة» كثـيرة جـداً، بحيـث يفقـد القـدرة عـلى المفاضلـة، والاختيـار؛ فشـعرهم حديقـة مـلأى بأجمـل الـورود النـاضرة، والصـور العميقـة البارعـة، لـذا اكتفـى الباحـث بمـا قدمـه مِـن نمـاذج، ولا يشـك في أنّ هنـاك الكثـير ممـا يفوقهـا جمـالاً ورقـة وصدقـاً عـلى جمـال التصويـر.

**البساطة في التعبير والرقة الغنائية:**

في الوقـت الـذي كان فيـه الشـعراء الكبـار في الـشرق – مِـن أمثال شـوقي، وحافـظ، ومطران، والرصـافي، وأمثالهـم، لا يسـتطيعون أنْ يفـوزوا بـرضى القـارئ الشرقـي وإعجابـه إلّا عـن طريـق الجزالـة اللفظيـة، والقوالـب الشـعرية العباسـية، والقصائـد الدالـة عـلى التمكـن مِـن العـروض واللغـة، في ذلـك الوقـت نفسـه كان الكبـار المتـازون مِـن شـعراء المهجـر يتغنـون مِـن بعيـد بشـعر رقيـق الألفـاظ، لا أجـراس فيـه ولا طبـول[288]، فـإنّ شـعراء المهجـر عامـة وشـعراء الرابطـة القلميـة منهـم بوجـه خـاص، قـد رسـخ في عقيدتهـم أنّ الشـعر فـنّ الحيـاة، لا تكلـف فيـه ولا تقليـد؛ وهـذا مـا وضـح جليـاً مِـن خـلال العـرض السـابق للخصائـص العامـة في شـعرهم؛ لذلـك سرعـان مـا وجـد شـعرهم والكثـير مِـن نثرهـم، الطريـق سـهل إلى نفـوس القـرّاء في الـشرق وفي المهاجـر عـلى السـواء.

ولقـد منـح المهجريـون أنفسـهم الحريـة التـي كانـت تعـوز أدبـاء الـشرق وشـعراءه، ولهـذا كان أدبهـم شـيئاً جديـداً، وصـحّ في مذهبهـم أنّ بسـاطة العبـارة والرقـة الغنائيـة هـي عماد الجمـال في الشـعر وفي والفـنّ؛ وفي ذلـك يقـول نظمـي عبـد البديـع: «وجدنـا المهجريـين

(285) ديوان إيليا أبي ماضي ، تحقيق دكتور عفيف حاطوم ، ص 134 .

(286) ينظر: ديوان الأرواح الحائرة لنسيب عريضة ..

(287) ينظر : دواوين رشيد أيوب ، " الأيوبيات6191 " و " أغاني الدرويش8291" و "هي الحياة9391" .

(288) عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص89 .

يعـبرون بألفـاظ هـي عـين الجمـال والرقـة والغنائيـة وكان لهـا بالـغ الأثـر في رشـاقة العبـارة التـي تميـزت بالبسـاطة بحيـث تـؤدي المعنـى في أبسـط صـورة وأيسرهـا»[289].

ومِـن الشـعر الغنائـي الرقيـق لـدى شـعراء الرابطـة القلميـة، نأخـذ – مثـلاً – مقتطفـات مِـن قصيـدة أبـي مـاضي بعنـوان «شـاعر الشـهور» يقـول فيهـا:

**أيّـارُ ، يَـا شَـاعِرَ الشُّـهُورِ * وبَسْـمةَ الحُـبّ فِي الدّهُـورِ**
**وخَالِـقَ الزّهـرِ فِي الرّوَابِـي * وَخَالِـقَ الْعِطـرِ فِي الزُّهُـورِ**
**وبَاعِـثَ المَـاءِ ذَا خَرِيـرٍ * وَمُوْجِـدَ السّـحْرِ فِي الخَرِيـرِ**
**وغَاسِـلَ الأُفْـقِ والـدّرارِي * وَالأرْضِ بالنّـورِ والعَبِـيرِ**
**لَقَـدْ كَسَـوْتَ الثَّـرَى لِباسَـاً * أجْمَـلَ عِنْـدِي مِـنَ الحَرِيـرِ[290]**

والواضـح مِـن هـذه الأبيـات المقتطفـة أنّـه ليـس حتمـاً أنْ يتجـرد الشـعر مِـن الـوزن الواحـد والقافيـة الواحـدة لكـي يكـون غنائيـاً رقيقـاً؛ وإنّمـا الأصـل فيـه جمـال الخيـال، وبسـاطة التعبـير، والـذوق المرهـف الـذي يعـرف كيـف يضـع اللفظـة الشـاعرة المعـبرة، بـدون تكلـف أو جهـد.

وقـد نـادى بعـض النقـاد بـأنْ تكـون «لغـة الشـعر هـي لغـة النـاس، ولا يقصـد هنـا مـا تسـتخدمه العامـة مِـن كلمـات وتراكيـب، بـل القصـد هـو روح اللغـة المتمثلـة في كلماتهـم، ويكمـن إبـداع الشـاعر في اللُّغـة البسـيطة، بـأنْ يجعلهـا ذات طاقـة تعبيريـة مصفـاة ومكثفـة [291].

فنـرى نسـيب عريضـة، شـاعر الحـيرة الأكـبر بـين المهجريـين، يتحـدث عـن حـيرة قلبـه بمـلء البسـاطة المعـبرة، فيقـول في قصيـدة بعنـوان «مركـب الفـؤاد»:

**قَلْبِي بِلا شراعٍ يَطُوفُ فِي الْبِحارِ**
**قَدْ قَاربَ التّداعِيَ مِنْ كَثَرةِ الأسْفارِ**

*** 

**سَفِينَةٌ حَقِيرَةٌ ليْسَ لها ربانُ**
**فِي ظُلَمَات الْحيرةِ مَنارُها الإيمَانُ[292]**

وفي قصيـدة ميخائيـل نعيمـة «أوراق الخريـف»، نلاحـظ تلـك الرقـة الغنائيـة الموشـحة بالبسـاطة، حيـث يقـول:

(289) نظمي عبد البديع ، أدب المهجر بين الأصالة وفكر الغرب، ص109 .

(290) ديوان إيليا أبي ماضي ، تحقيق عفيف نايف حاطوم ، ص 200.

(291) المرجع السابق، ص154.

(292) – ينظر: ديوان الأرواح الحائرة ، نسيب عريضة ، ط نيويورك ، 1946.

**تَنَاثَرِي تَنَاثَرِي ❋ يَا بَهْجَةَ النَّظَر**
**يَا مَرْقَصَ الشَّمْسِ ويَا ❋ أرْجُوحَةَ الْقَمَر**[293]

وفي قصيدته «النهر المتجمد» نلاحظ أيضاً، أنّها تمتلئ رقة غنائية وجمالاً في عباراتها، ونجوى موشحة بالكآبة الجميلة، فيقول فيها:

**يَا نَهْرُ هَلْ نَضِبتْ مِياهُكَ ❋ فانْقَطَعتَ عَنِ الخَرِير**
**أمْ قَدْ هَرِمْتَ وخَارَ عَزْمُكَ ❋ فانْثنيْتَ عَنِ المَسِير**
**بِالأمْس كُنْتَ مُرنّماً ❋ بَيْنَ الحَدائقِ والزُّهور**
**تَتْلو عَلَى الدُّنيا ومَا ❋ فِيهَا أحَادِيثَ الدُّهور**[294]

**الحريّة الدينية:**

سبق أنْ ذكرنا في أسباب الهجرة وبواعثها أنّ الصراعات الطائفية والتعصب الديني في بلاد الشام أدّى إلى إفقار البلاد وانعدام الأمن وفقدان الطمأنينة، ممّا تسبب في نزوحهم وهجرتهم عن أوطانهم إلى الأمريكتين. وعندما وصل هؤلاء الأدباء المهاجرون إلى العالم الجديد وجدوا جوّاً مِن الحرية خصوصاً حرية العقيدة، فانطلقوا يبحثون في الحياة والكون والوجود، والحياة الدينية؛ وأوصلهم البحث إلى الإيمان بوحدة الوجود ووحدة الأديان، فحملوا لواء الثورة على التقاليد الدينية الموروثة، ودعوا إلى التسامح الديني[295].

وقد رحبت أمريكا آفاق الحرية الدينية عند هؤلاء الأدباء وجعلتهم يودعون – فيما ودعوه في أوطانهم – ذلك التعصب الديني الذي كان يبدو على أكثر وجوهه عنفاً في لبنان خاصة، وفي الشرق العربي عامة؛ وقد كان وجه الطائفية البغيض يتمثل الأدباء وغيرهم مِن العرب النازحين في بلاد تقدس الحرية السمحة الجميلة، سواء أكانت حرية في الفكر، أم في المعتقد، أم في الأوطان[296].

إنّ الفرق الشاسع بين حرية الأديان في العالم الجديد، وبين التعصب الديني في الأوطان الأولى لأدباء المهاجرين العرب، قد دلّهم بوضوح على أنّ الطريق الجامد المتعنت لا يفضي إلى تحرر في الفكر، وأنّ بلادهم لم يصبها بالضعف وتفرق الكلمة إلّا ذلك التعصب الطائفي الذي عطلها عن السير في طريق النهوض، ففي أدب هؤلاء

(293) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون ، ص54.

(294) ميخائيل نعيمة ، ديوان همس الجفون ، ص 8 – 11 .

(295) محمد صالح وآخرون، الشعر العربي الحديث آفاقه وسبل تذوقه ونقده ، ط1 ، (د ت) ، دار الأندلس للنشر ، حائل ، السعودية ، ص281 –381 .

(296) محمد عبد الغني حسن ، الشعر العربي في المهجر ، ص84 .

المهاجريـن نجـد الحريـة في التفكـير والتعبـير، والمناقشـة والتفسـير لشـؤون الديـن، بعيـداً عـن روح التعصـب والجمـود؛ وأمّـا التكفـير الـذي يرمـي بـه الشرقيـون بعضهـم بعضـاً، وتتهـم بـه كل طائفـة وكل ملّـة أختهـا، فهـو أبعـد مـا يكـون عـن تفكـير المهجريـين وعـن معتقداتهـم، وهـم أبعـد مـا يكونـون عـن قبولـه أو التسـليم بـه)، فالشـاعر رشـيد أـيوب في قصيدتـه «دمـوع بعينـي لـم تجمـد»، يقـول:

**أصـلّي لِمُـوسَى وأَعْبـدُ عِيـسَى * وأَتْلُـو السَّـلامَ عَـلَى أحْمَـدَ**
**طَلبتُ مُعينـاً عَـلى الحَادِثـات * فمـرّ الـزّمانُ ولـم أهتَـدِ**
**أقلـبُ طَـرفي برحـبِ الفَضـاء * وَأمـضي حَزِينـاً إلى مَرْقَـدي**[297]

نفهـم مِـن البيـت أنّ رشـيد أيـوب قـد خلـص مِـن التعصـب الدينـي جملـة، واتسـعت نظرتـه الدينيـة، وأنّ النـاس جميعـاً متسـاوون ولا وجـه لإثـارة الخـلاف الدينـي والتعصـب المذهبـي بينهـم.

ومِـن نمـاذج الحريـة الدينيـة لـدي المهجريـين، قـول ميخائيـل نعيمـة في (بـوذا، ولاوتسـو، والمسـيح): «إنّهـم ثلاثـة وجـوه تقلصـت أمامهـا خيـالات كل وجـوه البـشر، وهـم ثـلاث منـارات عـلى شـواطئ الوجـود، تسـتمد نورهـا مِـن مصدر واحـد، وتنـير سـبيلاً واحـداً»[298].

وكثـير مِـن أدبـاء المهجـر كانـوا يـرون أنّ الإيمـان الحـق والديـن الصحيـح إنّمـا هـو في الخلـق الطيـب والأخـوة الإنسـانية، والتسـامح الجميـل، وليـس في الطقـوس والوعـظ مِـن أنـاس يحملـون الـشرور، ويُـراءون في عباداتهـم، كمـا يقـول نـدرة حـداد:

**ووَدَدْتُ الصّـلَاةَ للـهِ فِي الـروضِ * بَعِيْـداً عَـن كُلّ هَـذِي الطُقـوس**
**حَيْـثُ لا أسْـمَعُ المُرائـي يُصَـلي * عَالِيـاً يَسْـتَغِيثُ بالقدِيـس**
**حَيـثُ لا وَاعِـظَ يصِيـح وفِيـه * مِـن شُرورِمَـا لَيْـسَ فِي إبليـس**[299]

ولعـلّ أوّل مَـنْ جهـر مِـن شـعراء الرابطـة القلميـة برأيـه الصريـح في الديـن ورجالـه، جـبران خليـل جـبران، ويظهـر ذلـك في حملاتـه العنيفـة التـي لا ترحـم عـلى الكثيريـن مِـن رجـال الديـن التـي امتـلأت بهـا مؤلفاتـه الكثـيرة، حتـى لقـد رُمـي بالإلحـاد، وأحـرق أحـد كتبـه في بـيروت ووضعـت كتبـه في القائمـة السـوداء يُحـرّم عـلى الكاثوليـك قراءتهـا، لمخالفتهـا لتعاليمهـم؛ ففـي قصيدتـه «المواكـب» يقـول جـبران:

**والدّيـنُ فِي النّـاسِ حَقْـلٌ ليْـسَ يزْرعـهُ * غـيرُ الأُولى لهـمُ فِي زَرْعِـه وَطَـرُ**

(297) رشيد أيوب ، ديوان الأيوبيات ، نيويورك ، 1916 ، ص37 .

(298) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص304.

(299) المرجع السابق ، ص404.

فالقــومُ لــوْلا عِقَــابُ الْبَعْثِ مَــا عَبَدُوا ❋ ربّــاً ولــوْلا الثّــوَابُ الْمُرْتَجَــى كَفَــرُوا
كأنّمــا الدّيــنُ ضَرْبٌ مِــنْ مَتَاجِرهــم ❋ إنْ واظَبُوا رَبِحُوا أوْ أهْمَلُوا خَسِرُوا[300]

أمّــا ميخائيــل نعيمــة، فإنّــه ينحــو في مذهبــه منحــى جــبران عينــه، حتــى ليكــرر أقوالــه في بعــض الأحيــان؛ ولكنّــه لــم يكــن يحمــل عــلى رجــال الديــن حمــلات جــبران العنيفــة، وإذا اطلعنــا عــلى كتابــه «المراحــل» نجــد فيــه خلاصــة لفلســفته الدينيــة المتحــررة.

وإذا بحثنــا عــن الحريــة الدينيــة لــدى أبــي مــاضي، وجدناهــا مثلهمــا أيضــاً مِــن حيــث الحريــة الفكريــة التــي لا تؤمــن بمذهــب يقيــم الحــدود والفــوارق بــين الإنســان والإنســان، بــل يدعــو إلى التســامح والتســامي في العقيــدة، وإلى التشــبه بالطبيعــة التــي لا مذاهــب فيهــا ولا طوائــف؛ فيقــول في قصيدتــه « كتابــي»:

فَدِينِــي كَدِيْــنِ الــرّوْضِ يَعْبــقُ بالشَّــذا ❋ ولــو لمْ يَكُــنْ فيهِ سِــوى اللّصّ مُنْسَــلا
فَلَيْسَــتْ تخُــومُ المَالِكِيّــةْ تَخُومَــهُ ❋ وإنّ لَــهُ إنْ يَعْلمُــوا غيرَهــم أهْــلا[301]

ولعــل تأثــر شــعراء الرابطــة القلميــة بالكتــاب المقــدس هــو الــذي جعلهــم يهتمــون بقضايــا إنســانية عامــة دون الاهتمــام بالجزئيــات اليوميــة، كعلاقــة الإنســان بأخيه الإنســان، ولكــن تأثرهم بالكتــاب المقــدس لــم يدفعهــم إلى التعصــب، ولا ســيما بعــد إطلاعهــم عــلى الديانــات الأخــرى، التي زادتهــم إيمانــاً بحريــة التديــن، ومــا دامــت تصــب في مجــرى واحــد في نهايــة المطــاف [302].

كمــا أنّ التعصــب الدينــي يتنــافى مــع نزعتهــم الإنســانية، وهكــذا دعــا شــعراء الرابطــة إلى التســامح الدينــي، ووحــدة الأديــان؛ لذلــك قــال عميدهــم جــبران: «أنــت أخــي، وأنــا أحبــك، أحبــك ســاجداً في مســجدك، وراكعــاً في هيكلــك، ومصليــاً في كنيســتك»[303]. فــأيُّ تســامح أشــد مِــن هــذا؟ وأيُّ إنســانية أعمــق مِــن تلــك؟

ولا نزعــم أنّنــا في هــذا المبحــث قــد تناولنــا كل العنــاصر في شــعر شــعراء الرابطــة، فهنــاك الكثــير منهــا؛ إلّا أنّنــا حاولنــا تنــاول أبرزهــا وأهمهــا وأرجأنــا موضــوع النزعــة الإنســانية لتناولــه في موضعــه مِــن هــذا الكتــاب الــذي خصــص لذلــك.

(300) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة ، جمع وتقديم أنطوان القوّال ، ص22 .

(301) ديوان إيليا أبو ماضي ، تحقيق الدكتور عفيف نايف حاطوم ، ص348 .

(302) فصل سالم العيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص53.

(303) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة ، ص347.

# الفصل الثالث

# مفهوم النزعة الإنسانية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

## النزعة الإنسانية ، تعريفها ومفهومها

المبحث الثاني

## النزعة الإنسانية في الأدب العربي

المبحث الثالث

## مفهوم النزعة الإنسانية لدى المهجريين

## المبحث الأول

# النزعة الإنسانية ، تعريفها ومفهومها

عندما نقول «النزعة الإنسانية» ، فإنّنا أمام لفظتين:

**أولهما : «النَّزْعة»**

لم يرد في معجمي «لسان العرب» و «القاموس المحيط « لفظة «النّزْعة» (بتسكين الزّاي)، وقد ورد في لسان العرب: نَزَعَ الشيء يَنزعُه نَزْعا فهو مَنْزوع ونَزِيع، وفي باب نَزَعَ ورد أيضاً: نازعتني نفسي إلى هواها نزاعاً، غالبتني ونزعتها أنا: غلبتها، ويقال للإنسان إذا هوى شيئاً ونازعته نفسه إليه: هو يَنْزع نِزَاعاً، ومِنْه: نَزَع إلى أهله، والبعير إلى وطنه يَنْزع نِزاعاً ونُزُوعاً: حنّ واشتاق، وهو نَزُوع، والجمع: نَزَعٌ. والنُّزاع: الغرباء، وفي الحديث «طوبى للغرباء»[304]، قيل مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: النُّزّاع مِن القبائل، وهو الذي نّزَعَ عن أهله وعشيرته، أي بعُد وغاب، وقيل: لأنه نَزع إلى وطنه أي ينجذب ويميل، والمراد الأوّل، أي طوبى للمهاجرين الذين هجروا أوطانهم في الله تعالى، ونَزَعُوا إلى عرق كريم[305].

وجاء في تاج العروس للزبيدي: ومِن المجاز: نَزَع الغريب إلى أهله نَزَاعة كسحابة، ونِزاعاً بالكسر، ونُزوعاً بالضم: أي حنّ واشتاق، ومِنه حديث بدء الوحي: «قَبْل أنْ يَنْزَع إلى أهْلِه»[306]، وقالوا: نُزُوع والجمع نزعٌ، يقال نزَع الصبي نزُوعاً: انتهى عنها وكف، ومِن المجاز: نَزع أباه، ونَزع إليه إذا أشبهه، وفي الأساس يقال للمرء إذا أشبه أعمامه أو أخواله نَزَعهم ونَزعُوه ونَزَع إليهم، ونَزَعَ إلى أبيه في الشبه: أي ذهب[307].

وعرّفها معن زيادة في موسوعته الفلسفية العربية، بأنّه يقال: نَزَعَ إلى الشيء إذا هوى الإنسان شيئاً، ونَازَعتْه نفسه إليه، ورغب فيه، وتجمع: نَزَعَات بمعنى ميول ورغبات[308].

وممّا سبق نلاحظ أنّ المعاني اللُّغوية التي تشير إلى مصطلح « النَّزَعَة « – وبالرغم مِن كثرتها- تجتمع في معنى مطلق وهو الميل إلى الشيء والانجذاب نحوه.

(304) ابن منظور ، لسان العرب ، ط4، 1994 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ص150 .

(305) ابن رجب الحنبلي ، غربة الإسلام ، تحقيق أحمد السرباطي ، ط1، 4591 ، دار الكتاب العربي ، ص46 .

(306) ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح ط1،8002، وزارة الأوقاف ، قطر، ص181.

(307) محمد بن مرتضى الزبيدي ، تاج العروس في جواهر القاموس، ج5، (د.ط)، دار مكتبة الحياة ، (د.ت) ، ص035.

(308) فصل سالم العيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص76.

وتؤخذ كلمة «نَزْعة» في المصطلحات الفلسفية العربية للدلالة على المعنى الفكري، وهي مقابلة للاحقة الإنجليزية Jsm[309]؛ ونجد أنّ معظم المعاجم والموسوعات الأدبية، تطرقت إلى لفظة «النَزْعَة» موصوفة بكلمات أخرى وتحمل دلالات معينة، ومِن ذلك: «النَزْعة الإنسانية» و «النَزْعة الجمالية « و «النَزْعة البدائية» وغيرها مِن النَزَعات الأخرى[310].

**ثانيها: الإنسانية**

عرّف ابن منظور في معجمه» لسان العرب» : «الإنسان» على أنّه معروف، أي أننا لسنا بحاجة لدليل عليه بسبب معرفته للجميع. و»الإنسان» أصله «إنْيسيان» لأنّ العرب قاطبة قالوا في تصغيره «أنيسياناً» فدلت الياء الأخيرة على الياء في تكبيره، إلّا أنّهم حذفوها لما كثر القول عنها في كلامهم[311].

وجاء أيضاً في «لسان العرب» لابن منظور: والأَنَسُ: خلاف الوحشية، وهو مصدر قولك أنَسِتُ به، أنساً وأنْسَة[312]، وفي ثنايا التعريف يذكر ابن منظور بأنّ لفظة «إنسان» تقال للمرأة، فلا يصح أنْ يقال لها: إنسانة. ويذكر أحمد النعيمي في كتابه «الآفاق الإنسانية في الأدب والفكر»: «أنّ لفظة «إنسانة « مِن المفردات المولدة»[313].

ويذهب ابن منظور إلى أنّ العرب قاطبة تقول: الإنسان، إلّا طيئاً، فهم يجعلون بدل النون ياء، معتمداً في ذلك على روايتين متفقتين؛ الأولى للحيّاني والذي يذكر أنّ قبيلة «طيئ» تقول: إيساناً بدل إنساناً، والثانية للفراء ويقول فيها: «العرب جميعاً يقولون الإنسان إلّا طيئاً، فإنّهم يجعلون مكان النون ياء، أي: إيسان وجمعها: أياسين[314]؛ ومِن ذلك قول جرير الطائي:

**فَيا لَيْتَنِي مِنْ بَعْد مَا طَافَ أهْلُها * هَلكْتُ ولمْ أسْمَعْ بِها صَوْتَ إيْسان**[315]

ونلاحظ أنّ هذه اللُّغة ليس لها نصيب مِن التداول في لغتنا العربية اليوم في معظم البلاد العربية أو غيرها مِن البلدان، وأنّ اللُّغة المتداولة للكلمة اليوم هي «إنسان»، وأنّها وردت في القرآن الكريم «إنسان» ولم ترد»إنسيان» قال تعالى في سورة الإنسان: **{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً }**[316].

(309) المرجع السابق ، ص 67 .

(310) على بن محمد الجرجاني ، التعريفات، ط3، 2009 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ص84 .

(311) ابن منظور ، لسان العرب ، ج6 ، ط4، 1994 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ص10.

(312) المرجع السابق ، ص233 .

(313) أحمد حمد النعيمي ، الآفاق الإنسانية في الأدب والفكر ، (د.ط) ، 2008 ،دار اليازوري ،عمان ، الأردن، ص 17.

(314) ابن منظور، لسان العرب ، ج6، دار صادر ، ط4 ، 1994 ، بيروت ، لبنان ، ص10.

(315) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تحقيق، علي شيري، دار الفكر للنشر، ج، 1994، سوريا ، ص194.

(316) القرآن الكريم، سورة الإنسان، الآية 1 .

وجـاء في تـاج العـروس للزبيـدي قـولاً لمحمـد بـن عرفـة الواسـطي معلـلاً سـبب تسـمية الإنسـان قائـلاً: «سـميّ الأنسـيون، لأنهـم يؤنسـون، أي: يـرون، وسـميّ الجـنّ جنّـاً، لأنهـم مجنونـون عـن رؤيـة النـاس، متـوارون»[317].

وجـاء في «المخصص»لابـن سـيده:» الإنسـان: لفـظ يقـع الواحـد والجمـع والمذكـر والمؤنـث»[318]، وفي المعجـم الوسـيط «الإنسـان» هـو الكائـن الحـي المفكـر، والجمـع: إنـاسّي (أصلـه أناسـين )، وإنسـان العـين: ناظرهـا، وإنسـان السـيف والسـهم: حدّهمـا[319].

وفي أقـرب المـوارد الإنسـان: البـشر أو آدم وذريتـه[320]، وروي عـن ابـن عبـاس رضي اللـه عنهمـا أنّـه قـال: «إنّمـا سـمي الإنسـان إنسـاناً، لأنّـه عُهـد إليـه فنسـي»[321].

أمّـا لفظـة «الإنسـانية « لـم يعثـر الباحـث في معظـم المعاجـم اللُّغويـة القديمـة عـلى تعريـف لُغـوى محـدد لهـا – وإنْ وجـد فهـو مختـصر – ونجـد أنّ قامـوس «محيـط المحيـط» لبطـرس البسـتاني أوّل معجـم ذكـر فيـه لفظـة «الإنسـانية»، وأوردهـا بعـده معجـم «أقـرب المـوارد» لسـعيد الخـوري الشرتونـي، ثـم أوردهـا «المنجـد» لـلأب لويـس المعلـوف، واتفقـت كل تلـك المعاجـم عـلى أنّ الإنسـانيّة: مـا اختـص بـه الإنسـان، وكثـر اسـتعمالها للمحامـد كالجـود وكـرم الأخـلاق[322].

وجـاء في المعجـم الوسـيط الـذي أصـدره مجمـع اللغـة العربيـة، الإنسـانيّة: خـلاف البهيمية وهـي جملـة الصفـات التـي تميـز الإنسـان؛ أو جملـة أفـراد النـوع البـشري التـي تصـدق عليهـا هـذه الصفـات[323].

وإذا تجاوزنـا المعنـى اللُّغـوي إلى المعنـى الاصطلاحـي للفظـة «الإنسـانية»، وجدنـا العديـد مِـن التعريفـات التـي لا حـصر لهـا، تقـول الدكتـورة عزيـزة مريـدن: «ليـس مِـن السـهل التوصـل أو الركـون إلى تعريـف واحـد للإنسـانية، أو مفهـوم دقيـق ثابـت يجمـع صفاتهـا كلهـا، ويحيـط بمضمونهـا الواسـع، وجوانبهـا المتعـددة، والبحـث في الإنسـانية محفـوف بالصعوبـات بقـدر مـا هـو شـيق وظريـف، لأنّ هـذه الكلمـة مشـتقة في الأصـل مِن الإنسـان، فحينمـا نتكلـم عـن الإنسـانية، فإنّمـا نتكلـم عـن كل مـا يمـت بصلـة بالإنسـان[324].

(317) تاج العروس ، مرجع سابق ، ص99 .

(318) ابن سيده ، المخصص ، ج1 ، (د.ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، ص15.

(319) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ج1 ، (د.ط) ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، 1960 ،ص30 .

(320) سعيد الخوري الشرتوني، أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، ج1، مكتبة لبنان، بيروت ، (د .ت)، ص10.

(321) لسان العرب ، ص11.

(322) ينظـر : المنجـد في اللغـة والأدب والعلـوم (د.ط) ، لـلأب لويـس معلـوف ، مـادة (أنـس) ، وينظـر : أقـرب المـوارد في فصيـح العربيـة والشوارد (1992) لسعيد الخوري الشرتوني ، وينظر: محيط المحيط(1977) ، لبطرس البستاني

(323) المعجم الوسيط ، ج1، مجمع اللغة العربية ، ط2، دار الأمواج ، بيروت ، 1987 ، باب " أنس " .

(324) عزيزة مريدن ، القومية والإنسانية ، (د.ط)، 1966 ، الدار القومية ، القاهرة ، مصر ، ص476 .

والمدقـق في كلمـة «الإنسـانية» يـدرك أنّهـا مصـدر صناعـي اصطلـح عليـه حديثـاً للدلالـة علـى مـا يقابلـه عنـد الغربيـين مِـن لفـظ (Humanity)؛ ومعاجمنـا اللُّغويـة القديمـة، لـم تذكـر كلمـة الإنسـانية، عـلى الرغـم مِـن اشـتمالها عـلى كلمـة «إنسـان» بنحـو ثمـان ألـف لفـظ «(325).

يقـول عيسى الناعـوري في تعريـف الإنسـانية: «نـشر المبـادئ السـامية والمُثـل العليـا بـين النـاس، بالدعـوة إلى الإخـاء الإنسـاني العـام ومحاربـة النظـم التـي تباعـد بـين الإنسـان وأخيـه الإنسـان، والعمـل عـلى خلـق مجتمـع إنسـاني أمثـل يسـوده العـدل والرحمـة والمحبـة الصادقـة(326).

وتقـول ثريـا عبـد الفتـاح: «الإنسـانية عاطفـة سـامية تربطنـا بـكل أفـراد النوع الإنسـاني، وتغـرس في نفوسـنا الحنـان، ولا فـرق فيهـا بالجنسـيات والأديـان والألـوان، لأنهـا عاطفـة إنسـانية تجمـع تحـت جناحهـا كل المذاهـب والأديـان والأوطـان والممالـك، ونـشر سـحائب الرضـوان(327).

وقـد عـرض لهـا الأدبـاء والنقـاد، فهـا هـو شـوقي ضيـف يقـول: «مـا أشـبه الإنسـانية بالتصـوف، فكلاهمـا حلـم وخيـال، يحلـم الصـوفي بربـه، ويحلـم الإنسـاني بعالـم لا يمكـن أنْ يـراه، ومـع ذلـك فهـو يكثـر مِـن التفكـير فيـه والتعلـق بـه متـى يظنـه حقيقـة مِـن الممكـن أنْ يقـع تحـت بـصره، فمـا يـزال يهيـب النـاس والأمـم أنْ يقفـوا ليتأملـوا معـه، فيبـصروا العالـم الحـق، ويفـروا إليـه مِـن عالمهـم عالـم الآلـة والـشر(328).

وقـد ربطـت الدكتـورة عزيـزة مريـدن الإنسـانية بالقوميـة عندمـا عرفـت الإنسـانية، فتقـول: «علنـا نفتـح أبـواب الإنسـانية بمفتـاح القوميـة ومَـنْ فقـد قوميتـه فقـد إنسـانيته، إلّا انطلاقـاً مِـن القوميـة(329).

أمّـا الإنسـانية في المجـال الأدبـي عمومـاً فيعرفهـا الدكتـور مفيـد قميحـة بقولـه: «هـي اتجـاه عـام شـامل، لا يختـص بهـا مذهـب أدبـي معـين دون سـواه ، فهـي كالأدب وليـدة العواطـف الإنسـانية والعقـل الإنسـاني، وأقـرب المذاهـب إليهـا أكثرهـا قربـاً مِـن الإنسـان وأشـدها اعتناقـاً لـه واهتمامـاً بقضايـاه»(330).

(325) فوزي يوسف إبراهيم ، النزعة الإنسانية في الشعر العربي الحديث ، ص183 .

(326) عيسى الناعوري ، إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي ، ط بيروت ، 1958 ، ص36 .

(327) ثريا عبد الفتاح ، القيم الروحية في الشعر العربي ، ط1، 1950 ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ص1 .

(328) شوقي ضيف ، دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ط2 ، 1959 ، دار المعارف ، مصر ، ص59 .

(329) عزيزة مريدن ، القومية والإنسانية ، ط1، 1966 ، الدار القومية ، القاهرة ، مصر ، ص476 .

(330) مفيد قميحة ، الاتجاه الإنساني في الشعر المعاصر ، ط1،1981 ، دار الآفاق ، بيروت ، لبنان، ص51 .

إنّ أكثـر الأدبـاء قـد جسـدوا الإنسـانية وصوروهـا في شـعرهم، ووسـعوا آفاقهـا؛ وقـد ظلـت عـلى يـد علمـاء اللُّغـة والمعاجـم، ولكـن اللـه عوضهـا خـيراً عـلى يـد الشـعراء الذيـن وسـعوا آفاقهـا، فأحالوهـا إلى معانـي رفيعـة، وأهـداف سـامية، ولـم يتبادلوهـا بالتعريـف بقـدر مـا تناولـوا آثارهـا في الحيـاة ومظاهرهـا في المجتمـع، فـإنّ الشـعراء عـادة لا يهتمـون بالتعريفـات بقـدر مـا يهتمـون بالأهـداف والغايـات [331].

وقـد ذكـر العقـاد أنّ: «الإنسـانية مِـن أسـلافها إلى أعقابهـا أسرة واحـدة، نسـبها واحـد وإلاهها واحـد، خيرهـا مَـنْ عمـل حسـناً، واتقـى سـيئاً، وصـدق النيـة فيمـا أحسـنه واتقـاه[7].

ومِـن تلـك المعانـي والتعريفـات للفظـة «الإنسـانية»، نلاحـظ أنّ لفظـة الإنسـانية بمفهومهـا العـام رسـالة عالميـة ترتبـط بالأخـلاق ولا تحدهـا أي حـدود، ولا ترتبـط بجنـس أو نـوع أو ديـن أو لـون، فهـي دعـوة للمحبـة والسـلام تنمّـي داخـل الإنسـان الخـيّر، وتتعلّـق بـه أينمـا سـار.

وإذا حاولنـا أنْ نقـف عـلى المفهـوم العـام لـمصطلح «النزعـة الإنسـانية» لوجدنـا العديـد مـن التعريفـات والمفاهيـم، كل مِنهـا يرتبـط بمذهـب وعـصر وتوجـه معـين؛ ولكنّهـا تلتقـي جميعهـا في أنّهـا تحقيـق الإنسـان لقـواه وقدراتـه الخلاقـة واعتبـار السـعادة الإنسـانية غايـة في ذاتهـا لا تتطلـب أي تبريـرات خـارج الإنسـان، وأنّ عـلى الإنسـان أنْ يوظـف قـواه لتحقيـق تلـك الغايـة[332]:

أولاً- النزعـة الإنسـانية ظهـرت في الثقافـة الغربيـة في أوائـل القـرن التاسـع عـشر، حيـث اسـتعملها أحـد علمـاء التربيـة الألمـان وكان يقصـد مِـن خلالهـا في البدايـة الدلالـة عـلى نظـام تعليمـي وتربـوي، ومِـن ثـمّ تحـول معنـى النزعـة الإنسـانية إلى الدلالـة عـلى مشروع ثقـافي تاريخـي بهـدف الاسـتفادة مِـن ثقافـات بشريـة غنيـة، ومِـن تجـارب بشريـة واقعيـة وغيرهـا»[333]. وإذا طالعنـا مفهـوم «النزعـة الإنسـانية» في الفكـر الغربـي، نجـد أنّ بعـض الدارسـين يـرون أنّ النزعـة الإنسـانية عنـد الغـرب تتجسـد فيمـا يـراه «رالـف بـيري» في كتابـه «إنسـانية الإنسـان»، إذ يقـول: «مذهـب النزعـة الإنسـانية رسـالة أوحركـة ثقافيـة، أو برنامـج تعليمـي نشـأ في أوروبـا في القـرن الثانـي عـشر، وجعـل الإنسـان هدفـاً ومثـالاً، فالإنسـان هـدف يسـتحق الإعجـاب»[(334)]. ومِـن ناحيـة أخـرى هنـاك مَـن يـرى أنّ النزعـة

---

(331) محمد عبد الغني ، جوانب مضيئة من الشعر العربي ، ط1، 1972 ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، ص41 . -7 عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن، ط1، 2012، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ص 19.

(332) محمد عواد ، النزعة الإنسانية في الشعر الأردني العاصر، رسالة دكتوراه ، جامعة مؤتة، 2015، ص39

(333) موت الإنسان في الخطاب الفلسفي ، عبد الرازق الداوي ، (د.ط)، 1992، دار الطليعة للنشر، بيروت، ص189 .

(334) رالف بارتون بيري ، إنسانية الإنسان ، ترجمة سلمى الجيوسي ، ط1، 1989 ، مكتبة المعارف، بيروت ، ص12 .

الإنسـانية تمثـل رؤيـة فلسـفية مسـتقلة بذاتهـا، مثـل «كورليـس لامانـت» في كتابـه «النزعة الإنسـانية كفلسـفة»، ويذهـب لامانـت إلى أنّ ثمـة تاريخـاً طويـلاً وبـارزاً للنزعـة الإنسـانية، تمتـد جـذوره زمنيـاً في المـاضي، ومِـن حيـث العمـق فإنّهـا تتخلـل حيـاة الحضـارات التـي كانـت سـامقة في زمنهـا، وكان لهـا ممثلـون بـارزون في كل الأمـم العظيمـة عـلى مسـتوى العالـم[335].

وقـد بـدأ الفلاسـفة منـذ عهـد قديـم بالتفكـير بالإنسـان وإعطائـه القيمـة التـي يسـتحقها، فـرأى «أرسـطو طاليـس» أنّ الإنسـانية أفـق, والإنسـان متحـرك إلى أفقـه بالطبـع؛ وتـولى الفلاسـفة والمفكـرون فيمـا بعـد هـذا النهـج في التفكـير في مكانـة الإنسـان في العالـم، فـيرى المفكـر الفرنـسي «دي رجمـون» أنّ المذهـب الإنسـاني يـدل عـلى نظـرة عامـة للحيـاة: السياسـية، والاقتصاديـة، والخلقيـة؛ تـدور عـلى الاعتقـاد بـأنّ الإنسـان يتحقـق بالجهـد الإنسـاني وحـده»[336].

ويـرى عالـم الاجتمـاع الفيلسـوف الفرنـسي «أوغسـت كونـت»، في نظرتـه للنزعـة الإنسـانية: «هـي كائـن واحـد واحـد يتصـف بالخلـود، ولا يمكـن ذلـك إلّا إذا حصـل اندمـاج عقـليّ وخلقـيّ، وبالتـالي فـإنّ عـلى هـؤلاء الأفـراد، أنْ يكونـوا قـد اسـتطاعوا إخضـاع الوظائـف العضويـة للوظائـف العليـا، فيتفـوق العقـل عـلى الغريـزة، والغيريـة عـلى الأنانيـة».

ثانيـا- إذا طالعنـا مفهـوم «النزعـة الإنسـانية» في الـتراث العربـي القديـم والحديـث، لوجدنـا الإنسـانية هـي المعنـى الـكلي المجـرد، الـدال عـلى مـا تقـوم بـه ماهيـة الإنسـان، فابـن سـينا – مثـلاً – يقـول: «مثـل الإنسـانية فإنّهـا في نفسـها حقيقـة مـا، وماهيـة، ليـس إنّهـا موجـودة في الأعيـان، أو موجـودة في الأذهـان مقومـاً لهـا، بـل مضافـاً إليهـا، ولـو كان مقومـاً لهـا، لاسـتحال أنْ يتمثـل معناهـا في النفـس، خاليـاً عمّـا هـو جزؤهـا المقـوم»[337]. وأبـو حيـان التوحيـدي في إحـدى مقابسـاته يقـول: «الإنسـانية أفـق، والإنسـان متحـرك إلى أفقـه بالطبـع، ودائـر عـلى مركـزه، إلّا أنّـه مرمـوق بطبيعتـه، ملحـوظ بأخـلاق بهيميـة، ومَـن رفـع عصـاه عـن نفسـه، وألقـى حبلـه، وسـيّب هـواه في مرعـاه، ولـم يضبـط نفسـه عمـا تدعـو إليـه بطبعـه، وكان لـين العريكـة لاتبـاع الشـهوات الرديئـة، فقـد خـرج عـن أفقـه، وصـار إلى أرذل مِـن البهيميـة لسـوء إيثـاره»[338].

أمّـا المفكـر الجزائـري محمـد أركـون، فيتحـدث عـن النزعـة الإنسـانية (الأنسّـنة) عـلى اعتبـار أنّهـا موقـف نضـالي ضـد نوعـين مِـن العنـف يمارسـان ضـد الإنسـان عـلى مـدى

(335) .91PP9491YRARBIL LACIHPOSOLIHP , TNAMAL SSILROC : YHPOSOLIHP A SA MSINAMUH

(336) محمد إبراهيم حوّر، النزعة الإنسانية في الشعر العربي القديم، ط2، 1985، مكتبة المكتبة، العين، ص19.

(337) محمد إبراهيم حوّر، النزعة الإنسانية في الشعر العربي القديم ، ص19.

(338) صالح البديوي، النزعة الإنسانية في شعر صدقي الزهاوي، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك، الأردن، 2000، ص 48.

تاريخـه: عنـف مقـدس يخلـع المشروعيـة عــلى ذاتــه مِـن خـلال التعاليـم الإلهيـة للأديـان، وعنـف مـادي أو دنيـوي محـض نزعـت عنـه أغـلال التقديـس، وبخاصـة في المجتمعـات التـي شـاعت فيهـا نزعـة التشـكيك بـكل شـئ[339]؛ ثُـمَّ يصـل أركـون إلى النقطـة التـي تعنينـا هنـا في المحـل الأوّل حـين يقـول: «إنّ الحـس الإنسـاني موجـود في جميـع المجتمعـات البشريـة وإنْ يكـن بدرجـات متفاوتـه[340]».

ويـرى أبـرز أسـاتذة الفلسـفة العـرب في القـرن العشريـن «عبـد الرحمـن بـدوي»، أنّ النزعة الإنسـانية هـي: «العَـود المحـوري إلى الوجـود الروحـي الأصيـل وأنّـه لا بـد لـكل حضـارة ظفـرت بتمـام دورتهـا أنْ تقـوّم روحهـا بهـذا الفعـل الشـعوري الحاسـم»[341].

إنّ النزعـة الإنسـانية بـدأت بإعـلان نـزول آدم عليـه السـلام إلى الأرض، وبالتـالي فإنهـا ترمـز إلى بدايـة الحريـة البشريـة، وقـد توالـت الرسـل وتتابـع الأنبيـاء وأنزلـت الكتـب وكلهـا تـدور حـول تحقيـق إنسـانية الإنسـان ومـا يحقـق لـه السـعادة في الدنيـا والآخـرة؛ وإنّ اسـتقراء أحـكام الديانـات السـماوية كلهـا وعـلى رأسـها الإسـلام تؤكـد أنّ الهـدف منهـا هـو الإنسـان، ومِـن أجـل الإنسـان، وتتجـلى النزعـة الإنسـانية المطلقـة للتشريـع الإسـلامي حينمـا جعـل الإنسـان هـو الغايـة المنشـودة لـكل مـا يجـري عـلى الأرض، والدليـل عـلى مكانـة الإنسـان في القـرآن هـو تكريمـه بالعلـم والعقـل[342]، يقـول تعـالى: {**وَلَقَـدْ كَرَّمْنَـا بَنِـي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُـمْ فِي الْـبَرِّ وَالْبَحْـرِ وَرَزَقْنَاهُـم مِّـنَ الطَّيِّبَـاتِ وَفَضَّلْنَاهُـمْ عَـلَى كَثِـيرٍ مِّمَّـنْ خَلَقْنَـا تَفْضِيـلاً**}[343]، وقـد تبـوأ الإنسـان مكانـة سـنيّة في القـرآن الكريـم, فقـد وردت كلمـة "الإنسـان" في كتـاب اللـه العظيـم – القـرآن الكريـم- خمسـاً وسـتين مـرة, وكلمـة "الإنـس " ثمانـي عـشرة مـرة ؛ وبـيّن اللـه تعـالى مكانـة الإنسـان وأنّـه مكـرم عنـد اللـه؛ مسـلمه وكافـره.

ومِـن خـلال التّمعـن في تلـك المفاهيـم لمصطلـح «النزعـة الإنسـانية» نلاحـظ أنّ النزعـة الإنسـانية هـي ليسـت فلسـفة مغلقـة، بـل هـي رؤيـة شـخصية متنوعـة الجوانـب في عـدة مجـالات منهـا: الاجتماعـي، والأدبـي، والسـياسي، وأنّهـا اتجـاه عـام تشـترك فيـه العديـد مِـن المذاهـب وتهتـم بجميـع جوانـب الطبيعـة الإنسـاني، وأنّهـا نظـرة تقدميـة في الحيـاة تؤكـد قـدرة الإنسـان ومسـؤوليته في قيـادة حيـاة أخلاقيـة تحقـق المصالـح الشـخصية والعامـة، وهـي نظـرة واسـعة إلى الحيـاة، وإلى الوجـود، وعـلى الأخـص إلى المجتمـع البشري،

(339) محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، ترجمة: هاشم صالح ، ص 41

(340) المرجع السابق، ص61 .

(341) عبد الرحمن بدوي ، الإنسانية الوجودية في الفكر العربي ، ط1 ، 7491 ، دار النهضة المصرية ، ص12 .

(342) هشام جعيط ، أزمة الثقافة الإسلامية ، ط3 ، 1102 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ص05 .

(343) القرآن الكريم ، سورة الإسراء ، آية 07 .

وهـــي الحلـــم الأكـــبر الـــذي يـــراود أخيلـــة المفكريـــن والشـــعراء والفلاســـفة، وكل ذي قلـــب كبـــير، وضمـــير حـــي، أو هـــي بكلمـــة أخـــرى: المحبـــة لـــكل مـــا في الوجـــود، بغـــير تفضيـــل أو تفريـــق[344].

(344) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص88 .

## المبحث الثاني

# النزعة الإنسانية في الأدب العربي

مَـن ينظـر في الأدب العربـي باحثـاً عـن النزعـة الإنسـانية فيـه قديمـاً وحديثـاً، يجـد أن هنـاك عـدداً كبـيراً مـن الأدبـاء والشـعراء الذيـن صـدح صوتهـم بالقيـم السـامية، والقيـم الروحيـة الأصيلـة، والصفـات النبيلـة، وذلـك لأنّ الأدبـاء والشـعراء في كل عـصر يعـدون مِـن النخـب الطليعيـة التـي لا بـدّ أن تـدلي بدلوهـا في قضايـا المجتمـع.

ومـا مِـن شـك أنّ العربـي ابتـداءً مِـن العـصر الجاهـلي كان يتطلـع إلى كثـير عمـا يخلـده مِـن المحامـد ومـكارم الأخـلاق؛ ثـم جـاء الإسـلام لينهـض بالإنسـان جسـداً وفكـراً وروحـاً، فـكان مبعـث نهضـة فكريـة عظمـى شـاركت في تجـارب البـشر الفلسـفية مشـاركة فاعلـة.

وإذا نُظـر فيمـا وصـل إلينـا مِـن الأدب الجاهـلي وُجِـد فيـه مـادة وفـيرة تنضـوي تحـت مفهـوم «النزعـة الإنسـانية»، فـإذا تأملنـا مثـلاً بـكاء الأطـلال ووصـف الرحلـة والراحلـة ووصـف الحـروب وغيرهـا، نلاحـظ أنهـا رمـوزاً لمعانـي إنسـانية تحمـل في ثناياهـا قيمـاً رائعـة، فهـا هـو عنـتر بـن شـداد يعـبر عـن إقدامـه وعفتـه بقولـه:

**يُخْـبركِ مَـنْ شَـهِدَ الْوقِيعـةَ أنّنِـي ❋ أغْـشَى الْوَغَـى وأعـفُّ عِنْـدَ المَغْنَـم**[345]

ويقول أيضاً مفتخراً بنسبه وفروسيته :

**إنّـي امْـرؤ مِـنْ خَـيرِ عَبْـس مَنْصبـاً ❋ شَـطْرِي وأَحمِـي سَـائِري بالمنْصَل**[346]

وهنـاك مِـن دعـاة السـلم كزهـير بـن أبـي سُـلمى الـذي ينظـر إلى الحـرب نظـرة مغايـرة لمـا هـو شـائع في عـصره، فهـي تطحـن النـاس وتقتلهـم، وهـم الذيـن يوقـدون نارهـا أو يطفئونهـا، فيقـول:

**وّمّـا الحَـربُ إلا مَـا عَلِمْتـم وَذُقتُـم ❋ ومـا هُـو عنْهـا بالحَديـثِ الْمُرجّـم**
**مَتَـى تَبْعَثوهـا تبْعَثُوهـا ذَمِيْمـة ❋ وتُـضْرِي إذا ضَريتُموهـا فتَـضْرم**[347]

ونجـد الشـاعر بلعـاء بـن قيـس[348] الـذي وعـى مـا ينطـوي عليـه السـلم مِـن عنـاصر إيجابيـة بنـاءة، ومـا تحملـه الحـرب مِـن ويـلات مهلكـة تدمـر الإنسـان وجميـع مقدراتـه

(345) - شرح ديوان عنترة بن شداد ، أمين سعيد ، (د.ط)، المطبعة العربية ، مصر ، (د.ت) ، ص 126.

(346) - المرجع السابق ، ص 811.

(347) - ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرحه وقدم له الأستاذ على حسن فاعور ، ط1، 1988 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ص 107

(348) - بلعـاء بـن قيـس بـن عبداللـه بـن يعمر الكنانـي ، كان عـلى رأس بنـي كنانـة في معظـم حروبهـم وغاراتهـم ولـه أخبـار في حـروب الفجار ، مات في حروب الفجار . ينظر : معجم الشعراء الجاهليين ، عزيزة فوال ،ط1، 1998 , دار صادر، بيروت ، ص60

حين قال مخاطباً خصمه في كثير مِن اللين:

**دَعَوْتُ أبَا لَيْلَى إلَى السّلْمِ كَي يَرَى * بِرَأي أصِيلٍ أوْ يَؤول إلَى الحِلمِ**
**دَعَانِي أشُبُّ الْحَربَ بيْنِي وبَيْنَهُ * فقلتُ لَهُ : مَهْلاً هَلُمَّ إلى السّلم[349]**

وقد برزت في الشعر الجاهلي ظاهرة احترام الخصم وتقدير إنسانيته ومكانته بغض النظر عن العداوة القائمة ، وهذا ما أطلق عليه اسم «المنصفات» وهي القصائد التي يشيد فيها الشاعر بقوة الخصم ومنزلته بعيداً عن منازع الاستعلاء والازدراء والتشفي، فعمرو بن كلثوم -مثلاً - ينظر إلى فريقي القتال المحتربين نظرة مساواة في قوله:

**كَأنّ ثِيابَنا مِنّا ومِنْهُمْ * خُضِبْنَ بأُرْجُوان أوْ طُلِينا**
**كَأنّ سُيُوفنَا فِينَا وفِيهُم * مَخَارِيقٌ بأَيْدِي لاعِبِينَا[350]**

ونجد عنترة بن شداد العبسي ينظر إلى خصمه على أنّه كريم وسيد في قومه إذ يقول:

**فَشَككْتُ بالرُّمحِ الأصَمّ ثيابَهُ * لَيْسَ الْكَريمُ عَلَى الْقَنا بمُحَرَّمِ[351]**

وعلى الرغم مِن روح الثأر القبلية القوية التي سادت في العصر الجاهلي، فإنّ هناك حالات مِن الحلم التي ترتكز على بعد إنساني نبيل، كالذي – مثلاً – فعله الحارث بن وعلة الذُهلي[352]، عندما قَتل أحدُ أبناء عمومته أخاه، وجيء بالجثة والقاتل ليقتص منه، فبرز عنده الحس الإنساني في أسمى معانيه، وأدرك أنّه إنْ قتل القاتل فسيزداد خسارة بفقد قريب آخر؛ فاختار الصفح، وأنشد قائلاً :

**قَومِي هُمُ قتلُوا أُميم أخِي * فإذا رَمَيْتُ يُصيبُنّي سَهْمِي**
**فلئِن عَفَوتُ لأعفوَن جَللاً * ولئن سَطَوْتُ لأوهِنَنْ عَظمِي[353]**

فقد وصل إلينا الشعر العربي في هذا الجانب تام النضوج، مكللاً بتاج امرئ القيس، وحامل لوائهم، ومحكماً رصيناً على لسان الشنفرى ناصر الإنسان والمرأة والحرية. والقيم الإنسانية التي تغنى بها شعراء الجاهلية كثيرة، وهي تصور المنزع

(349) صدر الدين البصري، الحماسة البصرية ، ج1 ، ، ط3 ، عالم الكتب ، لبنان ، 1983، ص63 .

(350) الحسين بن أحمد الزوزني ، شرح المعلقات العشر، (د.ط)، 1983 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص211 .

(351) المرجع السابق ، ص 250 .

(352) الحارث بن وعلة ينتهي نسبه إلى جرم بن الريان ، وهو شاعر جاهلي ، وكان هو وأبوه من فرسان قضاعة وأمجادها وأعلامها وشعرائها . ينظر : ديوان العرب ، موسوعة الشعر العربي ، عادل سالم ، 1998 .

(353) ينظر : ديوان العرب ، موسوعة الشعر العربي ، عادل سالم ، 1998.

الإنساني النبيل الذي كان ينصهر الشاعر في بوتقته ليفوح شعره معطراً بمكارم الأخلاق ونبيل الصفات، ومِن ذلك الكرم الذي ارتبط ذكره بشعراء سطعوا في سماء السخاء كالسموءل، وعروة بن الورد، وحاتم الطائي، وغيرهم؛ وأمّا صفة الإباء وإنكار الضيم، وتقديس كرامة النفس وعزتها، فيمكن تلمسها ناصعة في معلقة عمرو بن كلثوم؛ وتلك الصفات الإنسانية تكاد تكون قاسم مشترك بين غالبية الشعراء في العصر الجاهلي، بمن فيهم تلك الفئة مِن الشعراء التي ظهرت نتيجة معطيات وإفرازات ذلك المجتمع الذي عاشت فيه، وسميت بفئة «الصعاليك» الذين تمردوا على مجتمعهم وثاروا عليه رافضين الظلم والتمييز بين الغني والفقير، والأبيض والأسود؛ وإذا تصفحنا شعرهم لمسنا فيه كثيراً مِن القيم والمعاني الإنسانية والأخلاق النبيلة، فهاهو السليك يرسم صورة مؤثرة لما تلاقيه خالاته الإماء السود مِن الضيم والهوان، وهو عاجز لفقره عن أنْ يفعل مِن أجلهن شيئاً حتى ليشيب رأسه مما يقاسيه نفسياً مِن أجلهن[354]، إذ يقول:

**أشابَ الرأسَ أنّي كُلَّ يَومٍ * أَرى لي خَالةً وَسطَ الرِّحالِ**
**يَشُقُّ عَليّ أنْ يَلقَينَ ضَيماً * ويَعجِزُ عن تَخلُّصِهنَّ مَالي**[355]

وعروة بن الورد يسجل سجاياه وخصاله شعراً خالداً، حين يقول:

**قَعيدَكِ- عَمرَ اللهِ- هَل تَعْلِمينني * كَريماً إذا أسوَدَّ الأنامِلُ أزهَرا**
**صَبوراً على رُزءِ المَوالي وحافِظاً * لعِرضِيَ حَتّى يُؤكلَ النبتُ أخْضَرا**
**أقَبُّ ومِخماصُ الشتاءِ مُرَزَّأٌ * إذا اغبرَّ أولادُ الأذِلّةِ أسْفَرا**[356]

فهو كريم سخي في ليالي الشتاء الباردة، صائن نفسه ولكرامته مِن ذل المسألة، وصبور يؤثر غيره على نفسه فيطعم الناس ويظل يعاني قسوة الجوع.

أمّا قُسُّ بن ساعدة الإيادي فيتفكر في أمر هذه الحياة ووجود الإنسان ومآله بعد موته، ويعبر عن ذلك في خطبته المشهورة التي ألقاها في «سوق عكاظ» في الجاهلية بقوله: «مَنْ عاش مات، ومَنْ فات مات، وكل ما هو آتٍ آت ...» ثم أنشد:

**فِي الذاهِبينَ الأوَّلينَ مِنَ القُرونِ لَنا بَصائِر**
**لَمّا رَأيتُ مَوارِداً لِلمَوتِ لَيسَ لَها مَصادِر**
**وَرَأيتُ قَومِي نَحْوها تَمضِي الأصاغِرُ والأكابِر**

(354) يوسف عبد القادر خليف، الشعراء الصعاليك، (د.ط)، 1959، دار المعارف، القاهرة، ص230.

(355) ديوان السليك بن السلكة، تقديم، د.سعدي الضناوي، ط1، 1994، دار الكتاب العربي، بيروت، ص89.

(356) ديوان عروة بن الورد، تحقيق أسماء أبوبكر محمد، ط1، 1992، دار الكتب العلمية، بيروت، ص66.

**لا يَرجِعُ المـاضي ولا يَبْقي مِنَ الباقينَ غابِر**
**أيْقَنتُ أنّي لا مَحالَةَ حَيْثُ صارَ القَومُ صـائِر**(357)

وفي عـصر الإسـلام اسـتمرت هــذه النزعــة وتطــورت، واكتسـبت مفاهيـم جديـدة مِــن القيــم والتعاليــم الإســلامية؛ فالإســلام رسّــخ تلــك المعانــي النبيلــة والقيــم الأصيلــة في رحابــه، وانصهــرت في بوتقــة قيمــة الإلهيــة الرفيعــة، فاللــه – عــز وجــل – يقــول في محكــم تنزيلــه: {**وَلَقَــدْ كَرَّمْنَــا بَنِــي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُــمْ فِي الْــبَرِّ وَالْبَحْــرِ وَرَزَقْنَاهُــم مِّــنَ الطَّيِّبَــاتِ وَفَضَّلْنَاهُــمْ عَــلَى كَثِــيرٍ مِّمَّــنْ خَلَقْنَــا تَفْضِيــلاً**}(358)، وقيمــة الإنســان في القــرآن الكريــم تأتــي مِــن إيمانــه وطاعتــه وتقــواه، وليــس مِــن أي جهــة أخــرى يقــول تعــالى: «**يَــا أَيُّهَــا النَّــاسُ إِنَّــا خَلَقْنَاكُــم مِّــن ذَكَــرٍ وَأُنثَــى وَجَعَلْنَاكُــمْ شُــعُوباً وَقَبَائِــلَ لِتَعَارَفُــوا إِنَّ أَكْرَمَكُــمْ عِنــدَ اللَّــهِ أَتْقَاكُــمْ إِنَّ اللَّــهَ عَلِيــمٌ خَبِــيرٌ**»(359)؛ وفي الحديــث الشريــف: عــن جابــر بــن عبــد اللــه رضي اللــه عنــه قــال: قــال رســول اللــه صــلى اللــه عليــه وســلم: «يأيّهــا النّــاسُ إنّ ربّكُــم واحــدٌ، وإنّ أباكُــم واحــدٌ، ألا لا فضــلَ لِعربــيّ عــلى عجمــيّ، ولا لعجمــيّ على عربــيّ، ولا لأحمــرَ عــلى أســودَ، ولا لأســودَ عــلى أحمــرَ إلا بالتّقــوى. إنّ أكرمكــم عنْــد اللــهِ أتقاكُــم، ألَا هــل بلغــت؟ قالــوا: بــلى يــا رســولَ اللــهِ قــال: فيُبَلّــغُ الشــاهدُ الغائــبَ «(360)؛ وفي حديــث آخــر أنّ امــرأة اســتحقت عــذاب جهنــم بعمــل واحــد ضــد الإنســانية، وذلــك لربطهــا قطــة في بيتهــا ومنعهــا مــن تنــاول أي طعــام، كمــا جــاء في الحديــث الشريــف: «دخلــتْ امــرأةٌ النّــارَ في هِــرةٍ ربَطَتْهــا، فلــمْ تُطْعِمهــا، ولَــمْ تَدَعْهــا تــأكُلُ مِــنْ خَشَــاشِ الأرضِ»(361).

فالمصــادر الإســلامية كلهــا زاخــرة بملامــح الإنســانية التــي تتمثــل في التركيــز عــلى الأخــلاق الفاضلــة والــبر والإحســان والكــرم ومحبــة الآخريــن، وإعانــة المحتــاج، والدعــوة إلى نــشر الخــير وإقامــة العــدل، وعــدم التمييــز بــين الإنســان، وغيرهــا مــن القيــم الإنســانية الســامية والنبيلــة التــي دعــا إليهــا الإســلام وعمــل عــلى تحقيقهــا في المجتمــع.

وقــد غــزت تلــك المعانــي جميعهــا قلــوب الشــعراء منــذ عــصر صــدر الدعــوة، فكان شــعرهم صوتــاً للحــق ونــداءً للإنســانية، بــدءاً بالدفــاع عــن ديــن الإنســانية والعــدل والســلام، فهــا هــو عــلى بــن أبــي طالــب رضي اللــه عنــه، يقــول:

**إنّ المــكارِمَ أخــلاقٌ مُطهــرةٌ * فالدّيــنُ أوّلُهــا والعَقــلُ ثانــيها**
**والعِلــمُ ثالِثُهــا والْحِلــمُ رابعُهــا * والجُــود خامِسُــها والعُــرْفُ ســاديها**

(357) أحمد الربيعي ، قس بن ساعدة ، حياته ،خطبه ، شعره ، ط1 ، 1974 ، مطبعة النعمان ، بغداد ، ص 295.

(358) القرآن الكريم ، سورة الإسراء ، الآية 70 .

(359) القرآن الكريم ، سورة الحجرات ، الآية 13 .

(360) رواه الألباني ، في السلسلة الصحيحة ، عن جابر بن عبد الله ، الرقم 2700 . وينظر : البيهقي في الشعب ،5137 .

(361) ينظر : صحيح البخاري ، الصفحة أو الرقم 3318 .

والـــبِرُّ ســـابِعُها والصَـــبرُ ثامِنُهـــا * والشُـــكرُ تاسِـــعُها واللِّـــينُ باقِيهـــا[362]

وقــد تهــذّب في عــصر الإســلام المــدح والهجــاء والرثــاء والحماســة وســائر أغــراض الشــعر وموضوعاتــه بتهذيــب الإســلام، وتــأدب بأدبــه، وذلــك لــدى معظــم الشــعراء، فنجــد ذو الرمــة يعلــن أنّــه لا يمــدح للتكســب بــل إنّ مدحــه وقفــاً عــلى المســتحقين مِــن الكــرام، فيقـــول[363]:

فَلَــم أقــذِف لمُؤمِنــةٍ حَصَــانٍ * بحَمــدِ اللــهِ موجِبِــةً عضُــالا
ولَــمْ أَمْــدَحْ لأُرضيَــهُ بشِــعري * لئيمــاً أنْ يكــونَ أصــابَ مــالا
ولكِــنّ الكِــرامَ لهــمُ ثَنائــي * فَــلا أَخــزِي إذا مَــا قيــلَ : قَــالا

وقــد ســار عــلى هــذا النهــج الخلفــاء الراشــدون، ففــي وصيــة الخليفــة الأول أبــي بكــر الصديــق رضي اللــه عنــه إلى قائــد جيشــه أســامة بــن زيــد، نبــل القيــم والمبادئ الإنســانية الســامية التــي تبــيّن أنّ الغايــة مِــن الحــرب ســعادة الإنســان والحيــاة الآمنــة لا القتــل والتدمــير: «لا تخونــوا، ولا تغــدروا، ولا تمثلــوا، لا تقتلــوا طفــلاً صغــيراً، ولا شــيخاً كبــيراً، ولا امــرأة، ولا تعقــروا نخــلاً ولا تحرقــوه، ولا تذبحــوا شــاة ولا بقــرة ولا بعــيراً إلا لمأكلــة، وســوف تمــرون بأقــوام قــد فرغــوا أنفســهم في الصوامــع، فدعوهــم ومــا فرغــوا أنفســهم لــه»[364]؛ أمّــا عمــر بــن الخطــاب رضي اللــه عنــه فيكفــي أن يشــار إليــه في موقفــين، الأوّل: تأنيبــه لــوالي مــصر عمــرو بــن العــاص بقولــه: «متــى اســتعبدتم النــاس وقــد ولدتهــم أمهاتهــم أحــراراً «[365]، والثانــي: عندمــا اســتعطفه «الحطيئــة» وهــو في الســجن، فنجــد ملمــح إنســاني بــارز في موقــف عمــر رضي اللــه عنــه، عندمــا أطلــق سراحــه بعــد ســماع أبيــات الحطيئــة:

مـــاذا تَقـــولُ لأفـــراخٍ بِـــذي مـــرَخٍ * زُغـــبُ الحواصـــلِ لا مـــاءٌ ولا شَـــجَرُ
ألقيـــتَ كاسِـــبَهُم فِي قَعـــرِ مُظلِمـــةٍ * فَاغفِرْ عَلَـيك سَـلامُ اللـهِ يا عُمَـرُ[366]

ويقصد بالأفراخ أولاده في مكان ذي مرخ، وهم جائعون لا ماء ولا طعام لديهم.

هــذا وقــد شــاع وانتــشر في العــصر الأُمــوي الغــزل العــذري، وقــد كان نتيجــة طبيعيــة لتنظيــم وتهذيــب العلاقــة بــين الرجــل والمــرأة في رحــاب الإســلام؛ ويعــد هــذا النــوع مِــن

(362) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، شرح د. يوسف فرحات ، ط8 ، 2002 ، دار الكتاب العربي ،بيروت، ص122 .

(363) ديوان ذي الرمة، ط2، 1964 ، المكتب الإعلامي للطباعة والنشر، دمشق ، سوريا، ص527 .

(364) محمد رضا ، أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ، ط2 ، 1950 ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، ص29 .

(365) عندما ألتقيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أدهم شرقاوي ، ط1 ، 2017 ، دار كلمات للنشر والتوزيع ، الكويت ، ص7 .

(366) ديــوان الحطيئــة ، بــشرح أبــي الحســن الســكري ، اعتنــى بتصحيحــه أحمــد بــن الأمــين الشــنجيطي ، (د.ط)، مطبعــة التقــدم، مــصر ، (د ت) ، ص 80 .

الشـعر إنسـانياً راقيـاً، فهـو ينظـر إلى المـرأة نظـرة تقديـر وإعجـاب بالسـجايا والخصـال الخلقيـة مترفعـاً عـن إثـارة الغرائـز منطلقـاً نحـو تهذيـب العواطـف، وقـد ذاع صيـت الشـعراء العذريـين في عـصر بنـي أميـة مِـن أمثـال: جميـل بـن معمـر، وقيـس بـن الملـوح، وقيـس بـن ذريـح، وعـروة بـن حـزام، وغيرهـم مِـن الشـعراء الذيـن عزفـوا ألحانـاً شـجية عذبـة تلمـس السـجايا والخصـال المعنويـة في المحبوبـة، وكأنمـا أضفـى الإسـلام عـلى المـرأة وعلاقتهـا بالرجـل عنـد هـؤلاء الشـعراء ضربـاً مِـن القدسـية أحاطهـا بهالـة مِـن الجـلال والوقـار؛ فهـذا كُثـير عـزة الـذي ينجـذب بحبائـل الفضائـل الخلقيـة التـي تميـزت بهـا محبوبتـه بعيـداً عـن أي صفـة حسـية فيصـوغ ذلـك كلمـات خالـدة، فيقـول:

**وَأعجَبَنـي يـا عَـزَّ مِنـكِ خَلائِـقُ * كِـرامٌ إذا عُـدَّ الخلائِـقُ أربَـعُ**
**دُنُـوَّكِ حَتّـى يَذكُـرَ الجاهِـلُ الصِبـا * وَدَفعُـكِ أَسْـبَابَ المُنَـى حِـينَ يَطْمَـعُ**
**وَمِنْهُـنَّ إكـرامُ الكريـمِ وهَفـوةُ * اليتيـمِ وخَـلّاتُ المَـكارِمِ تَنْفَـعُ**[367]

ونجد جرير يساوي بين العرب وبين الموالي في نظرة إنسانية بارزة في قوله:

**أَبُونَـا أَبـو إِسـحاقَ يَجْمـعُ بيْننـا * أَبٌ كانَ مَهديّـاً نَبِيّـاً مُطَـهّرا**
**أَبُونَـا خَليـلُ اللـهِ واللـهُ رَبُّنـا * رَضينـا بِمـا أَعطـى الإِلاهُ وَقَـدَّرا**[368]

وفي الأعـصر العباسـية ازدهـر الفكـر الفلسـفي وانتـشرت الفـرق التـي تسـتند في توجههـا إلى رؤيـة العقـل والمنطـق، فأخـذت النزعـة الإنسـانية تحمـل أبعـاداً جديـدة وظواهـر متطـورة، ولا سـيما مـا يـرى عنـد الزهـاد والمتصوفـة أمثـال: السـهروردي وابـن عربـي وابـن الفارض وغيرهـم، وعنـد إخـوان الصفـا وأمثالهـم؛ كل ذلـك إضافـة إلى مـا كان ظاهـراً مِـن قيـم إنسـانية اسـتمرت مجـالاً للمـدح والتفاخـر، فابـن عربـي – مثـلاً – يقـول:

**لَقَـدْ صَـارَ قلبـي قابـلاً كلَّ صـورةٍ * فَمرعًـى لغـزلانٍ وَديْـرٌ لرُهبـانِ**
**أَديـنُ بدِيـنِ الْحُـبّ أنَّـي توجَهـتْ * رَكائبُـه فالْحبُّدينِـي وإيمانِـي**[369]

فالحـب عنـد ابـن عربـي، شريعـة إنسـانية في الحيـاة، وهـو الـذي يعيـش بـه الإنسـان مهما تعـددت وجهاتـه، وأنّ قلبـه متسـع لجميـع النـاس عـلى اختلافهـم دينـاً وعرقـاً ولونـاً. ومـع تقـدم تلـك العصـور العباسـية نجـد أنّ الشـعر الإنسـاني قـد بلـغ ذروة تألقـه عـلى يـد كوكبـة مِـن شـعرائه مِـن أمثـال: بشـار بـن بـرد، وابـن المعتـز، وأبـي تمـام، والبحـتري، والمتنبـي، وأبـي فـراس، وابـن الرومـي، وأبـي العـلاء المعـري، وغيرهـم؛ فهـذا ابـن يسـير يصـور خوفـه عـلى ابنتـه مِـن ذل اليتـم وجفـاء ذوي القربـى لهـا، فيقـول:

(367) – ديوان كثير عزة ، تقديم مجيد طراد ، ط3 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1999 ، ص117

(368) – ينظر: كتاب المفصل في تاريخ العرب ، جواد علي، ط4، 2001، دار الساقي، بيروت.

(369) – محمد جواد مغنية ، نظرات في التصوّف والكرامات ، ط1 ، 1963 ، دار المكتبة الأهلية ، بيروت ، ص18 .

لَــوْلَا البُنيّــةُ لَــمْ أجْــزَعْ مِــن العَــدمِ * ولَــمْ أجُــبْ فِي الليــالِي حِنْــدِسَ الظُلــمِ
وَزادَنِــي رَغْبَــةً فِي الْعيــشِ مَعْرِفَتِــي * ذلّ اليتِيمــةِ يَجْفُوهــا ذوو الرّحــمِ
أَخْــشَى فَظاظــةَ عَــمّ أوْ جَفــاء أَخٍ * وكُنْــتُ أَخْــشَى عَليها مِــنْ أذى الكلمِ(370)

إنّهـا مشـاعر أبويـة إنسـانية رقيقـة يبـيّن عنهـا الشـاعر في كلمـات رقيقـة تصـف مشـاعر حانيـة وعواطـف إنسـانية صادقـة، ومـا يطـوى فيهـا مِـن الرحمـة والـبر والحنـان.

وهنـاك أبـو فـراس الـذي نجـده يصـف مشـاعر الابـن البـار بأمـه مِـن خـلال وصـف مشـاعره تجـاه أمـه، تلـك المشـاعر التـي أدت بـه إلى التنـازل عـن بعـض أخلاقـه ليفـك أسره إرضـاء وإسـعاداً لهـا، فيقـول متأملـاً:

لَوْلَا العَجُوزُ ب»منبج»مَا خِفْتُ أَسْبَابَ المَنيّة

وَلَكَانَ لِي عَمّا سألتُ مِنَ الفِدا نَفْـس أبيّة

لَكِنْ أرَدتُ مُرادَها وَلَوِ أنجذَبتُ إلى الدَّنيّة

يَا أُمَّتا ! لا تَحْزنِي وثقِي بفضلِ اللهِ فِيَّه

يَا أُمَّتا ! لا لاتَيْأسِي لله أَلْطَـافٌ خَفِيّة(371)

فأبـو فـراس يصـب في هـذه الأبيـات سـيلاً مِـن العواطـف وفيضـاً مِـن الإنسـانية الرائعـة تجـاه أمـه، فمـن أجلهـا هانـت عليـه كرامتـه، فاسـتجدى الفـداء رغبـة في إسـعادها وتحقيـق أملهـا.

وطـرق شـعراء العـصر العبـاسي أبـواب الصداقـة والأصدقـاء، والتـي هـي أحـد محـاور ومعانـي الإنسـانية؛ يقـول في ذلـك دكتـور شـوقي ضيـف في كتابـه «تاريـخ الأدب العربـي المعـاصر: «وقفـوا طويـلاً عنـد واجبـات الأخـوة والصداقـة وسـبر أخلاقهـم قبـل اصطفائهـم...»(372)، ومثـالًا لذلـك الشـاعر بشـار بـن بـرد الـذي يتنـاول واجبـات الأخـوة والصداقـة بأسـلوب عـذب رقيـق مفعـم بالـود والإخـلاص، في قولـه:

إذَا كُنْـتَ فِي كُلّ الأُمُـورِ مُعَاتِبـاً * صَديقَــكَ لَــمْ تلْــقَ الــذّي لا تعَاتبُــه
فَعِـشْ وَاحِـداً أوْ صِـلْ أخَـاكَ فإنّــه * مُفَــارِقَ ذنــبٍ مــرّة ومجانبــه(373)

فهـو يحـث عـلى التجـاوز عـن أخطـاء الصديـق، والبعـد عـن معاتبتـه في كل الأخطـاء، فالإنسـان بطبعـه خطّـاء، وإذا لـم يكـن التسـامح شـعاراً للصداقـات فسـتكون الوحـدة

(370) - شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ،العصر العباسي الأول ، ط7 ، 1995 ، دار المعارف ، القاهرة ، ص187 .

(371) - ديوان أبي فراس الحمداني، شرح د.خليل الدويهي ، ط2 ، 1994، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ص355.

(372) - تاريخ الأدب العربي ،العصر العباسي الأول ، د.شوقي ضيف ،ص182.

(373) ديوان بشار بن برد ، تقديم د. احسان عباس ، ط2 ،0102 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ص601.

والانفراد هما النتيجة؛ ولا يمكن أن نغفل في هذا السياق ما لأبي تمام مِن شعر إنساني يصور فيه الصداقة في أبهى صورها وأرقى معانيها حينما يجسد تلك العلاقة الأخوية في داليته المعروفة والتي قالها في صديقه الشاعر «على بن الجهم» وقد جاء يودعه لسفر أراده، ومطلعها:

**هِـي فُرْقـةُ مِـنْ صَاحِبٍ لَـكَ ماجِـدِ ❋ فَغَـداً إذا بَـهُ كُـلِّ دَمـعٍ جامـدِ**

**فَافِـزع إلى ذُخـرِ الشُّـؤونِ وَغَربِـهِ ❋ فالدمـعُ يُذْهِـبُ بَعْـضَ جَهـدِ الجاهِـدِ**

**وإذَا فَقَـدتَ أخَـاً ولَـمْ تَفقِـد لَـهُ دَمْعَاً ❋ ولا صَـبْراً فَلَسْـتَ بِفاقِـدِ**[374]

فقد بلغ الشعر الإنساني قمة تطوره في الأعصر العباسية على يد أبي العلاء المعري، إذ اتخذ علي يديه منحى آخر مِن حيث التأمل في الإنسان، ومآثر الإنسانية، والتوسع في قضايا الخير والشر، لا سيما في لزومياته»[375]؛ ومِن أجمل شعره الذي ينم عن نزعة إنسانية رفيعه، قوله:

**مـا الخَيرُ صَـومٌ يَـذوبُ الصائِمـونَ لَهُ ❋ ولا صَـلاةٌ ولا صـوفٌ عَـلى الجَسَـدِ**

**وإنّمـا هُـوَ تَـركُ الشّـرِ مُطّـرِحاً ❋ ونَفضُـكَ الصَدرَ مِن غِـلّ ومِن حَسَـدِ**[376]

ولأبي العلاء أبيات تعد مِن أجمل ما قيل في مبدأ الإيثار المطلق والذي يحرص صاحبه على الانصهار في بوتقة حب الخير للجميع[377]، يقول فيها:

**وَلَـوْ أنّـي حُبِبْـتُ الخُلْـد فَـرْداً ❋ لَمَـا أحْبَبْـتُ بالخُـلْدِ انْفِـرادَا**

**فَـلَا هَطَلَـتْ عَـليّ وَلا بـأرضِي ❋ سَـحَائِبُ لَيْـسَ تَنْتَظِـمُ البِـلادَا**[378]

وإذا دلفنا إلى الشعر العربي في الأندلس ذلك الفردوس المفقود لنتلمس النزعة الإنسانية فيه، فنلاحظ أنّ الحياة الأندلسية بكل أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأدبية، كانت كفيلة بأن تذكي الشعر الإنساني النبيل وتزهره في قرائح الشعراء، فتقلب الأجواء الاقتصادية والسياسية، وتذبذب الأوضاع بين الاستقرار والضياع، وانهيار الممالك الإسلامية والمدن الأندلسية، كل ذلك استدعى الشعر الإنساني ليكون ملجأً وملاذاً للشعراء والأدباء؛ فمنهم مَن بكى الديار والمدن ، وناح على الأوطان، ومِنهم مَن قدّم النصح والعظات والإرشاد، ومنهم مَن تغنى بالطبيعة والرياض

(374) ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، ص104 .

(375) هيفاء بنت رشيد ، النزعة الإنسانية في الشعر بين الشابي والقصيبي ، رسالة دكتوراه ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القري ، المملكة العربية السعودية ، 6002 ، ص 33 .

(376) أبو العلاء المعري ، ديوان اللزوميات ، ج1 ، ط2، 2001 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص 251 .

(377) النزعة الإنسانية في الشعر بين الشابي والقصيبي ، مرجع سابق، ص34 .

(378) ينظر:شروح سقط الزند، القسم الثاني ، الدار القومية للطباعة والنشر ، باشراف د. طه حسين، القاهرة ، ص 564 .

وجمالهـا؛ وتعـد «نونيـة» أبـي البقـاء الرُّنـدي المشـهورة مِـن أشـجى مـا جـادت بـه قريحة شـاعر في بـكاء الديـار، وتصويـر نكبـات الانهيـار وسـقطوط الدويـلات والمـدن، وشـحذ الهمـم للـذود عـن الإسـلام[379]، والتـي يقـول في مطلعهـا:

**لِـكُلِّ شَيءٍ إذَا مَـا تَـمّ نُقْصـانُ * فـلا يُغَـرَّ بِطيـبِ العَيْـشِ إنْسـانُ**
**هِـيَ الأمُـورُ كَمَـا شَـاهَدتُهَا دُوَلٌ * مَـنْ سَرّه زَمَـنٌ سَـاءَتهُ أزْمَـانُ[380]**

وعـلى هـذه الشـاكلة كان الشـعر في بـلاد الأندلـس مفعمـاً بالإنسـانية مثقـلاً بهمومهـا، ولا يـكاد يوجـد شـاعر في الأندلـس إلّا وقـال شـعراً إنسـانياً في شـتى مجـالات الحيـاة، باسـطاً محاورهـا مفنـداً معانيهـا»[381].

وفي العـصر الحديـث اتسـعت عوامـل النزعـة الإنسـانية لـدى الأدبـاء والشـعراء والنقـاد، بفضـل تلاقـح النمـاذج الحضاريـة بـين الشـعوب، وتطـور الدراسـات الدينيـة والفكريـة والفلسـفية والاجتماعيـة، وظهـور تيـارات متعـددة سـعت إلى قيـادة المجتمعـات مِـن رؤى وأفـكار ومبـادئ مختلفـة؛ والتـي كان الإنسـان فيهـا محورهـا وأساسـها؛ وقـد انعكـس ذلـك جليـاً عـلى صفحـات الأدب شـعراً ونثـراً، ولا سـيما مـع ظهـور أنـواع أدبيـة جديـدة في الأدب العربـي كالقصـة القصـيرة والروايـة والمسرحيـة والمقالـة الدينيـة والعلميـة ، وغيرهـا مِـن أنـواع فنـون النثـر الأخـرى، وانغمـس الشـعراء في الحيـاة العربيـة العامـة، وشـاركوا مجتماعتهـم همومهـا وقضاياهـا»[382].

ومـع بواكـير النهضـة العربيـة الحديثـة ومـا رافقهـا مِـن متغـيرات، سـواء عـلى الصعيـد السـياسي أو الاجتماعـي أو الاقتصـادي أو الفكـري أو الحضـاري، هـزّت أعمـاق الشـاعر وزلزلتـه وولـدت لديـه رغبـة جامحـة في التعبـير عـن الـذات الإنسـانية، والقضايـا الاجتماعية بعيـداً عـن أغـراض الشـعر التقليـدي[383].

وقـد أصبـح الشـاعر يرتبـط بأحـداث عـصره وقضايـاه، لا ارتبـاط المتفـرج الـذي يصـف مـا يشـاهد وينفعـل بمـا يصـف، وإنّمـا هـو يعيـش تلـك الأحـداث وهـو صاحـب لتلـك القضايـا [384].

وقـد تزايـد الاهتمـام بالنزعـة الإنسـانية في هـذا العـصر الحديـث، في ظـل ازديـاد التّوتـر

(379) هيفاء بنت رشيد ، النزعة الإنسانية في الشعر بين الشابي والقصيبي ، ص 37 .

(380) محمد رضوان الداية ، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ط2، 1986 ، مكتبة سعد الدين ، بيروت ، ص 143

(381) النزعة الإنسانية في الشعر بين الشابي والقصيبي، مرجع سابق ، ص38 .

(382) أحمد أبو حاقة ، الالتزام في الشعر العربي ، (د.ط)، 1979 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ص387.

(383) هيفاء بنت رشيد ، النزعة الإنسانية في الشعر بين الشابي والقصيبي ، ص 38 .

(384) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط3، 1966، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر ص13

والـصّراع في كثـير مِـن مناطـق العالـم وفي الـشرق الأوسـط خاصـة، منـذ انتهـاء الحـرب البـاردة بـين القوتـين العظميـين: الاتحـاد السـوفيتي – آنـذاك – والولايـات المتحـدة الأمريكيـة[385].

ومِـن هنـا كان التحـول، في الشـعور بالفكـر والفـن نحـو الإنسـانية التـي تنـادي بحقوقـه وتتبنـي آمالـه، وقـد وقـف الشـعراء في شـتي أقطـار الوطـن العربـي وفي المهاجـر البعيـدة، لمعالجـة قضايـا الإنسـان بـكل جوانبهـا وأبعادهـا، فهـا هـو طاهـر الزمخـشري يبث مـا تمليـه عليـه نفسـه شـعراً، فيقـول:

**وَقَالَـتْ لا أريْـدكَ للتَغنِـي * بِدَعْـد أوْ بِهنْـد أوْ بـنَعَم**
**فَصَـوْتُ الشّـعرِ فِي الدّنيَـا مَنَـارٌ * يَـضِيء لَنـا بليـلٍ مـدلهم**
**أُريـدكِ فِي الْحَيَـاةِ نَفِـيرَ خَيـرٍ * وتَدْفـعُ بالمواطـنِ للخضـم**
**لِيلْقـى فَـوْقَ صَفْحَتـه مُقَامَـاً * ويَثبـتُ فِيـه كَالطّـودِ الأَشَـم[386]**

فـإنّ ملهمـة الشـعر لـدى الزمخـشري لا تصبـو إلى شـعر الغـزل ولا الصبـوة، فقـد فطنـت إلى مـا للشـعر مِـن دور في بنـاء الحيـاة وإنـارة طريـق الخـير ودفـع عجلـة الرقـي والتقـدم وبـث روح الحماسـة، ومِـن هنـا نجـد أنّ الشـاعر في العـصر الحديـث والمعـاصر قـد نشـأ في آفـاق رحبـة لا تحدهـا حـدود ، ولا تقيدهـا قيـود[387].

وإذا تتبعنـا الشـعراء في العـصر القديـم والحديـث في كل البـلاد العربيـة والإسـلامية، نلاحـظ مـدى تفاعلهـم بقضيـة القـدس، وكيـف كانـوا يشـطاطون غيظـاً وغضبـاً مـذ أراق الصليبيـون الـدم العربـي المظلـوم في فلسـطين؛ فقـد هـزّت نكبـة فلسـطين ضمـير العالـم الإنسـاني، وارتعـش وجـدان الشـعر العربـي، وانطلقـت أولى قصائـد النكبـة في ملحمـة الـدم في فلسـطين مِـن فـم الشـاعر أبـي المظفـر الأبِيْـوَرْدِي :

**مَزجْنَـا دمـاءً بِالدمـوعِ السـواجمِ * فَلَـمْ يَبْـقَ مِنّنـا عُرضَـةٌ للمُراجـم**
**وكَيْـفَ تَنـام العـين مـلءَ جفونهـا * عـلى هَبَـواتٍ أيغظـت كلَّ نائـم[388]**

وصـبرت القـدس تسـعين عامـاً وهـي تنتظـر سـيف النـاصر صـلاح الديـن، فلمـا لاح لهـا طيـف القائـد العظيـم فـوق بطـاح حطـين، وارتـدت إلى العـرب أرضهـم وكرامتهـم، دوّى صـوت الشـعر الإنسـاني بالفرحـة العظمـى، بلسـان الشـاعر المـصري ابـن سـناء الملـك:

(385) أنور الشعر، النزعة الإنسانية في الشعر العربي المعاصر، ط1، 2016، مطبعة السفير، عمان، الأردن، ص7.

(386) طاهر الزمخشري ، ديوان ألحان مغترب ، ط2 ، 1982 ، مطبوعات تهامة ، جدة ، ص168 .

(387) النزعة الإنسانية في الشعر بين الشابي والقصيبي ، مرجع سابق ، ص40 .

(388) أوردها ابن الأثير في الكامل ولا نجدها في المختارات المطبوعة مِن ديوان الأبيوردي .

لستُ أدري بأيّ فتحٍ تُهنّا * يا مُنيل الإسلام ما قد تمنّى
لك مدح على السموات ينشا * ومَحلٌ فَوق الأسنةِ يُبنى[389]

وأقبل القرن العشرين والأمة العربية في سباتها العميق، وهي تعلم أنّ من ورائها ذؤباناً لا ينامون، فكان وعد بلفور الغاشم ضد الإنسانية؛ فأعلنوا فلسطين وطن بلا شعب! فيجب أنْ يعطى لشعب بلا وطن! فأثارت مأساة فلسطين بأهوالها وويلاتها وجدان الشعر المعاصر مِن جديد، فانطلقت قصائد النكبة مغمسة بالألم والدموع تصور بؤس المنكوبين وشقاءهم وضياعهم وحنينهم إلى الأرض السليبة، فهذا أبو سلمى يحن إلى داره في فلسطين وما خلّف فيها مِن حلو الذكريات:

داري التي على ربوةٍ * حَالمة بالمجدِ والغارِ
تفتّح الزهر على خدها * فعطّرت أيام آذار
والتينةُ الخضراء في ظلها * تاريخ أشواقِي وآثاري
والعينُ خَلف الدّار فِي المنحَى * تروي حكاياتِي وأخبَاري[390]

وهذا حسن البحيري يتنسم أنفاس وطنه المغصوب في أريج الزهر:

سألت ذاتُ حنين أختها * والدجى يعقِد أجفان الوسن
وصدى النجوى على أفق الربا * يزفِر اللهفة في ليل الشجن
أختِ ما سرّ الشذى من زنبقٍ * حيّر الأدمع في جفن الزمن[391]

والحق أنّ شعراء فلسطين غنوا أصدق ألحان المأساة وأعمقها عاطفة لأنّهم صدروا فيها عن التجربة التي عاشوها بأنفسهم والمآسي التي رأوها بأعينهم.

وما يكاد يخلو ديوان من دواوين الشعراء في العصر الحديث عن «المأساة الفلسطينية»، فها هو على محمود طه كغيره مِن الشعراء الإنسانيين يعتصر ألماً ويشتعل حماسة في قصيدة مطولة منها قوله:

فِلِسْطِينُ لَا راعتْكِ صَيحةُ مُغْتَالِ * سَلِمْتِ لأجيالٍ وعِشْتِ لأبطالِ
هُوَ الشّرْقُ لَمْ يَهْدَأ بِصُبحٍ ولَمْ يَطِبْ * رُقَاداً عَلى لَيلٍ رَمَاكِ بزلزالِ[392]

فالشاعر يصور واقعاً أليماً جثم على صدر الإنسانية، فاهتز الضمير الحي لهذا

(389) عبداللطيف حمزة، أدب الحروب الصليبية، ص133.

(390) صالح الأشتر، مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر، ص17.

(391) صالح الأشتر، مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر، ص18.

(392)

المصــاب، فالوطــن العربــي ككل رمــز للقيــم والمثــل وأعظــم مــا يفصــح عــن النزعــة الإنســانية لــدى الفــرد.

وقـد امتـلأت دواويـن شـعراء العـصر الحديـث بالقضيـة الفلسـطينية وسـالت دمـاً، ومِنهـم شـعراء الرابطـة القلميـة فقـد اسـتطاعوا أن يعكسـوا المعنـى الايجابـي للمأسـاة القوميـة الكـبرى، ولا سـيما إيليـا أبـو مـاضي، فتمكـن مِـن الموازنـة بـين العاطفـة والفكـر في بكائـه للمأسـاة! ليـس لأنّـه كان بعيـداً عـن المأسـاة في مُهاجَـره، ولكـن ربمـا ليبعـث برسـالة إلى الأمـة العربيـة التـي اسـتطابت حيـاة السـفوح، واستسـلمت راضيـة إلى نـوم كالمـوت، فيقـول في إحـدى قصائـده:

**ديــارُ الســلام وأرضُ الهَنــا * يشُــقّ علــى الــكل أن تحزنــا**
**فخَطــب فلســطينَ خطــب العُــلا * ومــا كان رزء العــلا هيّنــا**
**ســهرنا لــه فــكأن الســيوف * تحُــزُّ بأكبادنــا ههنــا**
**وكيــفَ يَــزُور الكَــرى أعْيُنــاً * تَــرى حَولهَــا للــردى أعْينــا**
**وكيــفَ تَطيــبُ الحيــاةُ لقــومٍ * تُســد عَليهــم دروبُ المنــى**[393]

ولـولا ضيـق المقـام لاستشـهدنا عـن مظاهـر النزعـة الإنسـانية في الأدب العربـي بعـدد كبـير مِـن شـعراء العصـور الأدبيـة المختلفـة؛ المقيمـين منهـم في الأوطـان، أو أولئـك الذيـن احتضنتهـم المهاجـر البعيـدة ، فمـا مِـن شـاعر لـم تدفعـه ربـة شـعره للتغنـي بأصـدق ألحـان المأسـاة وآلام البـؤس والحنـين.

إنّ شـعراء المهجـر الذيـن حملـوا معهـم الحـس الإنسـاني النبيـل، كانـوا خـير مَـن يمثـل النزعـة الإنسـانية في الشـعر الحديـث، فقـد خلـص شـعرهم عـلى ضرورة نـشر المبـاديء الإنسـانية بـين النـاس عـن طريـق الدعـوة إلى الإخـاء الإنسـاني وسـيادة العـدل والرحمـة والمحبـة والحريـة، ونبـذ الظلـم والاسـتبداد؛ ووصـل بهـم خيالهـم إلى تصـور عالـم مِـن الكمـال والمثاليـة، مـا زالـوا يتوقـون لمعرفتـه ويحنـون إليـه[394]، وقـد فاضـت قصائدهـم إنسـانية، ولكـن بأسـلوب فـاض هـو أيضـاً بالتجديـد والإبـداع، والقيـم النبيلـة[395].

فتعـددت مناحـي الأدب في المهجـر، وتنوعـت فنونـه، وطرقـت أغراضـه أبـواب الحيـاة المختلفـة، ونواحـي المجتمـع المتنوعـة، وخبايـا النفـس الإنسـانية وأسرار الطبيعـة، فأضـاف إلى رصيـد العربيـة ثـروة كبـيرة مِـن الشـعر والنثـر، تتجـلى في الكتـب الفلسـفية ودواويـن

(393) – إيليا أبو ماضي، المجموعة الكاملة، ص1023.

(394) – نادرة جميل سراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص 144 .

(395) – سليماني إيمان، النزعة الإنسانية في شعر رشيد أيوب، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات، جامعة أكلي أولحاج، الجزائر، 2013، ص1.

الشـعر، وروائـع القصـص والملاحـم. وكأننـا بهـم وقـد اتخـذوا مـن العالـم والمجتمـع أصدقـاء، وواجبهـم إرسـاء قواعـد البنـاء الاجتماعـي عـلى أسـس متينـة.

لذلـك نـرى مِـن الـضرورة بمـكان، أنْ نفـرد مبحثـاً منفصـلاً، لمفهـوم النزعـة الإنسـانية لـدى شـعراء المهجـر عامـة، قبـل أنْ نتنـاول مظاهـر وأبعـاد النزعـة الإنسـانية لدي شـعراء الرابطـة القلميـة – موضـوع الكتـاب –، حتـى لا نغفـل عـن أولئـك الشـعراء الذيـن هاجـروا مِـن ديارهـم إلى الأمريكتـين ( الشـمالية – والجنوبيـة )، بحثـاً عـن الحريـة والتسـامح الدينـي والإخـاء والمحبـة.

ومـا تـمّ إثباتـه في هـذا المبحـث مِـن شـعرٍ أو أسـماءٍ لشـعراء في مختلـف العصـور الأدبيـة فيمـا يخـص النزعـة الإنسـانية، لا يحسـب سـوى أنّـه مجـرد أمثلـة ونمـاذج لإبـراز النزعـة الإنسـانية وحضورهـا في مختلـف عصـور الأدب، إذ لا يـكاد يوجـد شـاعر أو أديـب إلا وقـد سـبح منطلقـاً نحـو مرافـئ الإنسـانية، إلّا أنّ هـذه النزعـة قـد تظهـر في شـعر بعضهـم أكثـر وضوحـاً وأعـلى منزلـة مِـن البعـض الآخـر.

## المبحث الثالث

# مفهوم النزعة الإنسانية لدى المهجريين

الأدب الإنساني هو الأدب الجديد باسم الفن والأدب، وإنّه الأدب الروحي الذي يسمو على الفوارق والحدود ويستغرق الحياة والوجود ويدعو إلى الحب المطلق للكون كله ولكل مَنْ مِنه وما فيه وقد نهض أدباء المهجر، وفي مقدمتهم شعراء الرابطة القلمية، بهذه الرسالة الإنسانية، وجندوا لها أرواحهم

وأقلامهم، فلقد نفذوا بتعاليم الشرق الروحية إلى مادية الغرب، فأثروا تأثيرهم البالغ في البيئات الأجنبية وغيرها، فيرى الشاعر المهجري فوزي المعلوف، أنّ الإنسانية ما هي إلا «شعور الإنسان مع الإنسان بكل ما في هذا التعبير مِن شمول... شعور الإنسان مع الحيوان والنبات، وأحياناً شعوره بدافع الألفة مع الجماد، وهذا العطف الذي يدفع الجنس إلى الحدب إلى جنسه يتعذر خلقه غالباً إلا في الإنسان»[396].

يقول جورج صيدح عن الإنسانية: «لقد عرفتها عن طريق ضميري ووجداني واكتفيت بذلك. إنّها في البدء شعور غريزي بقرابة تربطني ببني الإنسان، ويتضامن مع جميع خلق الله، وهي بعد ذلك عمل إيجابي وسعي صادق لخدمة البشرية، في حدود مواهبي وإمكاناتي»[397]؛ فصيدح يرى أنّ الإنسانية رابطة تضامن غريزية تضم جميع الخلق موصولين بصلة القرابة التي تدعو تبعاً للإحساس بها إلى العمل الإيجابي، مِن أجل الجميع في حدود الإمكانيات المتاحة للفرد الإنساني.

ويقول جبران: «الأرض كلها وطني، والعائلة البشرية عائلتي»[398]، ويقول أيضاً: «أحب مسقط رأسي ببعض محبتي لبلادي، وأحب بلادي بقسم مِن محبتي لأرض وطني، وأحب الأرض بكليتي لأنّها مرتع الإنسانية وروح الألوهية على الأرض»[399].

أمّا ميخائيل نعيمة فيقول: «أمّا أنا – فقسم الإنسانية الساكت – فما أدري، ولا يهمني أنْ أدري أين ولدت؟ أو ممن ولدت؟ لذلك لا وطن لي، ولو كان لي وطن لتبرأت منه فأنا ابن العالم الأوسع»[400].

ويقول الشاعر والناقد المهجري نظير زيتون: «الإنسانية عندي هي الشعور الكلي العميق المطلق بأنّ الإنسان واحد على اختلاف الألوان والسلالات والأوطان، وبأنّه

(396) – عزيزة مريدن ، القومية الإنسانية في شعر المهجر الجنوبي، ص461.

(397) – نظمي بديع ، أدب المهجر بين الأصالة وفكر العرب ، ص520 .

(398) – الأدب العربي في المهجر، مرجع سابق، ص 335.

(399) – جبران خليل جبران ، دمعة وابتسامة ، ط1، 2011، مؤسسة هنداوي ، القاهرة، مصر ، ص161.

(400) – ميخائيل نعيمة ، مذكرات الأرقش، ط1، 2018 ، مكتبة شغف ، فلسطين ، ص13.

أكرم المخلوقات وأشرفها وأسماها، وبأنّ أعماله وأقواله وأهدافه يجب أنْ تنبع مِن كرامته وشرفه، وعظمته وسموه، وهي الصفات التي تتمثل في العطاء يداً وقلباً وفكراً، والإصلاح بناءً وتنويراً وتحريراً، والإبداع روحاً وخلقاً وعملاً، والبطولة مروءةً وإحساناً وتسامياً، وهذا يعني أنّ الإنسانية بجوهرها وهدفها هي، إسعاد ذاتية النفس، وتلبية ندائها بإسعاد الآخرين»[401]؛ وبهذا الوضع يكون قد قرر نظير زيتون أنّ النزعة الإنسانية تكمن في إسعاد الآخرين المسعد للنفس، كما أنّ إشاراته إلى المساواة بين البشر، ووجوب العطاء لهم والإصلاح، لا تخرج عن المعاني التي جاءت بها جميع الرسالات السماوية.

وفي تمجيد هذه الروح الإنسانية لدى المهجريين، والتي تبغي حب الخير والنفع للناس أجمعين دون تمييز، يقول نَدْرة حداد في تعريفه للشاعر:

**هُوَ فِي الْحُبّ دَمْعَةٌ * لَيْتَهَا دَمْعَةُ الجَذَلْ**
**شَارَكَتْ كُلَّ ذِي ضَنًى * فِي ضَنَاه وذِي العِلَلْ**
**يَعْشَقُ الْغُصْنَ لَا لِحُسْنٍ * بِهِ بَلْ لِمَا حَمَلْ**[402]

وقد كانت اتجاهات النزعة الإنسانية، مِن محبة وإخاء ومساواة وغيرها، لدي أدباء المهجر، هي الأساس الذي شادوا عليه صروح الإنسانية، فبهذه العواطف النبيلة يعتقدون أنهم سيقضون على الجريمة في الأرض، وسينقلب الشقاء سعادة، ويعم الخير العالم بأسره، يقول الشاعر القروي:

**هُوَ الْحُبُّ حَتّى لَيْسَ فِي الأَرْضِ مُجْرِمٌ * وَلا دَمْعُ يَجْرِي عَلَيْهَا وَلا دَمُ**[403]

ويذهبون إلى أبعد مِن ذلك في عمق الشعور الإنساني؛ فهذا ميخائيل نعيمة يدعو إلى أنّ القاطع للصخر هو الأولى بسكنى القصر، والناسج للثوب أولى بارتدائه والزارع الحاصد أولى بأكل ناتج كدحه، فهم الأجدر بالإعظام والاحترام[404].

**يقول حسن جاد حسن، عن إنسانية المهجريين:**

«لقد أحبوا الوجود كله، وأحبوا كل ما في الوجود، ودعوا إلى المحبة والتعاون، وهتفوا بالإخاء البشري، وتغنوا بأفراح الإنسانية، وشقوا آلامها، ونقمواعلى شرورها ومظانها، وارتادوا آفاق التأمل والمعرفة لإسعادها، وقادوها إلى الحب والخير والسعادة والمساواة، وبشروا بالحياة المثالية النقية، وحاربوا العيوب والنقائص الاجتماعية،

(401) – نظمي بديع ، أدب المهجر بين الأصالة وفكر العرب، ص 523 .

(402) – ندرة حداد، ديوان أوراق الخريف ، طبعة نيويورك ، 1946، ص 98 .

(403) – رشيد سليم الخوري ، ديوان القروي، تحقيق د. عمر بهيج ، ط4 ، 2008، وزارة الأعلام ، لبنان ، ص827.

(404) – نظمي بديع ، أدب المهجر بين الأصالة وفكر العرب ، ص537 .

ورسموا الأهداف والمثل الرفيعة»[405]. تقول عزيزة مريدن: «نستطيع أنْ نكون على شبه اليقين أنّه ما مِن شاعر مِن شعراء المهجر لم تدفعه ربة شعره إلى التغني ببعض هذه القيم الإنسانية، أو بمعظمها»[406]، والباحث والمدقق في موضوعات النزعة الإنسانية لدى أدباء المهجر، يستطيع أنْ يردها إلى اتجاهين اثنين:

أولهما- تصوير الفضائل الإنسانية، والتغني بها تغنياً يصبح أنْ نسميه رومانسياً، لأنّهم إذا تحدثوا عن أية فضيلة كالجود والإحسان مثلاً، فإنّهم لم يعالجوها على أنّها مذهب مِن المذاهب المقننة، أو عقيدة مِن العقائد المتبلورة، وإنّما صوروها تصويراً عاطفياً جذاباً، وحببوا الناس بها لأنّها غاية إنسانية، يسعد بها البشر جميعاً.

ثانيها- دعوة شبه عقائدية، مبنية على أسس إنسانية، وحقوق بشرية عامة لا بد للناس كلهم مِن التمتع بها على اختلاف أجناسهم وألوانهم ومذاهبهم وأوطانهم، كالحق في الحرية والعدالة، والمساواة والسلام، ويضاف إلى هذه الدعوة تمجيد القيمة الإنسانية ؛ وتقديم الإنسان على قدر ما تتمثل فيه هذه الفضائل بصرف النظر عن وضعه الاجتماعي[407].

ولعلّ أبرز دلائل المحبة الكبيرة عند المهجريين وأجدرها بالذكر، هو هذا النداء الرقيق الحنون الذي أشاعوه في الأدب العربي، وهو «يا أخي» أو «يا رفيقي»، وهذا نداء يلمس شغاف القلب، فيحيله إلى شعلة مِن الحنان والمحبة، ويفعل فيه فعل السحر، وعن هذا النداء العاطفي في شعرهم، يقول عيسى الناعوري: «والشعر العربي في ماضيه الطويل كله، قبل ظهور المدرسة المهجرية، قلّ – أو ندر – أنْ عرف هذا النوع مِن النداء العاطفي الإنساني، الذي يشعر كل إنسان على وجه الأرض بأنّه أخ لنا حبيب في رابطة الإنسانية الكبرى[408]»؛ ومِن ذلك قول أبي ماضي:

**يَا رَفِيقِي أَنَا لوْلا أنْتَ مَا وَقّعْتُ لَحْنَاً**

**كُنْتَ فِي سِرِي لَمّا كُنْتُ وَحْدِي أتَغنّى**

والمتأمل في دواوين ومؤلفات أدباء المهجر يجد نزعة مِن التأمل والتصوف تغلب على أشعارهم وسطورهم، وتلوح مِن خلالها أرواحهم الهائمة ونفوسهم اليائسة الحزينة، ونلاحظ أنّهم لا يأبهون بهذه الحياة الدنيا وما فيها مِن لهو ومرح، فالمال عندهم

(405) حسن جاد حسن ، الأدب العربي في المهجر ، ص 336 .

(406) عزيزة مريدن ، القومية الإنسانية في شعر المهجر الجنوبي، ص 471.

(407) عزيزة مريدن ، القومية الإنسانية في شعر المهجر الجنوبي، ص 472 .

(408) المرجع السابق ، ص89 .

عـرض زائـل؛ ومِـن هنـا نجـد عندهـم الدعـوة إلى الجـود بالمـال وذم البخـل منثـورة في أبياتهـم الشـعرية وسـطورهم النثريـة، ولا عجـب أنْ يصـدر الجـود أو الدعـوة إلى الجـود عن قـوم طالمـا قاسـوا الحاجـة إلى الأجـواد وطالمـا عضهـم الفقـر بنابـه فأحسـوا مـع الفقـراء، وأصابهـم الدهـر بعذابـه فتألمـوا مـع المعذبـين في الأرض[409]؛ فهـا هـو إيليـا أبـو مـاضي سـئل مـرة عـن الكريـم، ومَـن هـو في نظـره؟ ومـا أوصافـه في عرفـه؟، فقـال:

إنّ الْكَرِيمَ لَكَالرّبيعِ تُحِبّهُ لِلحُسْنِ فِيه
وتَهِشُّ عِنْدَ لِقَائه ويَغِيبُ عَنْكَ فتشتَهيهْ
لَا يَرْتضِي أبداً لِصاحِبه الّذي لا يَرْتضِيهْ
وَإذَا اللّيالِي سَاعَفَتْهُ لَا يَدِلُّ وَلا يَتيه[410]

وكذلـك تتجـلى لنـا الإنسـانية عـلى أروعهـا في تصويـر الشـاعر القـروي لضعـف «غانـدي» المنتـصر بقـوة غصـن السـلام، وإنْ يكـن تصويـراً اسـتعملت فيـه ألفـاظ الحـرب والقـوة، التـي هـي مِـن مميـزات شـعر «القـروي»، إلا أنّـه يصـور نزعـة إنسـانية أصيلـة، فيقـول في قصيدتـه «الربيـع الأخـير»:

وَهَـلْ سَـمِعْتَ بِغَانـدِي إنّـهُ حَـمَلٌ * فِي الهِنـد ثَـارَ عَـلى الضّرغـامِ وانْتَـصرا
هَـزُّوا الحُسَـامَ فلـمْ يَجْفـلْ وَهـزّ لَهُم * غُصْنَ السّـلامِ فهَـزّ الْبحْرَ والجُـزرا[411]

وفي وصفـه لحبـة القمـح، هـو مِـن أعمـق المعانـي الإنسـانية النبيلـة، الدالـة عـلى صفـاء القلـب والـروح، فيقـول القـروي:

وَكأنّمَـا الشّـقُّ الّـذِي وَسْـطَهَا * لَـك قَائِـلٌ نِصْفِـي يَخـصُّ أَخَـاك[412]

كمـا تتجـلى الإنسـانية في قـول أمـين الريحانـي: «إنّ في تلـك الـذرى مِـن أزهـار الحـب الدائـم العميـم، وفي الحـب الدائـم العميـم تتـلاشى العصبيـات الدينيـة والقوميـة كلهـا، إنّ في تلـك الـذرى بـذرة مِـن بـذور الخـير الإنسـاني الأكـبر، وفي الخـير الإنسـاني الأكـبر تضمحـل الضغائـن، وتـزول الخصومـات في مشـارق الأرض ومغاربهـا، بـين الأمـم جمعـاء»[(413)]، وفي قـول وليـم كاتسـفليس: «مـا عمّـر الأكـوان إلا المحبـة، والقلـب إنْ لـم يسـع الدنيـا فهـو وعـاء صغـير، وإنْ لـم يفهـم أنغـام الكائنـات فهـو أوتـار ميتـة لا تحركهـا أغانـي الأرواح المتآخيـة. فليحـدث كل جُـرح في قلوبكـم جرحـاً[414].

(409) المرجع السابق ، ص 145 .

(410) إيليا أبو ماضي ، ديوان الخمائل، ص353 .

(411) حسن جاد حسن ، الأدب العربي في المهجر ، ص 431 .

(412) رشيد سليم الخوري ، ديوان القروي، ص820.

(413) عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 91 .

(414) أمين الريحاني وآخرون، ما وراء البحار، ط1، 0202 ، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ص 96.

وبهـذه الـروح الواسـعة اصطبـغ أدب المهجريـين، فجـاء تعبـيراً سـامياً عـن نـوازع إنسـانية رحيبـة، وتصويـراً لحياة إنسـانية شـاملة.

وهكـذا نـرى آداب المهجـر قـد امتـازت باتسـاع المـدى، وبالعمـق والعلـو، كمـا يقـول ميخائيـل نعيمـة في كتابـه «الغربـال»: «وقـد اتسـع أفـق إنسـانيتهم حتـى شـمل الوجـود بـأسره: نباتـه، وحيوانـه، وجمـاده»[415]؛ فهـم يـرون الجمـال في كل شيء، حتـى في «الـدودة»، فـيرى ميخائيـل نعيمـة أنّهـا ليسـت أقـل شـأناً مِـن العقبـان والنسـور، ولا هـي دميمـة في عـين الحيـاة، ثُـمّ هـي لا تعـرف الفـروق: فـلا التـبر عندهـا أغـلى مِـن الـتراب، ولا المـاس مِـن الحجـارة؛ فلقـد تسـاوت بـذرة الحيـاة التـي يعـبر عنهـا نعيمـة «بوحدانيـة الحيـاة التـي جوهرهـا واحـد لا يتغـير»، في كل كائـن حـي[416]، فقـد اتخـذوا مِـن الأدب «رسـالة إنسـانية» مثاليـة، تتعـالى عـلى سـائر الفـروق والنزعـات الإقليميـة والطائفيـة والقوميـة والدينيـة»[417]، فـالأدب المهجـري اسـتطاع التعبـير بصـدق عـن القضايـا الإنسـانية النبيلة، واسـتطاع أصحابـه أنْ يؤسسـوا دعائـم النزعـة الإنسـانية في أدبنـا الحديـث.

(415) عيسى الناعوري أدب المهجر، ص91 .

(416) المرجع السابق ، ص92.

(417) المرجع السابق، ص190.

# الفصل الرابع

# مظاهر النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

## الحنين إلى الأوطان

المبحث الثاني

## التسامح الديني

المبحث الثالث

## الإخاء والمساواة

المبحث الرابع

## التفاؤل والتشاؤم

## المبحث الأول

# الحنين إلى الأوطان

حين ارتحل شعراء المهجر من وطنهم الشام إلى أمريكا مرغمين – في أغلب الحالات – ترك هذا الرحيل جُرحاً في قلوبهم ومشاعرهم، وخلق لهم آلاماً ومعاناة مستمرة، إذْ تركوا الأرض التي نشأوا فيها، وفارقوا الأهل والأحبة إلى عالم جديد، وانتقلوا إلى حياة تختلف كل الاختلاف عمّا ألفوه في أوطانهم

التي تركوها وراءهم، حيث كانت حياتهم مهددة سياسياً ودينياً واقتصادياً؛ تركوها تئنُّ تحت وطأة الظلم والتعسف وقلة المال وفساد الأحوال، ممّا جعل قلوبهم معلقة بها، تريد الاطمئنان على حالها وحال مَن فيها مِن الأهل والأصحاب[(418)]. وارتبط الحنين إلى الأوطان في شعر المهجريين، بكرامة الإنسان واعتزازه، وكانت الغربة عن الوطن همّاً شديداً، ويروى أنّه قيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الأخوان، وقيل: فما الذُّل؟ قال: التّنقُّل في البلدان والتَّنحِي عن الأوطان[(419)] ؛ فها هو الشاعر الحمصي «نسيب عريضة» يناجي بلدته أم الحجارة السود (حمص)، ويحن إليها رغم المسافات الشاسعة البعيدة التى تفصله عنها، مقيد بترابها يتمنى لو يعود إليها ولو كان في طيات الكفن، فيقول:

**بَلَدُ الهُدَى أحْجَارُهَا سُودٌ نَعَم للهِ دَرُّ سَوَادِكِ المـَعْبُوِد**
**الذّكْرَيَاتُ وقَدْ بَرَزْنَ عَلانِيـة نادَيْن عَنْكِ بحَسْرَةِ المَطـْرُوُدِ**
**يَا حِمْصُ يَا بَلَدِي وأرض جُدُوْدِي**

إلى أنْ يقول:

**عُـدْ بِـي إلَى حِمْصٍ ولَـوْ حَشْـوَ الكَفَنِ * واهْتِــفْ أَتَيْــتُ بِعَاثِــرٍ مَــرْدُودِ**[420]

أما رشيد أيوب يقول عن لبنان:

**مَغَــانٍ شَـدَوْتُ الأَمْــسَ حُبّــاً بِذكْرِهَــا * فَأصْبَحْــتُ أَبْكِي اليَـومَ تِلْـكَ المَغَانِيا**[421]

أمّا الشاعر الحمصى الآخر نَدْرة حداد، فيحن إلى نهر العاصي حنيناً يذكره لا بهذا النهر فحسب، بل بشقيقيه الآخرَيْن اللذين يعاونانه في ريّ البلاد السورية فيتحدث عن هذه الأنهار قائلاً:

(418) أمين صالح، الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني، ص129.

(419) يحيي الجبوري ، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص9.

(420) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص256.

(421) رشيد أيوب ، الأعمال الكاملة ، تقديم د. ميشال جحا، ص218.

**ثَلاثةٌ مِنْ مَنْزِلٍ وَاحد**
**أَبْنَاءُ شَيْخٍ والـدٍ مَاجد**
**مِنْ سَفْحِ ذَاكَ الجَبَلِ الخالِد**
**مضَوْا لِيسْقُوا بُقْعَةً زَاهِية**[422]

وواضـح أنّ هـذه الأنهـر الثلاثـة التـي يذكرهـا الشـاعر هـي: نهـر «العـاصي» الـذي يـروي مدينـة حمـص ومـا حولهـا مِـن ريـاض، ونهـر «البردونـي» الـذي يسـير في سـهل البقـاع مـارّاً بمدينـة زحلـة الشـهيرة في لبنـان، وأنّ ثالـث الأنهـار فهـو نهـر «بـردى» غوطـة دمشـق الفيحـاء.

وبالعـودة للشـاعر اللبنانـي «رشـيد أيـوب»، فنجـده يفصـل في مغانـي لبنـان وأماكنـه الجميلـة التـي يحمـل لهـا ذكريـات كثـيرة، ولا عجـب أنْ يهيـج ذكـر لبنـان عنـده عاطفـة الشـوق والتـذكار، فيقـول:

**أَلا لَيْـتَ شِـعْرِي هَـلْ غديـرٌ أحبُّـهُ * تَعَلّمْـتُ مِنْـه النـوْحَ مـا زال جَارِيـا**
**وَهَـلْ ذَلِـك الْـوَادِي الّـذِي بِشِـمَالِهِ * تَرَعْرَعـتُ حُـرّاً يذكـرُ اليـومَ نَائِيـا**
**وَهَـلْ نَسَـماتٌ عنْـدَ صِنّـينَ لـم تـزَلْ * مَيْمَنـةً تَـدْري بِحَـالِي ومَـا بِيَـا**[423]

وإذا طالعنـا كتـاب «النبـي» لجـبران نلاحـظ أنّـه ليـس سـوى تعبـير عـن حنـين جـارف، فالمصطفـى الـذي قـضى في مدينـة أورفليـس اثنتـي عـشرة سـنة يترقـب عـودة سـفينة ليركبهـا عائـداً إلى الجزيـرة التـي ولـد فيهـا، هـو نفسـه جـبران الـذي عـاش في مدينـة نيويـورك، وفي قلبـه حنـين حـار إلى القريـة التـي ولـد فيهـا (بـشرى)، وعـودة النبـي إنْ هـي إلا أمنيـة روح «جـبران» في الرجـوع إلى قريتـه[424].

إنّ الحنـين إلى الأوطـان ليـس جديـداً عـلى الأدب العربـي، ولكـن جدتـه في أدب المهجـر تظهـر أولاً في أنّـه ظاهـرة شـائعة لـم تعهـد مِـن قبـل في أدب العـرب حيـث كان مجـرد ومضـات خاطفـة، ولمحـات قليلـة، تبـدو عنـد بعـض الشـعراء. وثانيـاً في عمقـه وحرارتـه، وصدقـه وقوتـه. وثالثـاً في رقتـه العاطفيـة، وجرسـه السـاحر المؤثـر.

يقـول حسـن جـاد حسـن معلـلاً ظاهـرة الحنـين للأوطـان في شـعر المهجريـين: «وإنّمـا يرجـع ذلـك إلى أنّ الشـاميين قـد خلفـوا وراءهـم أوطانهـم بمـا فيهـا مِـن جمـال الطبيعـة، وسـذاجة الحيـاة، وسـكينة النفـس، وروحانيـة الـشرق إلى جانـب مـا يصطـرع فيهـا مِـن ظلـم وفسـاد»[425].

(422) نادرة جميل سّراج، شعراء الرابطة القلمية، ص 213.

(423) الأعمال الكاملة لرشيد أيوب ، مرجع سابق، ص240.

(424) ينظر: جبران خليل جبران ، كتاب "النبي"، ترجمة أنطونيوس بشر، ط1، 2017، مؤسسة هنداوى ،القاهرة .

(425) حسن جاد حسن ، الأدب العربي في المهجر ، ص381.

ويرافـق الحنـين إلى الوطـن عنـد شـعراء «الرابطـة القلميـة» وشـعراء المهجـر جميعـاً نغمـات أُخـر فيهـا عنـف ورقـة، وفيهـا اضطـرام وإثـارة؛ تلـك هـي نغمـات الوطنيـة والقوميـة، فهـم يتألمـون وتثـور لواعجهـم لمـا تعانيـه أوطانهـم مِـن أنـواع العبوديـات: العبوديـة للمسـتعمر البغيـض، والعبوديـة للجهـل وللتفرقـة الاجتماعيـة، بـين أبنـاء الوطـن الواحـد[426].

فالشـاعر المهجـري يعـبر عـن إحسـاس قومـه ومشـاعرهم، مثلمـا يعـبر عـن إحسـاس نفسـه ومشـاعرها، وأنّ الأحـداث التـي تمـر في وطنـه الأم تـترك صـدى عميـق في قلبـه وشـعره، فهـا هـو ميخائيـل نعيمـة تهـزه مجاعـة لبنـان، فتختلـج عاطفتـه الوطنيـة بهـذه الأنّـات الداميـة، فيقـول:

**فَلا تَهْزج لِمَن سادُوا ولا تَشْمت بِمَنْ دَانَا**

**بَلْ ارْكَعْ صَامتاً مِثْلِي بِقَلْبٍ خَاشِعٍ دَام**

**لِنَبْكِي حظّ مَوْتَانا**

**فَلا تَطلُبْ إذا مَا عُدْتَ للأوْطَانِ خلّانا**

**لَأنّ الْجُوعَ لَمْ يَتْرِكْ لَنَا صَحْبَاً نُنَاجِيهم**

**سِوَى أشْبَاح مَوْتَانا**[427]

فمـا سـقطت دمعـة مِـن مواطـن عربـي – في الوطـن الأم – إلا وسـالت أغنيـة حزينـة في مقطوعـة شـعرية لشـاعر مهجـري، ومـا زف حزيـن وتـأوه في المـشرق العربـي إلا وكان لآهتـه وزفرتـه صـدى عميـق مؤثـر في الشـعر العربـي[428].

ونلاحـظ أنّ مأسـاة فلسـطين احتلـت حيـزاً كبـيراً في الشـعر العربـي الحديـث؛ بدلالتهـا العميقـة، ومـا تحملـه مِـن أبعـاد دينيـة وعربيـة؛ فكانـت المنطلـق الأوّل الـذي ينطلـق مِنـه كل شـاعر عربـيّ، وفي رأي أغلـب الدارسـين أنّ القضيـة الفلسـطينية كانـت أكـبر دافـع للتطـور والتجديـد في الشـعر العربـي الحديـث[429].

وشـعراء المهجـر– رغـم بعدهـم–، لـم يكونـوا بمعـزل عـن تلـك المأسـاة، وعـن تلـك القضية المهمـة التـي شـغلت إذهـان العـرب والمسـلمين، بإعتبـار أنّ فلسـطين جـزء أصيـل مِـن الوطـن العربـي؛ فتناولوهـا بألـم شـديد، وحـزن عميـق، وكانـوا يسـعون ليميطـوا اللثـام

(426) عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص82 .

(427) ميخائيل نعيمة ، ديوان همس الجفون ، ص14 .

(428) محمد عبد المنعم خفاجي ، قصة الأدب المهجري ، ص 335 .

(429) ينظر: نكبة فلسطين في الشعر المغربي الحديث، مجلة دعوة الحق، العدد104، المغرب، يناير2013.

عن المؤامرات التي يضمرها اليهود للعرب، يقول أبو ماضي في قصيدته «فلسطين»:

فَخَطْبُ فِلسْطينَ خُطْب العلي * وَمَا كَانَ خطبُ الْعلي هيّنا
سَهِرْنا لَهُ فَكَانَ السّيُوفُ * تَحِزُّ بِأكْبَادِنا هَا هُنَا
وكَيْف يزورُ الكَرى أعيُناً * تَرى حَولَها لِلرَدى أعيُنا
وَكَيْفَ تَطيبُ الحَياةُ لِقومٍ * تُسَدُّ عَليهم دُروبُ المُنى
بِلادَهُم عُرْضَةً لِلضَياعِ * وَأُمَّتُهُم عُرْضَةً لِلفَنا

ويقول فيها أيضاً:

فَليْسَتْ فِلسْطِين أَرْضَاً مُشَاعَاً * فَتُعْطَى لِمَنْ شَاءَ أنْ يَسْكُنَا
فَإِنْ تَطْلُبوهَا بِسَمرِ القَنَا * نَرُدّكمُ بِطِوَالِ القَنَا
وإنْ تَهْجرُوهَا فذَلِك أَوْلَى * فإنّ «فلسطين» مِلْكٌ لَنَا[430]

ويتدفق الحنين إلى الأوطان في دواوين شعراء «الرابطة القلمية» دون انقطاع، فها هو «إيليا أبو ماضي»، إذ ما تكاد تتقادم به الأيام، وهو في مغتربه حتى تهيجه الذكريات في عاطفة إنسانية نبيلة إلى وطنه «لبنان»، فيحن إليه حنيناً صامتاً حيناً، ثائراً أحياناً، وأصبح يرى حياته في أمريكا جحيماً لا يطاق، فيقول:

نَأَى عَنْ أرْضِ مِصْرَ حَذَارَ ضَيْمٍ * فَفَرَّ مِنَ الْعَذابِ إِلَى الْعَذَابِ[431]

حتى إذا رأى باخرة متجهة إلى بلده حمّلها سلاماً وتشوّقاً وحنيناً ونداءً حارّاً فيه عاطفة وصدق ووفاء:

بَيْرُوتُ يَا بِنْتَ الْبِحَارِ الْجَارِيَةْ * فَإِذَا سُئِلْتِ مِن البَقَايَا البَاقِيةْ
قُولِي لَهُمْ: إنَّ الحَيَاةَ الهَانِيَة * لَمْ تَنْسَنَا سُكَّانَ تَلكَ النَّاحِيَةْ[432]

ولا يكتفي بذلك بل ينسب فضل تكوينه وخلقه لوطنه، فيقول:

بَنِي وَطَنِي! مَنْ أنَا فِي الْوجُودْ
وَمَا هُو شَأنِي ومَا هُو مَوْضِعِي
وَلوْلاكمُ لَمْ أَكُنْ بِالخَطِيبْ
وَلا الشَّاعِرِ السّاحِرِ الْمُبدِعْ[433]

---

(430) أبو ماضي ، ديوان الخمائل ، ص378.

(431) ديوان إيليا أبي ماضي، ج2، ص65.

(432) المرجع السابق، ص65.

(433) المرجع السابق، ص94.

ففـــي هـــذه الأبيـــات نلاحـــظ أنّ أبـــا مـــاضي، يكـــرّم وطنـــه لأنّ لـــه الفضـــل الأوّل في خلقـــه وتكوينـــه، وتشـــع وطنيتـــه القويـــة مِـــن حيـــث اعتبـــار وطنـــه ســـاهم في وجـــوده، كمـــا الأب ســـبب لوجـــود الابـــن.

ومِـــن أجمـــل حنـــين أبـــي مـــاضي، وأصدقـــه وأكثـــره حـــرارة قصيدتـــه، «أمنيـــة مهاجـــر» بنغمة تفيـــض ألمـــاً ومـــرارة مِـــن المهاجـــرة والبعـــد عـــن الأهـــل والوطـــن؛ إذْ نلاحـــظ في هـــذه القصيـــدة « أمنيـــة مهاجـــر»، اللّهفـــة الحـــارة ونـــدم الشـــاعر عـــلى البعـــد عـــن الوطـــن والأهـــل، وأنّـــه في «نيويـــورك» بجســـمه فقـــط، أمّـــا روحـــه فهـــي في الـــشرق عـــلى تلـــك الهضـــاب، فيقـــول فيهـــا:

**جُعْـــتُ والْخُبْـــزُ وَفـــيرٌ فِي وَطَابِـــي * والسّـــنا حَـــوْلِي وَرُوحِـــي فِي ضَبَـــابِ**

**وَشَرِبْـــتُ المَـــاءَ عَـــذْباً سَـــائِغاً * وكَأنَّـــي لَـــمْ أَذُقْ غَـــيْر سَرَابِ**

**أَنَـــا فِي نِيُويُـــرْكَ بِالْجِسْـــمِ وبِالـــرُّوحِ * فِي الـــشَّرْقِ عَـــلَى تِلْـــكَ الْهِضَـــابِ**[434]

وإذا أمعنـــا النظـــر في نمـــاذج شـــعر الحنـــين إلى الأوطـــان عنـــد شـــعراء «الرابطـــة القلميـــة» نلاحـــظ أنّ الحنـــين والشـــوق يســـير عندهـــم في اتجاهـــين اثنـــين:

الأوّل- اتجـــاه يرتبـــط بتذكُّـــر الأهـــل والأقـــارب والأحبـــة الذيـــن تركوهـــم هنـــاك، وتذكـــر تلـــك الأيـــام الجميلـــة واللحظـــات المرحـــة في الطفولـــة، التـــي كانـــت ذات أثـــر طيّـــب في نفوســـهم، والســـعادة التـــي كانـــوا يشـــعرون بهـــا هنـــاك.

الثانـــي- اتجـــاه يرتبـــط بتذكُّـــر المـــكان وجمـــال الطبيعـــة بمـــا فيهـــا مِـــن غابـــات وأنهـــار وفواكـــه وهـــواء وســـماء، وغيرهـــا.

وإنّ كلا الاتجاهـــين يمثـــلان نزعـــة إنســـانية نبيلـــة تمتـــاز بالرقـــة والصفـــاء والحنـــين الجـــارف، وأنّ اتجاههـــم كان وطنيـــاً خالصـــاً كمـــا يقـــول دكتـــور صابـــر عبـــد الدايـــم في كتابـــه «أدب المهجـــر»: « ... فأدبـــاء الرابطـــة القلميـــة كان اتجاههـــم وطنيـــاً»[435].

نجـــد أنّ ارتبـــاط شـــعراء الرابطـــة القلميـــة بأوطانهـــم وحبهـــم لهـــا، وتمســـكهم بهـــا، ظاهـــرة إنســـانية شـــائعة في شـــعرهم، وملازمـــة لهـــم، هـــذا مـــا لاحظـــه الباحـــث في دواوينهـــم الشـــعرية، وكتاباتهـــم الأدبيـــة؛ فالوطـــن عندهـــم ليـــس مـــكان الميـــلاد والذكريـــات فحســـب، لكنـــه لحظـــة عشـــق يختارهـــا الإنســـان حتـــى المـــوت[436]؛ فهـــا هـــو نســـيب عريضـــة لـــه نفســـان، نفـــس رهينة الوطـــن وأخـــرى رفيقـــة الاغـــتراب، وهـــذا يـــدل عـــلى شـــدة حنينـــه وولعـــه بوطنـــه الـــذي هجـــره آمـــلاً تحقيـــق أمانيـــه وآمالـــه في العالـــم الجديـــد، وكل ذلـــك لـــم ينســـه الربـــوع، فيقـــول:

---

(434) ديوان إيليا أبي ماضي، ج2،ص125.

(435) صابر عبد الدايم، أدب المهجر، ط1 ، 1993، دار المعارف، مصر،ص51.

(436) محمد موسى البلولة، الاغتراب والحنين في الشعر المهجري، ص254.

أَنَــا المَهَاجِــرُ ذُو نَفسَــينِ واحِــدةٌ * تَسِــيرُ سَــيرِي وَأُخــرَى رَهــن أَوْطَانِــي
ابْــنُ العُرُوبَــةِ لَا أَســلُو الرُّبــوعَ وَلَــو * كَانَــتْ مثــيرةَ أوصَابِــي وَأَشْــجَانِي
مَــا إِنْ أُبَــالِي مَقَامِــي فِي مَغَارِبِهَــا * وفِي مَشَــارِقِهَا حُبّــي وَإيمَانِــي[437]

وهكـذا نـرى أنّ الحنـين في شـعر شـعراء «الرابطـة القلميـة» يرتبـط ارتباطـا وثيقـاً بالغربة، التـي صهرتهـم بمرارتهـا، وقسـوة الحيـاة فيهـا؛ ممـا فتـق أذهانهـم، وألهـب مشـاعرهم، فصـاروا يعيشـون بأجسـادهم في الغـرب، وأفكارهـم قـد أصبحـت وقفـاً عـلى أوطانهـم في الـشرق، وصـدق دكتـور نظمـي بديـع حـين يقـول: « أعطنـي غربـة أعطـك حنينـاً»[(438)]. ونلاحـظ كثـيراً مـا يذكـر شـعراء «الرابطـة القلميـة» أسـماء أوطانهـم (لبنـان وسـوريا) في شـعر الحنـين، يقـول أبـو مـاضي مشـتاقاً إلى وطنـه لبنـان، وإلى صيفـه، وشـتائه، وهضابه، وثلجـه:

اثنَــان أَعْــيَا الدّهــرَ أَنْ يُبْلِيهمــا * لُبْنَــانُ وَالأَمَــلُ الّــذي لِذَوِيــهِ
نَشــتَاقُهُ والصَّيــفُ فَــوْقَ هَضَابِــهِ * ونُحِبُّــهُ والثَّلــجُ فِي وَادِيــهِ
وَطَنِــي سَــتَبْقَى الأَرْضَ عِنْــدِي كُلّهَــا * حَتَّــى أَّعُــودَ إِلَيــهِ أَرض التّــيهِ[439]

وقصيـدة «حنـين» للشـاعر رشـيد أيـوب خـير شـاهد عـلى حبـه وحنينـه إلى لبنـان، يقـول فيهـا:

فَحَنِــينٌ وأنــينٌ وَزَفِيــرٌ * ذَاكَ دَأبِــي مُنــذ وَدَّعْــتُ البِــلاد
كِــدْتُ مِــنْ شَــوقِي لِلُبنَــان أَطِــيرُ * حَبّــذَا لَــو تَــمَّ لِي نَيْــلُ المُــرَاد[440]

ونجـدُ أنّ شـعراء وأدبـاء المهجـر الجنوبـي أيضـاً قـد ذكـروا أسـماء أوطانهـم التـي هاجروا مِنهـا في أشـعارهم وكتاباتهـم، فالشـاعر القـروي (رشـيد سـليم الخـوري) يـذوب عشـقاً وشـوقاً وحنينـاً إلى وطنـه (لبنـان)، ولا يشـتهي إلا أنْ يعـود إليـه، فيقـول:

لَعَيْنَيــك يَــا لُبْنَــانُ أَنْقَــى تَحِيــةٍ * يَطِــيْرُ بِهَــا الأَحــرَارُ مِــن وَطَــنٍ حُــرّ
أذُوبُ إلى مَــرْآك شَــوْقاً كَأَنَّنِــي * أزيــدُ بِقُرْبِــي مِنْــكَ هَجْــراً عَــلى هَجْــرِ
فَــلَا أَشْــتَهِي مِــن مَائِــكِ العَــذْبِ قَطْرَةً * وَإِلّا هَمَــت مِــن مُقْلَتَّــي عَلَى ثَغْــرِي[441]

وقـد جسـد حـب الحنـين لـدى شـاعرنا إيليـا أبـو مـاضي الكيـان المعنـوي للوطـن، فجعلـه

(437) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص139.

(438) نظمي بديع، أدب المهجر بين الأصالة وفكر الغرب، ص543.

(439) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 591.

(440) رشيد أيوب ، ديوان الأيوبيات ، ط نيويورك ، 1916. ص177.

(441) – القروي رشيد سلسم الخوري، الأعمال الكاملة (الشعر): ط1، 1992، جروس برس للنشر، لبنان ، ص 220.

أرضاً هـي في نظـره أمنـع أرض، وسـماءً هـي في عقيدتـه أرفـع سـماء، وربوعـاً في إحساسـه أعظـم ربـوع، وناسـاً هـي أكـرم عشـيرة عليـه، وغـير ذلـك مِـن المعانـي الإنسـانية السـامية النبيلـة النابعـة مِـن نفـس ملؤهـا الحنـين الصـادق، والعاطفـة الجياشـة، وقـد سـاق تلـك المعانـي في أبيـات قصيدتـه «تأمـلات» التـي يحـن فيهـا إلى ربـوع سـوريا ولبنـان، فيقـول فيه :

**الأَرْضُ سُـورِيَا أَحِـبُّ رُبُوعَهَـا ** عِنْـدِي وَلُبْنَـان أَعَـزُّ رُبُوعَـهَا**

**وَالنَّـاسُ أَكْرَمُهُـم عَـلَيّ عَشِـيرُهَا ** رُوحِـي الفِـدَاءُ لِرَهْطِهَـا وَلِآلِهَـا**[442]

وقـد ارتـاح المهجريـون مـن شـعراء «الرابطـة القلميـة»، للحديـث غـير المبـاشر عـن الوطن، ووجـدوا في الرمـز مجـالاً أوسـع لخيالهـم مِـن مجـال الحقيقـة؛ عـلى أنّ الشـعر الـذي قالـوه في الحنـين مبـاشرة قـام عـلى الصـدق والبسـاطة، وجـاء شـعراً مؤثـراً جميـلاً، غـير أنّهـم لـو وقفـوا عنـده واكتفـوا بـه، لمـا كان لهـم هـذا الشـأن؛ ومِـن ذلـك مـدى تجسـم الغـاب والطبيعـة بـكل أشـكالها وألوانهـا في شـعرهم، وكل ذلـك قائـم عـلى نـوع مِـن الحنـين المثـالي[443]؛ فمثـلًا قصيـدة «المواكـب» لجـبران الـذي خـصَّ وطنـه الأم (لبنـان) بجـزء خـاص مِنهـا، ففيهـا يتخيـل نفسـه بـين أحضانهـا يعانـق جبالهـا ويحتضـن روابيهـا:

**هَلْ تخَذْتَ الْغَابَ مِثلِي مَنزلاً دُونَ الْقُصُورْ**

**فَتَتبعْتَ السّـواقِي وتَسَلقْتَ الصّخورْ**[444]

والحنـين إلى الوطـن والبـكاء عـلى فراقـه ظاهـرة إنسـانية عامـة، لا يسـتطيع المـرء التخـلي عنهـا، مهمـا بلـغ رقيـه الحضـاري وتطـوره المـادي وسـموه الروحـي[445]؛ فقـد صـور القـرآن الكريـم ظاهـرة حـب الوطـن والتمسـك بـه تصويـراً دقيقـاً حـين جعـل الخـروج مِـن الديـار وقتـل النفـس متسـاويين، فيقـول اللـه تعـالى: {وَلَـوْ أَنَّـا كَتَبْنَـا عَلَيْهِـمْ أَنِ اقْتُلُـواْ أَنفُسَـكُمْ أَوِ اخْرُجُـواْ مِـن دِيَارِكُـم مَّـا فَعَلُـوهُ إِلاَّ قَلِيـلٌ مِّنْهُـمْ وَلَـوْ أَنَّهُـمْ فَعَلُـواْ مَـا يُوعَظُـونَ بِـهِ لَـكَانَ خَـيْراً لَّهُـمْ وَأَشَـدَّ تَثْبِيتـاً}[446]، وكان الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم كثـير الحنـين إلى وطنـه «حتـى إنّـه إغرورقـت عينـاه بالدمـوع، حـين لاحـت لـه بيـوت مكـة عنـد الفتـح المبـين»[447]، وكذلـك كان الصحابـة رضـوان اللـه عليهـم يحنـون إلى ديارهـم؛ وهكـذا كان شـعراء المهجـر مشـدودين دائمـاً إلى الوطـن العربـي بربـاط روحـي متـين ويفخـرون

(442) ديوان إيليا أبي ماضي، ج2، جمعه وحققه وشرحه د. عفيف نايف حاطوم،ص70.

(443) إحسان عباس و محمد يوسف نجم، الشعر العربي في المهجر، ط3، 1982، دار صادر، بيوت، لبنان، ص117.

(444) جبران خليل جبران ، المجموعة الكاملة (الشعر): ط1، 1999، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص33.

(445) محمد الملا، الحنين في شعر الخليجيات، المجلة العربية، العدد550، يوليو2022، الظهران، السعودية، ص 41.

(446) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية66.

(447) ينظر: أعلام الهداية، المجمع العالمي ،ج1، إيران، 1381هـ ، ص180.

بالانتساب إليه؛ وما غاب الوطن لحظة عن ضمير شعراء المهجر، فهو ماثل دائم الحضور في ضمائرهم؛ وقد عبّر عن ذلك أبو ماضي في قصيدته «شبح» بقوله:

**لُبْنَانُ فِيْكُمْ مَاثِلٌ أنْ كُنْتُمْ**
**فِي مِصْرَ أَوْ فِي الْهِنْدِ أَوْ فِي الصّينِ**
**إنْ بِنْتُمُ عَنْهُ فمَا زَال الْهَوَى**
**يُدْنِيكُمُ مِنْهُ كَمَا يُدْنِينِي**
**وَحرَاكُكُم لِعُلائه وَسُكونَكُم**
**وإلى ثَراهُ حَنِينُكُم وَحَنِينِي**[448]

وتظل العودة إلى الوطن ومراتع الصبا ، وتذكر الأهل، أشياء تراود حلم كل شاعر من شعراء الرابطة القلمية ، فها هو الشاعر إيليا أبو ماضي مِن نفس القصيدة السابقة «شبح»، يقول:

**يَا شَاعِري قُلْ للأُلَى هَجَرُونِي * أنَا مَا نسيتكُمُ فَلا تَنْسونِي**
**مَا بالُكمْ طَوّلتمُ حَبْلَ النَّوى * يَا لَيْتَ هَذا الْحَبْلَ غَيْرُ مَتِينِ**[449]

فالقصيدة كما تبدو، رسالة أنشأها الشاعر إيليا أبو ماضي على لسان وطنه «لبنان»، إلى أبنائه، وتصور مدى تعلقهم بوطنهم الأم، وأنهم لا محال عائدون إليه متى ما سنحت الفرصة.

ولم يكتف شاعرنا أبو ماضي بذلك، بل يناجي البلاد العربية، فما هي إلا امتداد لوطنه، وهي على بعدها أقرب إلى قلبه مِن نيويورك، وشوارعها الساخبة، فها هو يناجي مصر ولبنان في قصيدته « عيد النُّهى»، قائلاً:

**وَطَنَانِ أشْوَقُ مَا أكُونُ إلَيْهِمَا * مِصْرُ التي أحْبَبتُهَا وبِلَادِي**
**وَمَوَاطِنُ الأرْوَاحُ يَعْظُمُ شَأنهَا * فِي النَّفْسِ فَوْقَ مَوَاطِنِ الأجْسَاد**[450]

وها هو رشيد أيوب؛ فذكريات وطنه وأهله، تهيج لواعج الشوق والهوى في نفسه، فيقول:

**يَا ثَلْجُ قَدْ هَيّجْتَ أَشْجَانِي * ذَكّرْتَنِي أَهْلِي بلُبْنَان**
**بِاللهِ عَنِّي قُلْ لإخْوَانِي * مَا زَال يَرْعَى حُرْمَةَ الْعَهْد**

(448) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص408.

(449) المرجع السابق ، ص405.

(450) إيليا أبو ماضي، ديوان الجداول، ط17، 1986، دار العلم للملايين، بيروت، ص129.

كَـمْ قَـدْ جَلَسْـتُ بِحُضْنِـه الهَـادِي * فَكأنّنِـــي فِي جَنّــةِ الخُلْــد[451]

وإذا نظرنـا نظـرة متأنيـة في دواويـن رشـيد أيـوب الثلاثـة – الأيوبيـات، أغانـي الدرويش، هـي الدنيـا – نلاحـظ مـدى تعلقـه بـأرض الوطـن، وتوقـه لمراتـع الصِّبـا، فقـد بكـى واسـتبكى، وجعـل روحـه معلقـة بوطنـه، فهـا هـو يقـف عـلى نهـر «الهدسـن» في مدينـة نيويـورك، قائـلاً:

تَذَكـرْتُ أوْطَانِـي عَـلَى شَـاطِئ النّهـر * فَجَاشـت لَهِيبُ الشّـوْقِ فِي مَوْضِعِ السِّر
وَأرْسَـلْتُ دَمْعَـاً قَـدْ جَنتْـهُ يَـدُ النَّـوَى * عَـليّ فَأمْـسَى فِي مُنْتَجِـبِ الْقَطْـر
أصُـوغُ القَـوَافِي حَالِيَـات نُحورهَـا * عَرائـس أبْـكَارٍ بَـرَزْنَ مِـنَ الْخِـدْر
فَـلا النّـارُ فِي صَـدْرِي تجَفـف أدْمُعِـي * ولا عَبراتِـي تطفِـئ النّارَ فِي صَـدْرِي[452]

والحـق الّـذي يقـال إنّ ولاء أدبـاء الرابطـة القلميـة، وحبهـم لوطنهـم الأم في أنْ يـروه حـراً قويـاً ناهضـاً، هـو الأمـر الـذي شـغل أفكارهـم، فـإنْ كان قـد فاتهـم شرف مقاومـة الظلـم والمسـتعمر، والدفـاع عـن سـائر المعوقـات الأخـرى لظـروف البعـد، فلـم يفتهـم شرف التعبـير بيراعهـم، يهاجمـون بـه المسـتعمر وكل المعوقـات بجـرأة نـادرة؛ فهـا هـو نسـيب عريضـة مِـن خلـف ذاك الخضـم البعيـد يُرسـل التّحايـا لــ «فلسـطين»، ويشـيد بجهـاد أهلهـا ضـد المسـتعمر البغيـض، فيقـول:

وَمِـن خَلْـفِ هَـذَا الخِضَـمِّ الْبَعِيـد * نُحيِيّـكِ بالدَمْعَـةِ الْمُـحْرِقة
جِهَـادُكِ أَوْرَى زِنَـادَ النُفـوسِ * فَطَـارَتْ شَـرَارَتُهَا مُبْرِقَـة
جِهَـادٌ مَـلأتِ بـهِ الخَافِقـينِ * فَضَاقَـتْ بـهِ القُـوَّةُ المُرْهِقَـة[453]

يقـول جـورج صيـدح: «وجـاءت الحـرب العالميـة الأولى بويلاتهـا وراح جمـال السـفاح ينـكّل بزعمـاء سـورية ولبنـان ويجـوّع الشـعب، فحالمـا تناهـت إلى المهجـر أخبـار هـذه الفظائـع هبـت الجـوالي إلى عقـد الاجتماعـات، وقـام الأدبـاء يسـتدرّون الأكـف لجـدة المنكوبـين، وفي طليعتهـم إيليـا أبـو مـاضي، قـال لمواطنيـه في نيويـورك:

يَـا لَهَـوْلِ الخَطْـبِ يَـا للفَادِحَـة * أُمّـةٌ تَفْنَـى وَأنْتُـم تَلْعَبُـون؟
أبْسِـطُوا أيْدَيَكُـم يَـا أغْنِيَـاء أبْغَـضُ * السّـحْبِ إلَى الصّـادِي الْجهَـام[454]

ونخلـص إلى أنّ شـعراء الرابطـة القلميـة وأدباءهـا، بالرغـم مِـن قسـاوة الحيـاة التـي

(451) رشيد أيوب، الأعمال الشعرية الكاملة، ط1، 2018، دار بيسان، بيروت، لبنان، ص212.

(452) رشيد أيوب، ديوان الأيوبيات، ص37.

(453) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص32.

(454) إيليا أبو ماضي،الأعمال الشعرية الكاملة، ص345.

عاشـــها كثـــير مِنهـــم في بـــلاد الغربـــة، لـــم ينســـوا أوطانهـــم؛ بـــل زادت تلـــك المعانـــاة مِـــن نغمـــات حنينهـــم إلى أوطانهـــم، وظلـــوا مرتبطـــين بهـــا بعوامـــل شـــتى، فهنـــاك طبيعـــة بلادهـــم الجميلـــة التـــي لـــم يكـــن مِـــن الســـهل عليهـــم نســـيانها والتـــي كانـــوا دومـــاً يحنـــون إليهـــا ويتمثلونهـــا في جمـــال الريـــاض وخريـــر الأنهـــار، وحفيـــف الأشـــجار وغنـــاء الأطيـــار؛ كمـــا قـــال أمـــير الشـــعراء، أحمـــد شـــوقي:

**وَطَنِـــي لَـــوْ شُـــغلْتُ بِالْخُلْـــدِ عَنْـــهُ * نَازَعَتْنِـــي إلَيْـــه فِي الْخُلْـــدِ نَفْـــسِي**[455]

(455) - أحمد شوقي، ديوان الشوقيات، ج2، ط1، 2012، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ص430.

## المبحث الثاني

# التسامح الديني

هاجر شعراء الرابطة القلمية إلى بلاد المهجر، حاملين معهم تلك النظرة المتمثلة في التعصب الديني والطائفي الذي عانوا مِن ويلاته في أوطانهم، وإذا بهم يجدون في بلاد المهجر تقديس الحرية في المعتقدات، فتسربت إلى قلوبهم هذه النظرة السمحة الواسعة إلى الدين، فتغنوا بهذه

السماحة الدينية والتي سرت في أعمالهم الأدبية ولونت مشاعرهم، وكانت الحرية الدينية مذهبهم، ولم يعرفوا التعصب الذي يحجب الحقيقة عن الإنسان).

يقول جبران خليل جبران: «خذوها يا مسلمين كلمة مِن مسيحي أسكن يسوع في شطر حشاشته ومحمداً في الشطر الثاني»، فزعيم أدباء المهجر الشمالي «جبران» فقد تميز بتسامح ديني ظاهر، وما ذكر المعبد في كتاباته إلا ذكر المسجد، وما ذكر الهيكل إلا ذكر المحراب؛ فقد دعا إلى نبذ العصبية الطائفية والفرقة على أساس اختلاف الدين[456]، يقول في قصيدته « المواكب»:

**وَالدّينُ فِي النَّاسِ حَقْلٌ لَيْسَ يَزْرَعُهُ ❋ غَيْرُ الأُولى لَهُمُ فِي زَرْعِهِ وَطَر**

**فَالقَومُ لَوْلا عِقَابُ الْبَعْثِ مَا عَبَدُوا ❋ رَبّاً ولَوْلا الثَّوابُ الْمُرْتَجَى كَفَرُوا[457]**

وبهذا يكون جبران خليل جبران قد حمل لواء الثورة على التعصب والطقوس الدينية والمعتقدات ورجال الدين الذين زيفوا رسالة المسيح[458]، وهو الذي يقول: «أحبك يا أخي ساجداً في جامعك، وراكعاً في هيكلك، ومصلياً في كنيستك، فأنت وأنا أبناء دين واحد، هو الروح»[459]، وهو الذي يقول أيضاً: «كلنا ندين بدين التوحيد، كلنا نوحد الله ولا نرجع في النهاية إلى سواه .. نحن أبناء الأديان التوحيدية، أفلا ينبغي أنْ يكون الوطن كذلك واحداً»([460]). كما لجبران مقال بعنوان «رسالة إلى المسلمين مِن شاعر مسيحي»، ترى فيها ذلك التسامح الديني والحب العميق للدين الإسلامي وللمسلمين، ومما جاء فيها: «أنا مسيحي ولي فخر بذلك، ولكنّي أهوى النبي العربي، وأكبر اسمه، وأحب مجد الإسلام وأخشى زواله»[461].

(456) مرتضى بابكر أحمد، التسامح الديني لدى شعراء المهجر المسيحيين، مجلة النيل للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة وادي النيل ، السودان، م3،العددالأول، 2022، ص57.

(457) جبران خليل جبران ،المواكب، (د ط )، 2018، دار المؤلف للطباعة والنشر، لبنان، ص3.

(458) حسن جاد حسن ، الأدب العربي في المهجر ، ص402.

(459) المرجع السابق، ص403.

(460) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر ، ص402.

(461) المحميد محميد، صحيفة أخبار الخليج، العدد 15836، البحرين، أغسطس2021،ص9.

كمـا نـرى ميخائيـل نعيمـة يدعـو اللـه أنْ يجعـل قلبـه واحـة تسـقي القريـب والغريـب، يقـول في قصيدتـه « ابتهـالات» مِـن ديوانـه «هَمْـسُ الجُفـون»:

**كَحّلِ اللّهُمّ عَيْنِي**
**بِشُعَاعٍ مِن ضِيَاكَ**
**كَيْ تَراك**
**واجْعلِ اللّهُمّ قَلْبِي**
**وَاحَةً تَسْقِي الْقرِيبَ والْغَرِيبْ**
**مَاؤُهَا الإِيْمَان ، أمّا غَرْسُهَا**
**فَالرّجاءُ والْحُبُّ والصّبْرُ الطَّويلْ**[462]

وبهـذه الطريقـة نلاحـظ أنَّ شـعراء الرابطـة القلميـة يشـيعون التسـامح الدينـي بـين الإنسـانية جمعـاء، بغـض النظـر عـن دينهـم ومذاهبهـم ومعتقداتهـم. وكان مِـن نتائـج هـذه النظـرة الواسـعة إلى الأديـان بـين شـعراء الرابطـة القلميـة وشـعراء المهجـر عامـة، أنّنـا نجـد كثـيراً في دواوينهـم الشـعرية شـاعراً مسـيحياً يشـيد بالإسـلام وبمحمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم وصحابتـه الكـرام، كمـا نجـد شـاعراً مسـلماً يشـيد بالمسـيح عيـسى عليـه السـلام، وبمحبـة المسـيح وحبـه للسـلام، فهـذا رشـيد أيـوب، يقـول:

فمَنْ يا تُرى أعْلَى الوَرَى كَمُحَمَدٍ وَأرْفَعهم مَجْداً وأسْمِى مَناقِبَا[463]

ولميخائيـل نعيمـة مقـال في» الزهـد والزاهـدون « يذكـر فيـه قـول الإمـام عـليّ - رضي اللـه عنـه- في الزهـد في الدنيـا فيقـول: «وقـول الإمـام عـليّ، وهـو كذلـك قليـل مِـن كثـير: إنّ دنياكـم لأهـون عـليَّ مِـن ورقـة في فـم جـرادة تقضمهـا؛ مـا لعـليّ ونعيـم يفنـى، ولـذة لا تبقـى»[464].

وقـد بـيّن بعـض الباحثـين العوامـل التـي سـاعدت عـلى شـيوع روح التسـامح الدينـي بـين شـعراء المهجـر، ودفعتهـم إلى هـذا الانطـلاق في آفـاق الحريـة الدينيـة، منهـا:

1. معتقدهـم الدينـي، فقـد كانـت عقيـدة شـعراء المهجـر المسـيحية مِـن أهـم العوامـل التـي سـاعدت عـلى شـيوع روح التسـامح الدبينـي بينهـم، ففـي معتقدهـم الدينـي؛ عـلى الإنسـان أنْ يشـعر بجزئـه الإلهـي فيتعـالى بذلـك عـلى رغباتـه وشـهواته، ويرجـح روحـه عـلى جسـده، ويكبـح جمـاح نفسـه بالفضائـل، وفي الإنجيـل كثـير مِـن هـذه

(462) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص 36.

(463) رشيد أيوب ، ديوان الأيوبيات ، ص37 .

(464) محمـد خاقانـي ومحمـد رضـا عزيـز، المديـح النبـوي وبواعثـه في الشـعر المهجـري، مجلـة الجمعيـة العلميـة للغـة العربيـة وآدابهـا، إيران، ، العدد9، 2008، ص19 .

المعانـي، مِـن ذلـك: «سـمعتم أنـه قيـل تحـب قريبـك وتبغـض عـدوك، وأمّـا أنـا فأقـول لكـم أحبـوا أعداءكـم وباركـوا لأخيكـم وصلـوا الأهـل الذيـن يسـيئون إليكـم ويطردونكـم، لكـي تكونـوا أبنـاء أبيكـم الـذي في السـماوات»[465].

2. الحـب المسـيحي المصبـوغ بفلسـفة أفلاطـون، وتصـوف الغـزالي وابـن عربـي، ومثاليـة الفارابـي وابـن سـينا؛ فالتصفـوف عندهـم هـو حلقـة الوصل بـين المسـيحية والإسـلام.

3. كان شـعراء المهجـر يعتـبرون الإسـلام بعـداً روحيـاً وفكريـاً سـاهم في تكوينهـم النفسـي والعقـلي فضـلاً عـن كونـه رابطـاً قوميـاً، لـذا نراهـم يذكـرون الإنجيـل إلى جانـب القـرآن الكريـم، ومحمـداً صـلى اللـه عليـه وسـلم إلى جانـب يسـوع.

4. إعجابهـم بأبـي العـلاء المعـري، دفعهـم إلى هـذا الانطـلاق في آفـاق الحريـة الدينيـة، فهـم لا يكتمـون إعجابهـم بآرائـه ونزعاتـه الدينيـة وغيرهـا.

ومِـن مظاهـر ذلـك التسـامح الدينـي لـدى شـعراء الرابطـة القلميـة، تأثرهـم بآيـات القـرآن الكريـم، فكانـوا يعجبـون بهـا، ويقتبسـون منهـا ويستشـهدون ببعـض الآيـات الكريمـة في أشـعارهم، فنلاحـظ الشـاعر إيليـا أبـو مـاضي ضمّـن بعـض الألفـاظ القرآنيـة في أشـعاره – مثـلاً- في قولـه:

**سَرَى يَطْـوِي بِنَـا الأميَـالَ طَيّـاً * كَمَـا تطْـوِي السّـجِلَّ أوْ الإزَارا**
**فَلَـمْ نَـدْرِ وجُنْـحُ اللّـيلِ دَاجٍ * أَبَرْقـاً مَـا رَكِبْـنا أمْ قِطَـارا[466]**

فالكلمتـان: يطـوي والسـجل، تسـتدعيان الآيـة الكريمـة: {يَـوْمَ نَطْـوِي السَّـمَاء كَطَـيِّ السِّـجِلِّ لِلْكُتُـبِ كَمَـا بَدَأْنَـا أَوَّلَ خَلْـقٍ نُّعِيـدُهُ وَعْـداً عَلَيْنَـا إِنَّـا كُنَّـا فَاعِلِـينَ}[467]، كذلـك في قولـه:

**مَـا بَـال قَوْمِـي كُلّمـا اسـتَصْرَختُهم * وَضَعُـوا أَصّابِعَهُـم عَـلَى الآذَان[468]**

فّعجُـز البيـت مأخـوذ مِـن قولـه تعـالى: {وَإِنِّـي كُلَّمَـا دَعَوْتُهُـمْ لِتَغْفِـرَ لَهُـمْ جَعَلُـواْ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ...}[469].أيضـاً مِـن مظاهـر ذلـك التسـامح الدينـي، مـدح النبـي «محمـد» صـلى الله عليـه وسـلم وعـلى آلـه الكـرام، والإشـادة بالديـن الإسـلامي، ديـن الإسـلام وديـن التسـامح والحـب والإخـاء، والتغنـي بمجـد وتاريـخ الدولـة الإسـلامية، وبـث روح الإيمـان بالقوميـة

(465) إنجيل متى، الإصحاح الخامس، الآية 43-45.

(466) ديوان إيليا أبي ماضي، ج2، جمعه وحققه وشرحه د. عفيف نايف حاطوم، ص75.

(467) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية104.

(468) زهير ميرزا، إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر، ص270.

(469) القرآن الكريم، سورة نوح، الآية7.

العربيـة لتحـل محـل الانتمـاء الدينـي؛ بإعتبـار أنّ العروبـة وسـيلة مِـن وسـائل القضـاء عـلى التعصب الدينـي، فهـا هـو رشـيد أيـوب وقـد خلـص مِـن التعصـب جملـة، واتسـعت نظرتـه الدينيـة، يقـول:

**أُصَـلِّي لِمُـوسَى ، وأعبُـدُ عِيْـسَى * وَأَتْلُـو السَّـلامَ عَـلَى أَحْمَـدَ**[470]

أمّـا الشـاعر ريـاض معلـوف فنجـده يشـارك إخوانـه المسـلمين في الاحتفـال بعيـد المولـد النبـوي الشريـف، فيقـول مِـن قصيـدة عنوانهـا «وحّـد اللـه»:

**وَحِّـدْ اللـهَ فالْمُـؤذنُ وَحـّـدَ * وبِذكـرِ النَّبِـي فِي الْعيـدِ أنْشَـدْ**
**يَـا رَسُـولَ الأَنَـامِ أنْـتَ وَعِيـسَى * خَـيْرُ مَـنْ يُصْطفَـي ويُرجـى ويُقْصـدْ**[471]

إنّ احتـكاك المهجريـين بأقـوام يعظمـون الجامعـة الوطنيـة ويرفعونهـا فـوق التعصبـات الدينيـة، قـد أثـار في نفوسـهم عاطفـة النفـور مِـن التعصـب الدينـي وقادهـم إلى شيء مِـن الحريـة الفكريـة والدينيـة فدعـوا العـرب كافـة إلى نبـذ التعصـب الـذي يوقـع الأمـة في الهـوان والمذلـة، دعوهـم إلى التعـاون الوطنـي والتسـاهل في الأمـور والإعـراض عـن التفرقـة الدينيـة»[472]، يقـول الشـاعر «القـروي» في المهجـر الجنوبـي:

**شَـغَلْتُ قَلْبِـي بِحُـبِّ الْمُصْطَفَـى * وغَـدَتْ عُرُبَتِـي مَثَـلِي الأعْلَى وإِسْلَامِي**

مِـن هنـا نلاحـظ أنّ دعـوات التسـامح الدينـى ونبـذ التعصـب الطائفـي في مدرسـة المهجـر، ليسـت وقفـاً عـلى شـعراء الرابطـة القلميـة في المهجـر الشـمالي، فأيضـاً هـذه النزعـة الإنسـانية، كانـت متأصلـة لـدى شـعراء المهجـر الجنوبـي ولاسـيما شـعراء وأدبـاء (العصبة الأندلسـية)؛ فللشـاعر «إليـاس فرحـات» قصيـدة بعنـوان «يـا رسـول اللـه» تسـامى فيهـا بعيـداً عـن التعصـب الطائفـي والمذهبـي والدينـي، نَظَمهـا في مـدح رسـولنا الكريـم محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم، يقـول فيهـا:

**يَـا نَبِـيّ الأعْـرَابِ والإسْـلَامِ * عِيْـدَكَ الْيَـوْم بَهْجَـةُ للأنَـام**
**أنْـتَ يَـا صَاحِـبَ الْرِسَـالةِ فَخْـرٌ * أنْـتَ أهْـلٌ لِلمَـدْحِ والإكْـرَام**[473]

وله قصيدة أيضاً في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، جاء فيها:

(470) رشيد أيوب ، ديوان الأيوبيات ، ص 14 .

(471) رياض معلوف ، ديوان خيالات ، سان باولو ، البرازيل ، 1945 . ص46 .

(472) أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ص284.

(473) ديوان فرحات الجزء 1-3، منظمة جميل صفدي، سان باولو، البرازيل، 1954، ص65.

غَمَـــرَ الأرْضَ بِأنْـــوَارِ النُّبُـــوَّة * كَوْكَـبٌ لَـمْ تُـدْرِكِ الشَّـمْسُ عُلُـوَّه[474]

ويقول الشاعر السوري جورج صيدح الذي أقام في الأرجنتين:

يَـــا مَـــنْ سَرَيْـــتَ عَـــلَى الْـــبُرَاقِ * وجِـــزْتَ أَشْـــوَاطَ الْعَنَـــان
آنَ الأوَانُ لأنْ تُجَـــــــددَ * لَيـــْـــلَةَ الْمِعـــْـــرَاجِ آن[475]

وكثير مِن شعراء الرابطة القلمية كانوا يرون أنّ الإيمان الحق والدين الصحيح إنّما هو في الخلق الطيّب والأخوة الإنسانية، والتسامح الجميل؛ كما يقول إيليا أبو ماضي في قصيدته « كتابي»:

فَدِيْنِـي كَدِيـنِ الـرَّوْضِ يَعْبَقُ بِالشَّـذَى * وَلَـوْ لَـمْ يَكُـنْ فِيـه سِـوَى اللّـصِّ مُنْسَـلا[476]

إنّ دعـوات التسـامح الدينـي التـي ظهـرت جليّـة في أدب هـؤلاء المهجريـين، جـاءت كـردة فعـل لتلـك الظـروف الصعبـة المتمثلـة في التعصـب الدينـي الأعمـى والنـزاع الطائفـي المريـر الـذي واجهـوه في أوطانهـم وكان سـبباً في هجرتهـم إلى تلـك البـلاد النائيـة، بالإضافـة إلى تأثرهـم بالبيئـة العربيـة والإسـلامية التـي ترعرعـوا فيهـا.

عـلى أنّ هـذه النظـرة الرحيبـة مِـن شـعراء المهجـر (الشـمالي والجنوبـي) إلى الأديـان، واشـتراكهما جميعـاً في دعـوة الحـق، والخـير، والحـب، والسـلام، والفضيلـة، لـم تقطـع مـا بـين هـؤلاء الشـعراء وبـين ربهـم، رب العبـاد جميعـاً والأديـان؛ فنلاحـظ مِـن خـلال آدابهـم الشـعرية والنثريـة، أنّهـم مبتهلـون إلى ربهـم ومؤمنـون بـه؛ دليـلاً عـلى إنسـانيتهم الشـاملة وإيمانهـم الراسـخ بوحدانيـة الحيـاة والوجـود، فهـا هـو ميخائيـل نعيمـة – مثـلاً – ، يقـول:

كَحّلْ اللّهُمَّ عَيْنِي بِشُعَاعٍ مِن ضِيَاك – كَي أراك
فِي نُـورِ الْجوّ فِي مَـوْجِ الْبِحَار[477]

وهاهـو الشـاعر الإنسـان «رشـيد أيـوب»، يدعـو اللـه ويتـضرع إليـه، لأنْ يمنـح رجـلاً أعمـى النـور إلى عينيـه، فيقـول:

ثُـمّ نَـاد اللـهَ كالطّفْـلِ الصّـغيرِ * ضـعْ إلهـي نَظـراً فِي مُقْلتيـه[478]

(474) موقع كتارا الإلكتروني، جائزة كتارا للرواية العربية، الدوحة، يونيو2018.

(475) جمال الشرقاوي، الرسول في عيون الشعراء المسيحيين، صحيفة صدى البلد الإلكترونية، نوفمبر 2018.

(476) إيليا أبو ماضي ، الأعمال الشعرية الكاملة، ص291

(477) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص7.

(478) رشيد أيوب ، ديوان أغاني الدرويش ، ط1، 2012 ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة، مصر، ص160 .

وهــذا نســيب عريضــة، يضنيــه الألــم، وقــد ضاقــت بــه ســبل المنــى، فــلا يجــد مــلاذاً إلّا في الابتهــال إلى اللــه تعــالى، فيقــول:

أَيَــا مَــنْ سَــنَاهُ اخْتَفَــى * وَرَاءَ حُــدودِ الْبَــشر
نَسِــيْتُكَ يَــوْمَ الصَفَــا * فَــلا تَنْسَــنِي فِي الْكَــدَر [479]

نخلـص إلى أنّ التسـامح الدينـي الـذي يتسـامي عـلى الفـوارق والعصبيـات، ويتجـه اتجاهـاً إنسـانياً يجمـع النـاس في ظـل الإخـاء البـشري تحـت لـواء اللـه تعـالى، أو قوميـاً يوحـد بـين أبنـاء الأديـان المختلفـة في صـف الإنسـانية والقوميـة العربيـة؛ لهـو مِـن أبـرز اتجاهـات النزعـة الإنسـانية ومظاهرهـا عنـد شـعراء الرابطـة القلميـة؛ فقـد كانـوا يعتـبرون النـاس جميعـاً في نظـر الإنصـاف والتقديـر السـليم والسـماحة والمعنـى الإنسـاني الواسـع الكريـم متسـاوون أمـام اللـه تعـالى، فـلا وجـه لإثـارة الخـلاف الدينـي والتعصـب المذهبـي بينهـم؛ والديـن في نظـر جـبران خليـل جـبران، هـو مـا أنـار القلـب، يقـول: «فـلا فـرق إذ ذاك عنـدي أنْ ذكـر بـين الدراويـش، أو سـجد مـع اليسـوعيين، أو اغتسـل في نهـر الكنـج مـع البوذيـين»[480].

---

(479) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ط نيويورك، 1946 .

(480) محمد عبد الغني حسن، الشعر العربي في المهجر، ص48.

## المبحث الثالث

# الإخاء والمساواة

لم تجمع بين شعراء الرابطة القلمية قرابة النسب العربي فحسب، بل جمعت بينهم المعاناة والقساوة والغربة، وبعدهم عن أوطانهم وأهلهم، ومرابع صباهم، لذا ارتقوا في قيم الإخاء والتسامح للحد الذي يطلب فيه المجنى عليه الصفح مِن الجاني، وفي ذلك يقول ندرة حداد داعياً للأخوة

والتسامح:

**أنَا رَاضٍ بالعَصَا يأيُّهَا الْحامِلُ رُمْحَك**
**وَسَأنْسَى جُرحَ قَلبِي كُلّما شَاهَدْتُ جُرْحَك**
**وَأرَى لَيْلكَ لَيلِي وَأرَى صُبْحكَ صُبْحِي**
**وَإذَا أخطَأتَ نَحْوِي فأنَا الطالِبُ صَفْحْك**[481]

وقد فاض نبض المهجريين أخوة وسلاماً وتسامحاً ورحمة ووفاء بنزوعهم الإنساني؛ فنلاحظ أنّ نفوسهم تذوب أسًى وحسرة لصور البؤس التي يعاني منها الفقراء، الذين طحنتهم مادية الغرب، فينادي «أبو ماضي» مستصرخاً مسترحماً لهم فيقول:

**وَا رَحْمَتَا لِلبائِسِينَ فإنّهُم * مَوْتَى وَتَحْسَبُهُم مِن الأحَيَاءِ**
**إنّي وجَدْتُ حُظوْظَهُم مُسْوَدةً * وكَأنّما قُدّتْ مِن الظّلْمَاءِ**[482]

ونرى «نسيب عريضة» يسخو بكل ما يملك لأخلائه طالما وجد إلى العطاء سبيلاً، فإذا ما تبدلت به الأحوال ونزلت به الخطوب فإنّه يضن بالصديق أنْ يشاركه الضنك، شعوراً مِنه في النزوع الإنساني، حيث يقول[483]:

**أعطِنِي فِي الرّخَاءِ خِلاً يَقْضِي * زَمَن اللّهْو والمَسَرّات عِنْدِي**
**وإذا مَا مَضَى الرّخَاءُ فَدَعْنِي * لِقِرَاعِ الْخُطُوبِ فِي الْعَيْشِ وَحْدِي**

فنلاحظ كيف صور لنا «نسيب عريضة» قمة الإخاء، وذلك بالإيثار للصديق بالمسرات، وإفراد النفس بمخاشنة العيش، وعلى طريق الإيثار للآخرين بما يفرحهم، ويحجب الأحزان عنهم؛ وفي ذلك يقول «جبران»: «ما أنبل القلب الحزين الذي لا يمنعه حزنه على أنْ ينشد أغنية مع القلوب الفرحة»[484].

---

(481) ندرة حداد ، ديوان أوراق الخريف ، ص45.

(482) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص516.

(483) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا، ص276.

(484) نظمي بديع، أدب المهجر بين الأصالة وفكر الغرب، ص538.

وفي رفـق وأخــوة نجـد «نسـيب عريضــة» يدعــو إلى التعــاون والتعاضـد والتكافـل حتــى ولو كان فيــه الضعــف ســنداً لضعــف بــدءاً مِنــه للوصــول إلى القــوة شــأن الإنســانية الواعيــة، فيقــول[485]:

**يَـا أخِـي يَـا رَفيقِـي عَزْمِـي وَضَعْفِي * سِرْ نكَابِـدْ إنّ الشّـجَاعَ المُكَابِـد**
**فَـإذَا مَـا عَيِيْـتُ تَسْـنُدُ ضَعْفِـي * وأَنَـا بَعْـد ذَا لِضَعْفِـكَ سَـانِد**[486]

فالحياة في نظره أقصر مِن أنْ تضيع في حقد وخصام وصراع وجهالة، عندما يقول:

**إنَّ هَذِي الحَيَاةَ أقْصَر مِن أنْ تَشْغِلَ المَرأ بُرْهة بِعلَالَةْ**

**فَعَلامَ الزّحِامُ والرّكْضُ والْحِقدُ؟ عَلامَ الْخِصَامُ؟ فِيمَ الْجَهَالةْ؟**

--------

**فَلْنَسر صَاحِبَين فِي مُهْـمَةِ * الْعَيْـشِ فَنَطْـوِي وِهَـاده وتِلَالـه**
**يَـا ابـن وُدِّي يَـا صَاحِبِـي يَـا صَدِيقِي * لَيْـسَ حُـبِي تَطَـفُلاً أوْ ثَقَالـه**[487]

نلاحـظ أنّهـا دعـوة إنسـانية مخلصـة باسـم الأخـوة، والصداقـة والصحبـة والـود، لتحقيـق التنافـس الشريـف والمسـاواة في السـعي وكسـب العيـش، وهـي دعـوة إصلاحيـة حـاول بهـا شـعراء المهجـر نقـل التعاليـم السـماوية التـي تـرووا بهـا في المـشرق ليصلحـوا بهـا مـا أمكنهـم مجتمـع المهجـر الـذي خـلا مِـن الـروح، وقتلتـه المـادة، وباعـد بينـه وبـين النـزوع الإنســاني[488].

ونجـد «نـدرة حـداد» يهاجـم الأغنيـاء وخاصـة البخـلاء منهـم، حتـى لا ينجـو مِـن هجاتـه أقـرب أقربائــه مــا دام مِــن أهــل اليــسر والمــال، فهــو يوجــه إلى قريبــه «ميشــال حــداد» مقطوعــة بعنــوان «أصحــاب القصــور» يبدؤهــا بقولــه[489]:

**مِيْشَـالُ مَـا الدّنْيَـا بِخَالِـدةٍ * لِلمَـرءِ إنْ لَـمْ يخْلُـدِ الذّكْـرُ**[490]

فالشــاعر نَــدْرة حــداد منــذ البدايــة يزهّــد صاحبــه في الدنيــا ويقلــل مِــن قيمتهــا أمامــه، ويدعــوه إلى عمــل شيء يحقــق الإخــاء والمســاواة ويبقــى لــه ذكــراً خالــداً، فــإنّ القصــور لا

(485) حسن جاد حسن ، الأدب العربي في المهجر ، ص328.

(486) ديوان الأرواح الحائرة، نسيب عريضة، ص36.

(487) المرجع السابق، ص46.

(488) أدب المهجر بين الأصالة وفكر الغرب، مرجع سابق، ص536.

(489) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا، ص149.

(490) ندرة حداد، ديوان أوراق الخريف ، ص144.

تـدوم؛ وبالطبـع هـو يدعـوه إلى الجـود بمالـه والتكـرم ممـا أعطـاه اللـه حتـى ينتفـع الـكلّ بمالـه فـلا يقتـصر عليـه وحـده.

فنحـن نلاحـظ أنّ «نـدرة حـداد» وإنْ كان يميـل فِي داخـل نفسـه إلى الزهـد والبعـد عـن ملـذات الدنيـا، فإنّـه في الوقـت نفسـه يغبـط هـؤلاء الأغنيـاء الذيـن يقابلهـم فيجـد مظاهـر السـعادة تلـوح في وجوههـم، وهـو ولا شـك يـودّ لـو كان مِنهـم – في غـير حسـد أو حقـد – لمـا بخـل بمـا لديـه كمـا بخلـوا هـم، ولا ضـنّ عـلى الفقـراء الذيـن لا يملكـون مـا يملـك، وإنّـه يعـترف بـأنّ المـال شيء نافـع في هـذه الدنيـا وهـو منبـع السـعادة، ولكـن يجـب أنْ يتـوّج بالعطـاء، فهـو الـذي يصونـه مِـن النقصـان ويسـجل لصاحبـه الحمـد والشـكر بعـد الفنـاء[491].

وهاهـو الشـاعر الإنسـان «رشـيد أيـوب» يـدق قلبـه ويتمـزق بعـد رؤيتـه رجـلاً أعمـى، فيتـضرع إلى اللـه بقلـب مرهـف أنْ يضـع اللـه تعـالى نظـراً لعينيـه فيقـول:

**دَقَّ قلبِـي دَقـةَ الْعَطـفِ الْكَثـيرِ * لضَرِيـرٍ ضَاقـتْ الدُّنيـا لَديـه**
**ثُـمّ نَـادَ اللـهَ كالطِّفـلِ الصّغـيرِ * ضـعْ إلهـي نَظـراً فِي مُقْلتيـه[492]**

نستشـف في هـذه الأبيـات الـروح الإنسـانية العطوفـة الصادقـة، تلـك الـروح التـي ملئـت خـيراً ومحبـة للجميـع، وقـد تخـير الشـاعر صـورة معـبرة مؤثـرة تنـم عـن مـدى نزعتـه الإنسـانية النبيلـة تجـاه الفقـراء والبسـطاء؛ فلقـب «الدرويـش» ولقـب «الشـاكي» للشـاعر رشـيد أيـوب قـد يـبرزان سـمات كثـيرة في شـعره، ولكنّهمـا لا يحمـلان كل خصائـص فنـه الشـعري المتدفـق إنسـانية وإخـاء وتسـامح، وتطلعـه للعـدل والسـلام في الحيـاة، كل هـذه العنـاصر يجدهـا المتصفـح لدواوينـه ماثلـة في قصائـده، وتلـك العنـاصر والخصائـص تـكاد تكـون طابعـاً عامـاً لشـعراء المهجـر الشـمالي، المتفائلـين منهـم والمتشـائمين.

ونلاحـظ أنّ هـذه الدعـوة الإنسـانية الشـاملة مبثوثـة في دواويـن شـعراء الرابطـة القلميـة جميعـاً، وكل شـعراء الرابطـة القلميـة يبغـون النفـع للنـاس ولا يمسـكون أيديهـم أو يغلونهـا إلى أعناقهـم، كلهـم يدعـو للجـود بالمـال والتضحيـة بالنفـس، والمسـاعدة وحـب العـون والأخـذ بيـد المحتـاج»[493].

إنّ روح الإخـاء والمسـاواة والمحبـة والتسـامح، فـاض بهـا نبـض شـعراء «الرابطـة القلميـة» وفـاء بنزوعهـم الإنسـاني، ولقـد وصلـوا في السـماحة إلى حـد الفلسـفة لهـا حيـث يصبـح المجنـى عليـه جانيـاً يطلـب الصفـح، يقـول «نـدرة حـداد»:

---

(491) – المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(492) – رشيد أيوب ، ديوان أغاني الدرويش ، ص160 .

(493) – نادرة جميل سّراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص150.

وإذا أخطَـــــــأتَ نَحْـــــــوِي ❊ فأَنَـــــا الطَّالِـــبُ صَفْحَـــكَ[494]

ونجد نفس المعنى وبنفس الروح عند الشاعر«القروي» بالمهجر الجنوبي، في قوله:

كَــمْ صَاحِــبٍ حِرْصَــاً عَــلَى وُدّه ❊ طَلَبْــتُ أنْ يَغْفِــرَ لِي ذَنْبِــه[495]

فالمعنــى الإنســاني الــذي طرقــه «نــدرة والقــروي» وإنْ بــدأ شــديداً عــلى النفــس الالتــزام بــه، إلا أنّــه يمثــل التزامــاً بأخلاقيــات الأديــان في الــشرق، واصلاحــاً للنفــس البشريــة، يقــول تعــالى: {الَّذِيــنَ يُنفِقُــونَ فِي الــسَّرَّاء وَالــضَّرَّاء وَالْكَاظِمِــينَ الْغَيْــظَ وَالْعَافِــينَ عَــنِ النَّــاسِ وَاللّــهُ يُحِــبُّ الْمُحْسِــنِينَ}[496]؛ غــير أننــا نلمــح مثــل هــذا اللــون مِــن المعاملــة قــد صــدر مِــن مخضرمــي شــعراء الدولتــين الأمويــة والعباســية ، يقــول شــاعرهم:

إذا مَرِضْنَــا أَتَيْنَاكُــم نَعُودُكــم ❊ وتذْنبُــون فَنَأتِيكُــمْ ونَعْتَــذِر[497]

والمعنــى عنــد كل مِــن الشــاعرين» نــدرة والقــروي» يــدور في فلــك معانــي «أبــي العتاهيــة» فيمــا ورد عنــه مِــن قولــه: « يظلمنــي وأرحمــه»، وتفــوق عليهمــا «نــدرة» في بكائــه مِــن أجل ظالمــه بعــد شــكره وغفرانــه مظلمتــه لمــا في ذلــك مِــن اليــد الطــولى التــي كشــفت خفــي الخلــق الــذي تنطــوي عليــه نفســية كل مِــن الظالــم والمظلــوم، فهنــا نتأملــه يقــول:

إنّــي شَــكَرْتُ لِظَالِمِــي ظُلْمِــي ❊ وغَفَــرْتُ لَــهُ ذَاكَ عَــلَى عِلْمِــي
فكأنّمــا الإحسَــان كَــانَ لَــه ❊ وأَنَــا المُسِيء إلَيْــه فِي الحُكْــمِ
مَــا زَال يَظْلُمِنِــي وأرْحَــمَهُ ❊ حَتــى بَكَيْــتُ لَــه مِــن الظُــلْمِ[498]

ونلاحــظ هنــا أنّ مشــاعرهم في أروع صورهــا هــي روح الــشرق بعقائــده وتقاليــده في تجليها، فــإنّ الإخــاء والعــدل والمســاواة مــيراث إســلامي وضــح في القــرآن العظيــم، وجــاء عــلى لســان نبيــه الكريــم الــذي أرســل رحمــة للعالمــين، وطبقهــا أســلوباً ومســلكاً هــو وخلفــاؤه مِــن بعــده؛ وشــعراء الرابطــة القلميــة لــم يكونــوا بمعــزل عــن الإســلام وتعاليمــه ومخالطــة معتنقيــه في أخــوة نبيلــة، وأيضــاً في الجانــب المســيحي معتقــد كل شــعراء الرابطــة القلميــة، فإننــا نجــد الأخــوة والمحبــة ميراثهــم، وأساســاً في ديانتهــم، ففــي قــول «بولــس الرســول» : «ألبســوا المحبــة التــي هــي ربــاط الكمــال»[499].

(494) - ندرة حداد ، ديوان أوراق الخريف ، ص33.

(495) - رشيد سليم الخوري ، ديوان القروي ، ص27.

(496) - القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 134.

(497) - البيت للشاعر، المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي.

(498) - ندرة حداد ، ديوان أوراق الخريف ، ص49.

(499) - الكتاب المقدس، الاصحاح 3، الاية 14.

إذن الإخـاء والمحبـة في أسـمى صورهمـا وأوسـع معانيهمـا، عنـصران مهمـان مِـن عنـاصر الحيـاة عنـد الرابطيـين، فقـد ارتفعـوا بهمـا إلى سـماء الحـب الإلهـي الـذي يفيـض السـلام والمسـاواة عـلى الكـون، ويفجـر السـعادة في النفـوس؛ وهـو حـب إنسـاني لا يقـف عنـد حـب الرجـل والمـرأة لبعضهمـا البعـض؛ بـل يشـمل بأضوائـه القدسـية الوجـود كلـه.

ولقـد أحبـوا المـرأة بحكـم الغريـزة، وأحبوهـا بحبهـم للجمـال، وأحبوهـا بحبهـم للإنسـانية ومظاهـر الطبيعـة والوجـود، وأحبوهـا أولاً وآخـراً بحبهـم للحـب ذاتـه وتقديسـهم لـه[500]، وكان الحـب والغـزل عندهـم في جملتـه يتفـق مـع رسـالة أدبهـم السـامية التـي تترفـع عـن التبـذل، وتتسـامى عـن النـزوات المنحرفـة؛ لذلـك نـرى أدب المـرأة عندهـم يـدور في الغالـب حـول تقديـس الجمـال والمعانـي الروحيـة مِـن حنـين وذكريـات، وعـذاب وحرمـان، في نبـل وطهـارة، يقـول أبـو مـاضي:

**إنّ نَفْسَـاً لَـمْ يُـشْرِقِ الْحُـبُّ فِيهَـا ❋ هِـي نَفـسٌ لَـمْ تَـدْرِ مَـا مَعناهَـا**[501]

وها هو رشيد أيوب يشدو على فنن الهوى في قصيدته «روضة الحب»:

**الْحُـبُّ فِي عَينيـك آثـارُه ❋ بَادِيـة كَالأَنْـجُمِ الزّاهِـرَه**
**إذْ لَيْـسَ غَـيْر الْحُـبّ مِـنْ زَارِعٍ ❋ بَنفْسَـجاً فِي أعْـيُن فَاتِـرَه**[502]

ويـرى شـعراء الرابطـة القلميـة أنّ الإنسـان مِـن مصـدر واحـد هـو الطـين، وعـلى هـذا فـلا فـرق بـين عربـي وأعجمـي، وأبيـض وأسـود، مـا دام أصـل الإنسـان واحـد، وقـد انطلقـوا مِـن هـذا الفهـم لإعـلان المسـاواة الإنسـانية بـين أبنـاء البشريـة، فهـذا إيليـا أبـو مـاضي يسـجل موقفـه تجـاه الإنسـان المغـرور، الـذي يتعـالى عـلى أبنـاء جلدتـه، في قصيـدة «الطـين»، قائـلاً:

**نَـسِي الطّـينُ سَـاعَةً أنّـهُ طِـينٌ ❋ بَادِيـة كَالأَنْـجُمِ الزّاهِـرَه**

ويلح الشاعر أبو ماضي على فكرة المساواة في أصل الخلق، فيقول:

**يَـا أخِـي لا تَمِـلْ بِوَجْهِـكَ عَنّـي ❋ مَـا أنَـا فَحمَـةٌ وَلا أنْـتَ فَرقَـدْ**
**أنْـتَ مِثْـلِي يَبَـشُّ وَجْهُـكَ لِلنُعمـى ❋ وَفِي حَـالَةِ المصيبَـةِ يَكـمَد**
**أَدُموعِـي خَـلٌ وَدَمعُـكَ شَهـدٌ ؟ ❋ وَبُكائـي ذُلٌّ وَنَوحُـكَ سُـؤْدد**
**أنْـتَ مِثْـلِي مِـن الثّـرَى وإليْـهِ ❋ فلِمـاذَا يَـا صَاحِبِـي التّيهُ والصـدّ؟**[503]

(500) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص301.

(501) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص612.

(502) رشيد أيوب، ديوان أغاني الدرويش، ص19.

(503) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

ومهمـا بلغـت مكانـة الإنسـان يبقـى مصـيره واحـداً، فنجـد إيليـا أبـو مـاضي يخاطـب «موكـب الـتراب» رامـزاً لـه بالبشريـة، التـي أخـذت تتعـالى عـلى مخلوقـات اللـه، متناسـية أصـل خلقهـا الترابـي، فالبـشر متسـاوون، لا فـرق بـين عبـد وملـك، لأنّهـم في النهايـة يعـودون إلى أصـل واحـد، يتسـاوى فيـه الرابـح والخـاسر :

**والْعَبْـدُ فِي أَغْلَالِـه وَحِبَالِـه ❊ والمِلْـكُ فِي الدِّيبَـاجِ والأطْيَـابِ**
**آبَـوا جَمِيْعَـاً فِي طَرِيـقٍ وَاحِـدٍ ❊ الخَـاسِرُ المسْـبى مِثْـل السّـابِي**[504]

وهكذا فإن الإنسانية متساوية في أصل النشأة، ومتحدة في المصير، كما يقول «ندرة حداد» في ديوانه « أوراق الخريف»:

**وكُلّهـم مَـاضٍ إلَى قَـبْرِه ❊ الخَـادِم المِسْـكِين مِثـل الأمِـير**[505]

أمّـا ميخائيـل نعيمـة فيصـور لنـا الدنيـا مضمـار سـباق، يجهـل الإنسـان مرتبتـه فيـه، فنجـده يقـول في قصيدتـه «السـباق»:

**وَنَحْنُ مَا نَزالُ فِي المِضْمَار**
**ولَيْسَ لَنا أنْ نَتساءل**
**عَمّن هُوَ السّابق واللّاحق**
**إلَا مِنْ بَعْد أنْ يَتقلّص المَكان**
**وَينْصَـرم الزّمَان**[506]

وحتـى هـذه القبـور التـي تـدور كمـا السـاقية، تفـرغ لتمتلـئ مِـن جديـد، يتسـاوى كل مَـن يدخلهـا، فيقـول ميخائيـل نعيمـة في قصيدتـه «قبـور تـدور»:

**هَلُمّي! هَلمّي نُحَيّ القُبور عَسَانا إذا مَا رَأيْنَا عِظَاما**
**يفَتّق مِنهَا الرّبِيعُ الزُّهور عَرَفْنا بِأنّ الفَنَاء بَقَاءٌ**
**وأنّ الْحَيَاةَ قُبور تَدُور**[507]

ويـرى شـعراء الرابطـة القلميـة أنّ عـلى الإنسـان أنْ يحـذو حـذو الطبيعـة، فالطبيعـة تنظر بعـين المسـاواة، فـلا فـرق عندهـا بـين كـوخ وقـصْر ولا شـوْك وياسـمين؛ كمـا في قـول أبـو مـاضي في قصيدته «المسـاء»:

---

(504) أبو ماضي، ديوان تبر وتراب، ط1، 1960، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص24.

(505) ندرة حداد، ديوان أوراق الخريف ، ص35.

(506) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص121.

(507) المرجع السابق، ص68.

**أَمْ بِالْمَسَا؟ إنَّ الْمَسَا يُخْفِي الْمَدائنَ كَالقُرَى**
**وَالكُوخَ كَالقَصرِ المَكينْ**
**وَالشَّوكَ مِثْلَ اليَاسِمينْ**
**لَا فَرْقَ عِنْدَ اللّيلِ بَيْنَ النّهْرِ والمُسْتَنقَعِ**(508)

فالطبيعة كما يراها الرابطيون، أنّها لا تفرق بين أحد في النفع، فنجومها تضئ الليل وترشد كل مَن ضلّ الطريق، سواء أكان بائساً متحسراً أم فرحاً مسروراً، والطلّ يجود بقطراته على الشوك قبل الورد؛ فعلى الإنسان إذن أنْ يحذو حذوها، ففي الطبيعة يتحقق ميزان العدالة، وفي أحضانها يتساوى العبد والحر.

ويذهب شعراء الرابطة القلمية إلى أنّ منتهى الإنسانية، أنْ يشعر الإنسان بأخية الإنسان، وأنْ يضمد جراحه بغض النظر عن جنسه أو لونه أو مذهبه أو دينه، وفي هذا السياق يقول إيليا أبو ماضي:

**أنَا أنْتُم إنْ ضَحِكْتُم لأمرٍ * ضَحِكْتُ وأدْمُعكم أدْمُعِي**(509)

ويقول:

**فَاخترْ صِحَابكَ وانظرْ فِي اختِيَارهم * إلى الطّبائع قَبْل اللّونِ والدّين**(510)

وأنّ هذه المرحلة لا يصل الإنسان إليها إلا بالمحبة والإخاء، كما يقول أبو ماضي:

**أيْقِظْ شُعورَكَ بالْمَحَبةِ إنْ غفا * لوْلا الشُّعورُ النَّاس كَانُوا كَالدُّمَى**(511)

ونرى نسيب عريضة، يقول بأنّ ما نراه مِن الفروق بين البشر ما هو إلا أمور عارضة، أمّا جوهر الحقيقة، فالناس سواسية كأسنان المشط، وما نراه مِن اختلاف ما هو إلا تمثيل أدوار على مسرح العصور(512)، فيقول:

**لَيْسَ فِي الدُّنْيَا غَنيٌّ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا فَقِيرْ**
**لَا عَلِيْم وَلا جَهُول لا عَظِيْم لا حَقِيرْ**
**كُلّهَا تَمْثِيل أدْوَارٍ عَلَى مَلْهَى الْعُصُورْ**(513)

(508) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص592.

(509) إيليا أبو ماضي، ديوان تبر وتراب، ص177.

(510) المرجع السابق، ص219.

(511) المرجع السابق، ص88.

(512) فصل سالم العيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص125.

(513) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص128.

وهكـذا نـرى نسـيب عريضـة، يسـعى بشـتى السـبل لنـشر الفضائـل الإنسـانية النبيلـة، مِـن خـلال تحقيـق مبـدأ الإخـاء والمسـاواة، فهـا هـو يدعـو ويأمـل تحقيـق هـذا المبـدأ، فنجـده يقـول:

هُــوَ أنْ يَسُــودَ الْحَـقّ * دُنيــا المَــودةِ والسّــلَامْ
هُــوَ أنْ يَعِيــشَ النّــاسُ أَخٍ * وأَنَــا عَــلَى شَرْعِ الْوئــامْ[514]

ونلاحـظ أنّ شـعراء الرابطـة القلميـة في نزوعهـم الإنسـاني تجـاه المسـاواة والإخـاء، نـاصروا الضعفـاء والبؤسـاء، وثـاروا عـلى الظلـم وأهلـه، ودعـوا إلى المحبـة والتسـامح لتخفيـف آلام الإنسـانية وأحزانهـا، فهـا هـو نـدرة حـداد يقـول:

عِشْتُ بَيْنَ النّاسِ لَا * أَصْحَبُ إلاّ الفُقَرَاء[515]

وعـلى هـذا فقـد جـاء شـعرهم إنسـانياً ووجدانيـاً، يتعـدى الشـعور بالـذات ليصـل إلى الشـعور الجمعـي، تقـول الدكتـورة فصـل العيـسى: «الأنـا عنـد الرابطيـين شـفافة مرهفـة، لا بغيضـة مغلقـة، لأنهـم عاشـوا مأسـاة إنسـانية مماثلـة، وبذلـك نجـح شـعرهم في تأديـة وظيفتـه الإنسـانية»[516]، وهكـذا فـإن الإنسـان عنـد الرابطيـين قيمـة حضاريـة وروحيـة، أمـا عـن علاقتهـم بـه، فهـي علاقـة عضويـة وثابتـة»[517].

---

(514) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص154.

(515) ندرة حداد، ديوان أوراق الخريف، ص65.

(516) فصل سالم العيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية ، ص131.

(517) جرجس سـعادة، الموضوعـات الأساسـية في شـعر الرابطـة القلميـة، رسـالة دكتـوراه ، جامعـة القديـس يوسـف، بـيروت، 1995، ص434.

## المبحث الرابع
# التفاؤل والتشاؤم

الأديب – شاعراً كان أم ناثراً – يعيش في مجتمع يخاطبه، ويبث أفكاره وآراءه، ويختار طريقة وأخرى لتوصيل مشاعره وعواطفه تجاه الحياة؛ وقلما نجد أديباً نستطيع أنْ ننزع مشاعره وعواطف مِن أدبه، وأنْ ننزع أدبه مِن أثر فلسفته وثقافته وحياته الذاتية؛ بل كثيراً ما نجد أدبه صورة لامعة لمشاعره وعواطفه وفلسفته. ومِن الشائع أنَّ الأدباء يختلفون في إقبالهم على الحياة ومظاهرها، فمنهم مَن يقبل عليها محزوناً مبتئساً لا يراها إلا شراً وشؤماً ، ومنهم مَن يقبل عليها فرحاً مبتهجاً لا يراها إلّا فألاً وخيراً ونوراً؛ ثم مِن الشائع أيضاً أنّ كل أديب وما يراه مِن مشاعر – تفاؤلية كانت أم تشاؤمية – يؤثر على المتلقي، فأحياناً يأخذه إلى اليأس والكآبة والتشاؤم، وأحياناً يأخذه إلى التفاؤل والأمل والسعادة.

وفي أدب شعراء الرابطة القلمية (الشعر والنثر)، تطالعنا ثنائية التشاؤم والتفاؤل، التي تلح عليه، وتتردد في جوانبه وتشيع في أجوائه؛ وقد دفعهم إلى ذلك البعد عن الأوطان، وقسوة الحياة في الغربة، كما تقول الباحثة الربح جغابة في بحثها: «جماليات الشعر المهجري: «ما اختلج في نفوسهم مِن مشاعر الغربة والحنين، فأفاضوا في التعبير عن نزعاتهم»[518].

وإذا طالعنا دواوين شعراء الرابطة القلمية، وما نشروه مِن أشعار لا سيما في مجموعة الرابطة القلمية لسنة 1921م، لاستوقفتنا كثيراً الأنغام الحزينة الهادئة؛ التي يتحدثون فيها عن حبهم لبلادهم ومراتع صباهم، ويشتكون مِن آلام الغربة والفراق؛ ولكنّا لا نلبث أنْ نراهم وقد عاودهم الأمل والتفاؤل والرضا بواقع الحياة، فإذا أخذنا – مثلاً – الشاعر رشيد أيوب، نجده دائماً في أشعاره يعبر عن حزنه، ويصور آلامه، ويشكو مِن وحدته، ويئن مِن قسوة الحياة الصعبة حوله؛ ولكنّه لا يأتي على آخر القصيدة حتى يعاوده الأمل ويقترب مِنه الرجاء، فيأتي بأبيات متفائلة يلوح منها البشر والأمل، يقول رشيد أيوب في إحدى قصائده:

**غُرْبَةٌ أَمْسَتْ حَيَاتِي وانتِزَاح * وَمُناجاةٌ ورعِي الشّهب**
**أَنَا لَوْلا ذِكرُ أيّامِ الصّبا قلْتُ: * يَا نَفسُ إذا شِئت اذْهَبِي**[519]

ثم يعاوده التفاؤل ويستعذب أمانيه، فيقول مستدركاً:

(518) الربح جغابة، جماليات الشعر المهجري، ص 37.

(519) رشيد أيوب، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص63.

غَــيْرِ أَنّــي كُلّمــا هَبّــتْ صَبــا ＊ أنعشــتْ قلْبــي بِذكــرِ طيّــب
لَا أُبَــالِي إنْ حَللــتُ الْمَغْرِبَــا ＊ طَالَمَــا شَــمْسُ الْمُنَــى لَــمْ تَغْــرُبِ[520]

ويــرى «فرويــد»[521] أنّ التفــاؤل هــو القاعــدة العامــة للحيــاة، وأنّ التشــاؤم لا يقــع في حيــاة الفــرد إلّا إذا تكونــت لديــه عقــدة نفســية، فأنــت متفائــل إذا لــم يقــع في حياتــك حــادث يجعــل نشــوء العقــد لديــك أمــراً ممكنــاً، ولــو وجــدت العكــس لتحولــت إلى شــخص متشــائم»).

ونــكاد نســتنتج مِــن رأي «فرويــد» أنّ التشــاؤم عــارض، وهــو ليــس أصــل يولــد مــع الإنســان؛ بــل الإنســان عــلى حــد قولــه يولــد متفائــلاً، إلّا إذا لــم يتعــرض لــه حــدث في حياتــه؛ وإذا أخذنــا أنموذجــاً مِــن شــعراء الرابطــة القلميــة، وليكــن جــبران خليــل جــبران، فنــرى أنّ تشــاؤمه كان مسـبباً بتلـك الأحـداث التــي شــهدتها حياتــه منــذ طفولتــه إلى وفاته؛ فإنــه عــاش صبيــاً يتيمــاً، وعــاش شــاباً محرومــاً مِــن حنــان الأم وعطــف الأخ ومحبــة الأخت، فهــو كمــا قــال المؤرخــون: «عندمــا رجــع مِــن لبنــان إلى بوســطن مــرة ثانيــة، قــد توفيــت أختــه ســنة 1901 بمــرض الســل، ومــات أخــوه بطــرس بنفــس المــرض ســنة 1902، ثــم ماتــت والدتــه بمــرض السرطــان في نفــس الســنة، وقــد انتابــه أسى عميــق»[522]؛ وإذا أضفنــا دافــع الغربــة عــن أقربائــه وأترابــه، ثــم حنينــه الدافــق إلى وطنــه، فنــكاد نــرى أنّ تشــاؤمه منحــدر مِــن آلامــه الفرديــة، التــي عاناهــا في حياتــه، ومِــن آلامــه الشــعبية التــي واجههــا هــو، وقومــه في بــلاده.

إذن أدب الرابطــة القلميــة، في جملتــه أدب مبلــل بالدمــع، مجلــل بــالأسى، يعتــصره الشــك والتســاؤل، وتعصــف بــه الحــيرة والــتردد، وتترقــرق فيــه الأنغــام الشــاكية الحزينــة.

فــإذا حاولنــا أنْ نبحــث سر هــذه الكآبــة مِــن خــلال أدب المهجريــين لــم نعــدم أســباباً تصلح مجتمعــة أو متفرقــة تفســيراً لتلــك الظاهــرة وباعثــاً عليهــا؛ فهــم قــد امتحنــوا بالغربــة عــن أوطانهــم أشــد مــا يكونــون حبــاً لهــا وتعلقــاً بهــا، ولــم تســتطع الأوطــان الجديــدة عــلى مــا فيهــا أنْ تنســيهم بلادهــم ومآســيها، أو تســليهم عــن أهلهــم وأحبابهــم، أو تهدهــد مشــاعرهم الموزعــة ونفوســهم المكلومــة[523].

وهــم قــد صادفــوا في الوطــن الجديــد مِــن المحــن والصعــاب مــا هــدد حياتهــم، ثــم هــم

---

(520) المرجع السابق ، ص64.

(521) ســيغموند شــلومو فرويــد(1856–1939)، طبيــب نمســاوي، يعتــبر مؤســس علــم التحليــل النفــسي، أشــتهر بنظريــات العقــل واللاواعي" اللاشعور". (ينظر: الموسوعة الحرة).

(522) غسان خالد، جبران الفيلسوف، ط1، 1983، مؤسسة نوفل للنشر، بيروت، لبنان، ص30.

(523) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص267.

يصطدمون هناك بالموازين المادية الصرفة التي تقيس العظمة بالمال؛ ويدفعهم ذلك كله إلى أن يفكروا ويطيلوا التأمل في أسرار الحياة والطبيعة، ونحو ذلك، فيقذف بهم التأمل في صحاري الشك والريب، ويغرقهم في بحر مِن الهواجس[524].

وعسى أنْ يكونوا قد تأثروا كذلك في كآبتهم وشكهم بالنزعة الرومانتيكية التي صادفت اتفاقاً مع طبيعتهم، وهوى في نفوسهم، وهي نزعة تقدس الألم، وتمجد الحزن، وتتسم بالتشاؤم والتبرم؛ فيقول دي موسيه: «إنّ أبدع الأغاني ما تسربل بالأسى»[525]، وهو القائل: «لا شيء يجعلنا عظماء إلّا الألم العظيم، كل ما بقي لي مِن نعيم الحياة أنّي قد بكيت مراراً»[526].

ويرى الدكتور حسن جاد أنّهم تأثروا تأثراً عميقاً بالنزعة العلائية في تشاؤمها وشكلها، فيقول: «فقد كانوا يجلون أبا العلا المعري ويقدسونه، ويعجبون به إعجاباً كبيراً يدفعهم إلى محاكاته والاقتباس مِنه وترديد آرائه وأفكاره أحياناً كثيرة»[527]؛ وعن ذلك يقول نعيمة: «إنّ أبا العلاء جمع في كثير مِن قصائده ومقاطعه بين دقة البيان وجمال التشبيه ورنة الوقع وصحة الفكر»[528]، ويقول أنيس المقدسي: «وإنّك لتحس بهذه الروح العلائية المتبرمة في كل الأقطار العربية، حتى في المهاجر الأمريكية، ولعلها بين اللبنانيين والسوريين هناك أشد لاصطدام خيالاتهم الشرقية بالمادية الغربية»[529].

وأخيراً هناك مَن يرجع سبب الحزن الشائع في أدبهم إلى عامل الوراثة وخصائص الجنس؛ فيرى دكتور زكي مبارك أنّ الأدب السرياني أدب حزين يسرف في البكاء، ويوغل في الألم، وأنّ السوريين قد ورثوا هذه الخصيصة مِنه وسرت فيهم روحه الكآبية[530].

وإذا طالعنا بعض النصوص الأدبية لدي شعراء الرابطة القلمية، لوجدنا ما يظاهر ويؤيد تلك الأسباب:

فهذا أبو ماضي يشعر بالغربة الروحية عن الشرق في العالم الجديد المتهالك على المادة، حيث يضيع صوت الإنسان في ضجيجه الصاخب، وقد حيل بينه وبين أهله

(524) المرجع السابق، ص268.

(525) ينظر: ألفريد دو موسيه شاعر قتله الحب، هاشم صالح، شبكة قناة العربية ، نشر بتاريخ 2/ نوفمبر/ 2017.

(526) ألفريد دي موسيه، الليالي، ترجمة محمد مندور، ط1، 2019، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ص39.

(527) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص269.

(528) ميخائيل نعيمة، الغربال، ص15.

(529) مقال بمجلة المقتطف، مصر، ديسمبر 1944.

(530) زكي مبارك، الأجنحة المتكسرة، مجلة الرسالة، العدد 447، مصر، بتاريخ 26 يناير 1942، ص10.

في وطنــه البعيــد، وانقطعــت أخبارهــم، فتحتــدم في نفســه الشــكوك، وتثــور الهواجــس، وتــصرخ الآلام، ويهيــج الحنــين:

**إذَا خَطَـرَتْ مِـن جَانِـب الـشّرقِ نَفْحةٌ * طَرِبْـتُ فألقَـى مَنْكَبـاي رِدَائيـا**
**أحِـنُّ إلَى تِلْـك المَغانِـي وأهْلِهـا * وأشْـتَاقُ مَـن يَشْـتَاقُ تِلْـكَ الْمَغانِيـا**
**إذَا قِيـلَ هَـذا مُخـبرٌ مِلـتُ نَحْـوه * بسَـمْعي ولَـوْ كانَ الْمُحـدث واشِـيا**
**وَتَعْلَـمُ نَفْـسِي أنّـه غَـير عالـمٍ * وَلكِنَنّـي أسْـتَدفِعُ الْيَـأسَ رَاجِيـا[531]**

وننتقــل إلى جــبران الــذي عُــرف بنزعتــه وفلســفته الإنســانية التــي ترعــرت في تربــة الألــم، وغلــب عــلى شــخصيته الطابــع التشــاؤمي والهــروب مِــن الواقــع المؤلــم الــذي عايشــه في حياتــه، فلجــأ إلى الطبيعــة التــي وجــد فيهــا مــلاذاً آمنــاً خــالٍ مِــن النفــاق والظلــم؛ فكانــت قصيدتــه «المواكــب» نموذجــاً عــن هــذه الــروح التشــاؤمية:

**لَيْـسَ فِي الغَابَـاتِ دِيـنٌ * لا ولا فِيهـا الْكفـرُ الْقبِيـحْ**
**فَـإذَا الْبُلْبُـلُ غَنّـى * لَـمْ يقـلْ هَـذا الضّجيـجْ**
**إنّ دِيـنّ النّـاسَ يَأتِـي * مِثْـلَ ظـلٍّ ويَـرُوحْ**
**لَـمْ يَقُـمْ فِي الأرْضِ دِيـنٌ * بَعْـد طَـه والمَسـيحْ[532]**

فقــد بلــغ التشــاؤم بجــبران إلى حــد أنّــه رســم لنفســه واقعــاً خياليــاً بعيــداً عــن الواقــع الــذي يعيــش فيــه، فــإذا نظرنــا مِــن خــلال قصيدتــه «البــلاد المحجوبــة» مِــن كتابــه « البدائــع والطرائــف»، لرأينــا ذلــك الواقــع، فيقــول فيهــا:

**هُــوَ ذَا الفَجــرُ فَقُومِــي نَنْـصَرِف * عَـنْ دِيـارٍ مَـا لنَـا فِيْهَـا صَدِيـق[533]**

مِــن أجــل ذلــك نســمع كثــيراً مِــن الصرخــات المدويــة بالألــم، والنشــيج المعــول بــالأسى، والنغــم الهــادر بالشــكوى والأنــين؛ فالشــاعر الشــاكي نســيب عريضــة يهتــف في توجــع، فيقــول:

**أوّاه! ألَـمْ يكتَـبْ لِهَـذا القَلـم * إلاّ بـأنْ يَشـكُو الأسَى والألَـم؟**
**يَـا قَلَمِـي الشّـارب خَمـرَ الشّـجَا * والمسْـمع الطـرس صَريـر النّقـم[534]**

هــذا هــو الجانــب الإنســاني البــارز في أدبهــم؛ إنّــه الألــم، ينبــوع العبقريــة، ومصــدر الإلهــام

(531) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص512.

(532) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة (الشعر)، تقديم أنطوان القدال ، ص19.

(533) جبران خليل جبران، البدائع والطرائف، ط1923،1، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ص157.

(534) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران (الشعر) ، مرجع سابق، ص75.

والنبـوغ، والتشـاؤم الحائـر الـذي أضنـى نفـوس المهجريـين، ومـلأ طريقهـم بالأشـواك، دفعهـم إليـه مـا كابـدوه مِـن لوعـة الاغـتراب، ومـا حملـوه مِـن همـوم الوطـن، ومـا ضاقـوا بـه مِـن آثـام البشريـة.

ومِـن خـلال هـذه الصـورة القاتمـة الحزينـة، وذلـك الجـو الغائـم المظلـم، وتلـك الدمـوع الحـارة اليائسـة، نلمـح أضـواء تخفـق في الظـلام، ونـرى ومضـات تشـع بالتفـاؤل، وتطالعنا بسـمات تـشرق بالأمـل، ويظهـر لنـا الوجـه الآخـر مـن أدب الرابطـة القلميـة في صـورة زاهيـة مشرقـة، تنبـض بالحيويـة والقـوة، وتمـوج بالثـورة عـلى الضعـف والألـم، واليـأس والتشـاؤم، فنـرى هـؤلاء الذيـن طالمـا سـقوا أوتـار القيثـارة بدموعهـم، يشـدّونها في قـوة وأمـل لتعـزف ألحـان السـعادة والنشـوة؛ ذلـك هـو الجانـب الضاحـك المتفائـل في أدبهـم.

وهنـا يتسـاءل الدكتـور حسـن جـاد؛ هـل تبدلـت طبيعـة هـذه النفـوس التـي تجمعـت لهـا أسـباب الألـم، وتوفـرت فيهـا بواعـث الكآبـة والتشـاؤم؟ وهـل تخلصـت مِـن هـذه البواعـث نهائيـاً، فراحـت تضحـك بعـد بـكاء، وتتهلـل بعـد اكتئـاب؟ أم أنّهـا جمعـت بـين المتناقضـات، مِـن الرجـاء والقنـوط، والتفـاؤل والتشـاؤم، واليـأس والأمـل؟[535].

يقـول الدكتـور حسـن جـاد، مجيبـاً عـن تسـاؤلاته: « كلّا، فـإنّ الحـزن المتشـائم هـو طابعهـا الأصيـل الـذي قويـت أسـبابه واشـتدت بواعثـه ؛ وهـذا الجانـب الضاحـك إنّمـا هـو مجاهـدة للتغلـب عـلى اليـأس، وثـورة عـلى الضعـف والتشـاؤم، أو هـو ضحـك يخفـي البـكاء، وابتسـام يـرضي إبـاء الدمـوع؛ هـو إذن جانـب طـارئ راضـوا أنفسـهم عليـه»[536].

عـلى أنّ منطـق الواقـع مِـن توفـر بواعـث الأسى والتشـاؤم يؤكـد لنـا أصالـة هـذا الطابـع الحزيـن، كمـا يؤيـده أنّ الأدب المتفائـل جـاء في إطـار مِـن الألـم والكآبـة، حيـث يمتـزج بالتشـاؤم؛ وأنّ هـذا التفـاؤل إنّمـا كان مبعثـه أحيانـاً إخفـاء الهمـوم عـن النـاس وإيثارهـم بالسـعادة، وإشـاعة الأمـل بينهـم بتجميـل الحيـاة، كمـا يقـول أبـو مـاضي:

**الشَّـجَاعُ الشُّـجاعُ عِنْـدِي مَـنْ أمـْ * ـسَى يُغَنِّـي والدّمـعُ فِي الأجْفَـان[537]**

وربما كان دافع أبي ماضي الإباء والترفع عن أنْ يرى الناس هذا الدمع، كما يقول:

**وَلكِنّـي امـرُؤٌ للنّـاسِ ضِحْكِـي * وَلِي وَحْـدِي تَبارِيحِـي وَحُزنِـي**
**وَتَأبـى كِبرِيائـي أنْ يَرانـي * فَتًـى مُغْرَورِقـاً بِالدَمـعِ جَفنِـي**
**فَأَسـتُرُ عَبْرَتِـي عَنـهُ لِئـلا * يَضِيـقُ بِهَـا وَإنْ هـيَ أَحْرَقَتنِـي[538]**

(535) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص278.

(536) المرجع السابق، ص872.

(537) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص126.

(538) المرجع السابق ، ص 445.

ومنهـم مَـن كان يتجهـم تجهـم اليائـس الحزيـن، ثـم لا يلبـث أنْ يثـور عـلى اليـأس، ويتحـدى الألـم بالأمـل، والضعـف بالثقـة، فميخائيـل نعيمـة قـد تجهـم لصـورة «النهـر المتجمـد»، ووجمـت نفسـه لمـرآى «الـدودة» وغيرهـا، ولكنـه لـم يلبـث حتـى قـال في ثقـة وطمأنينـة في قصيدتـه «الطُمأنينـة»:

سَقْفُ بَيتِي حَدِيـدْ * ركنُ بَيتِي حَجَرْ
فَاعْصِفِي يَا رِياحْ * وَانْتَحبْ يَاشَجَرْ
وَاسْبَحِى يَا غُيـوُمْ * وَاهْطُلِي بالمَطَرْ[539]

وعـلى هـذا النحـو الـراضي الثائـر عـلى الهـم، يسـتريح رشـيد أيـوب إلى الواقـع، فيألـف الضبـاب والوحشـة، ويحـب الشـتاء حبـه للربيـع، ويلاقـي الرزايـا رضـا وبشاشـة:

أَحِـبُّ الشّـتاءَ لأنَّ لــهُ * ضَبابـاً كَهمِـي ثَقِيـلاً كَثِيـف
وَأَهْـوَى الرّبَيـعَ فَأنفاسُـهُ * دَوَاءٌ لِجِسْـمِي العليـلِ الضّعَيـف[540]

أمّـا نعيمـة فإنّـه يجلـو لنـا هـذه الصـورة المشرقـة المتفائلـة التـي تدعـو إلى إغمـاض الجفـون عـن الواقـع المريـر، في قصيدتـه «اغمِـضْ جفُونـك تُبْـصر»، فيقـول:

إِذَا سَـمَـاؤُك يـوْمَـاً * تَحـجّـبتْ بالغُـيُومْ
اغمِـضْ جُفـونَكَ تُبْصـرْ * خَلْـفَ الغُيـومِ نُجـومْ[541]

والـذي يطلـع عـلى أدب جـبران خليـل جـبران، يلاحـظ أنّـه يـتراوح بـين التفـاؤل والتشـاؤم، لكنّـه يجنـح بطبيعتـه إلى التفـاؤل أكثـر مِنـه إلى التشـاؤم، فنجـده يقـول عـن الحيـاة والمـوت: « قـد أحببـت المـوت مـرات عديـدة، فدعوتـه بأسـماء عذبـة، وتشـببت بـه سراً وعلنـاً، ولـئن لـم أسـل المـوت، ولا نقضـت لـه عهـداً، فإنـي صرت أحـب الحيـاة أيضـاً فالمـوت والحيـاة قـد تسـاويا عنـدي بالجمـال»[542]؛ وعندمـا نقـرأ مقالاتـه في كتابـه «دمعـة وابتسـامة»، وكذلـك في كتابـه «البدائـع والطرائـف»، نجـده لا يقطـع حبـل الأمـل أبـداً، مهمـا ثقلـت عليـه وطـأة اليـأس والكآبـة، ففـي مقـال لـه بعنـوان «رؤيـا»، وهـو قصـة خياليـة تحكـي رحلتـه في رفقـة «حوريـة» حيـث تأخـذه إلى جبـل عـال يـرى مِـن فوقـه الأرض، فيحكـي مـا رآه مِـن الـشر السـائر في الحيـاة البشريـة، فلـم يـر مشـهداً مِـن حياتـه إلا ممثـلاً مأسـاته، وأنّ عواصـف اليـأس والتشـاؤم قـد هـزت مشـاعره، لكنـه سرعـان مـا يرجـع إلى صوابـه، عندمـا نلاحـظ نهايـة رحلتـه، فيقـول متابعـاً حكايتـه: «عندمـا رأيـت

(539) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص17.

(540) رشيد أيوب، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص16.

(541) ديوان همس الجفون، مرجع سابق، ص7.

(542) جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة، (د.ط)، 1991، دار العرب للبستاني، القاهرة، مصر، ص832.

كل هـذه الأشـياء صرخـت متألمـاً، فأجابـت بسـكينة: هـذا ظـل الإنسـان، هـذا هـو الليـل وسـيجئ الصبـاح؛ ثـم وضعـت يدهـا عـلى عينـي، ولمـا فعتهـا وجدتنـي وشـباب سـائراً عـلى مهـل والأمـل يركـض أمامـي»[543]، وهكـذا يؤكـد لنـا جـبران نظرتـه التفاؤليـة تجـاه الحيـاة الإنسـانية.

ويُعـدُّ إيليـا أبـو مـاضي شـاعر التفـاؤل الأكـبر، وقـد عانـي مِـن الشـك والألـم، مـا عانـى رفاقـه، فـراح يـروض نفسـه عـلى الرضـا، وينشـد السـعادة في مظانهـا وتخلخلـت نفسـه بـين النجـاح والإخفـاق، فـرضي حينـاً، وسـخط حينـاً؛ فقصيدتـه «المسـاء» تمثـل فلسـفته التفاؤليـة، التـي تجمـع بـين عنـاصر الأسى ودوافـع التفـاؤل، فيقـول فيهـا:

**السُّحُبُ تَرْكُضُ فِي الفَضَاءِ الرَّحبِ رَكْض الخَائفِينْ**
**وَالشَّمْسُ تَبدُو خَلْفَهَا صَـفْرَاء عَاصِـبةَ الْجَبِنْ**
**وَالبَحْـرُ سَاجٍ صَامـتٌ فِيه خُشوعُ الزّاهِدِينْ**

إلى أنْ يقول:

**لِتَكُنْ حَياتُكَ كلُّها أمَلاً جَميـلاً طَيِّباً**
**وَلْتمَلأ الأحَلامُ نَفْسَكَ فِي الكُهُوْلَةِ وَالصِّـبا**
**مِثْلَ الكَوَاكِبِ فِي السَّمَاء وَكالأَزَاهِرِ فِي الرُّبا**[544]

وعـلى هـذا النحـو المتفائـل الواعـي، يسـير إيليـا أبـو مـاضي، فنـرى في قصيدتـه «ابتسـم»، كيـف يديـر فيهـا حـواراً بـين التشـاؤم والتفـاؤل، ويعـرض أسـباب اليـأس ليصرعهـا، فيقـول فيهـا:

**قَـالَ: السَّـماءُ كَئيبـةٌ! وتَجـهَّما * قُلْتُ: ابْتَسِـمْ يَكْفِـي التَّجهّمُ فِي السّـما!**
**قَـالَ: الصّبـا ولّى! فقلـتُ لـه: ابتسـمْ * لَـنْ يُرجِـعَ الأسَـفُ الصّبَـا المُتـصَرما!**
**قَـالَ: الّتـي كَانَـتْ سَـمَائي فِي الْهَـوَى * صَـارتْ لِنَفْـسِي فِي الغَـرَامِ جَهـنّمَا**
**خَـانَتْ عُهـودِي بَعْـدَمَا ملَّكْتُهَـا * قَلْبِـي فَكَيْـفَ أُطيـقُ أنْ أتَبَـسَّما؟**
**قُلْتُ: ابتسـمْ واطْـرَبْ فلَـوْ قَارنْتَهَـا * قَضَّيـتَ عُمْـرَكَ كُلّـه مُتـألِّما!**[545]

ونـرى في قصيدتـه «فلسـفة الحيـاة»، كيـف قـضى أبـو مـاضي عـلى بواعـث الشـقاء واليأس، وكيـف سـد كل ثغـرة ينفـذ مِنهـا اليـأس إلى النفـوس، بفلسـفة تفاؤليـة واعيـة، فيقـول فيهـا:

(543) جبران خليل جبران ، دمعة وابتسامة، ص93.

(544) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص295.

(545) إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص317.

أيُّهــذا الشَّــاكِي ومــا بِــك دَاءٌ ❊ كَيْــفَ تَغــدُو إذا غَــدوتَ عَليــلا؟
إنَّ شَرَّ الجُنــاةِ فِي الأرضِ نفْــسٌ ❊ تتَوقَّــى قبــلَ الرّحيــلِ الرّحِيــلا
وتَــرى الشّــوكَ فِي الــوُرودِ وتَعْمــى ❊ أنْ تَــرى فَوْقَهــا النّــدى إكلِــيلا
والّــذي نَفسُــهُ بغيــرِ جَمــالٍ لا ❊ يَــرى فِي الوُجــودِ شَــيْئاً جَمِيــلا
أحْكَــمُ النَّــاسِ فِي الحَيــاةِ أنــاسٌ ❊ عَلّلوهَــا فأحسَــنُوا التَّعلــيلا
فتَمتــعْ بالصُّبــحِ مــا دُمــت فِيــه ❊ لا تَخــفْ أنْ يــزُولَ حَتــى يَــزولا
أدرَكــتْ كُنْهَهــا طُيــورُ الرَّوابِــي ❊ فَمِــن الْعَــار أنْ تَظــلَّ جّهُــولا[546]

وهكــذا نجــد أنّ التجــارب التــي عاشــها الرابطيــون، جعلــت قصائدهــم تتلــون بألــوان الحــزن والأسى تــارة، وأخــرى بألــوان الطبيعــة المتفائلــة، وبالتــالي تميــز شــعرهم بالنزعــة التفاؤليــة والتشــاؤمية، وخــدم القيــم والمثــل العليــا للإنســانية التــي كانــت هاجســهم في الحيــاة، وســجلوا أروع الآثــار في تاريــخ الأدب العربــي بهــذه النزعــة.

(546) المرجع السابق، ص552.

# الفصل الخامس

# الخصائص التعبيرية لشعر الرابطة القلمية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

## اللفظ والأسلوب

المبحث الثاني

## المعاني والصور

المبحث الثالث

## الأوزان والقوافي

المبحث الرابع

## آراء النقاد في أدب الرابطة القلمية

# المبحث الأول
# اللفظ والأسلوب

قامت الرابطة القلمية في المهجر الشمالي على التجديد الحر في ألفاظ الأدب وأساليبه، بجانب ما نهضت به مِن التجديد في المضمون والأفكار، فقد استهدفت رسالتها الخروج بالأدب مِن دور الجمود والتقليد إلى دور الابتكار والتجيد[547].

ومِن هنا كانت ثورتهم لبث الروح في جسم الأدب العربي، حتى يخلقوا أدباً حيّاً قوياً متفاعلاً مع الواقع والحياة لا يطغى فيه جانب الشكل على الفكرة والمضمون[548].

وقد اعترف ميخائيل نعيمة بقيمة الجمال الفني في الأدب، والمواءمة بين الفكرة والعبارة، حيث يقول: «إنّ عنصر الجمال هو أوّل عناصر الشعر، والجمال لا يشرق إلّا معتمداً على ركنيه المعنوي والشكلي، فإذا تداعى أحدهما انهار البناء كله»[549].

غير أنّ رغبتهم في التخلص مِن القيود، وإحساسهم بأنّ التمسك بالصياغة القديمة وقواعدها قد يجرهم إلى هذا التقليد الجامد الذي يحاربونه، ثم هجرتهم في سن مبكرة قبل أنْ تكتمل ثقافتهم اللُّغوية العربية، ووجودهم في جو أجنبي خالص بعيد عن معاقل اللُّغة ومصادرها، لا يتحدثون فيه بالعربية إلّا نادراً؛ كل ذلك ساقهم إلى التسامح اللُّغوي وعدم المبالاة وارتكاب الضرورات التي ألفوها حتى أصبحت شيئاً مألوفاً، وطريقة مرسومة[550].

إنّ الرابطيين عاشوا في بيئة أجنبية وكانوا يتكلمون لغة البلاد الأجنبية في معظم معاملاتهم وأغلب أوقاتهم، ولكنّهم حين كان يجلس الواحد منهم لينظم قصيدة، فقلما كان يستوحي في نظمه غير موضوعات وطنه ومناظر بلاده وأخبار أهله وجماعته؛ ومِن هنا فإنّ الألفاظ والأساليب التي سيعبر بها عن هذه الحالات الشعرية لا بد أنْ تكون شرقية صميمة، مستوحاة مِن صميم الموضوع، وقد كانوا يتوخون استخدام الكلمات الخفيفة الموحية والألفاظ السائغة السهلة، مراعين في ذلك شيوع الكلمات وقربها إلى النفوس، التي لا يجد المرء صعوبة في قراءتها ولا في حفظها[551]. يقول ميخائيل نعيمة: «إنّ أدباء المهجر أنتجوا ما أنتجوا وهم بعيدون عن ديار العربية ومعاقلها الأصلية، والصراع العنيف الذي لا بد لهم مِنه في المهجر لا يترك لهم متسعاً مِن الوقت للانصراف إلي التعمق في

---

(547) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص409.

(548) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(549) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص182.

(550) الأدب العربي في المهجر، مرجع سابق، ص410.

(551) نادرة جميل سّراج، شعراء الرابطة القلمية، ص271.

درس اللغة، وأكثرهم يكتب ولا قاموس بجانبه، بل يكتب متوكلاً على ذاكرته وما وعته مِن مفردات اللغة، مسوقاً بفكرة ملحاحة أو عاطفة لجوجة يهمه أنْ يبرزهما جميلتين صادقتين، أكثر مما يهمه أنْ يتحاشى الوقوع في هفوة صرفية أو نحوية أو استعمال كلمة على غير الوجه الذي أقرته القواميس»[552]. وليس معنى هذا أنّهم يكثرون مِن استخدام الألفاظ العامية، بل على العكس، إنّنا لا نجد في دواوينهم سوى كل فصيح مليح؛ ولا مانع عندهم في الوقت نفسه، مِن اللجوء إلى بعض هذه الألفاظ العادية إذا وجدوها ملائمة للغرض وافية بالمطلوب غير قبيحة أو سخيفة، وقد عاب بعض النقاد على جبران خليل جبران استخدامه كلمة «تحمم» بدل «استحم» حين قال في قصيدة «المواكب»:

**هَلْ تَحَمَّمْتَ بِعِطْرٍ وتَنَشَّفْتَ بِنُورْ؟**
**وَشَرِبْتُ الفجرَ خَمْراً فِي كؤوسٍ مِن أثِيرْ؟**[553]

والقارئ في ديوان «الأيوبيات» لرشيد أيوب، يلاحظ أنّه يستخدم أحياناً بعض الألفاظ الأجنبية في صورة كلمات عربية يعرّبها هو ويدخلها في شعره، مِن مثل قوله، في وصف مدينة نيويورك:

**كَأنّي «بالصّبْواي» يَوْمَ تَجَمْهَرتْ * بِهَا النّاسُ خِلْتُ النّاسَ فِي مَوْقِفِ الحَشْر**
**تَرُوحُ بَهَا «الكَارَات» مَلأَى خَائفاً * وتَرْجَعُ فِيْهَا مُثْقَلات إِلى الجِسْر**[554]

فنلاحظ أنّ كلمتا الصبواي، والكارات أخذتا مِن الأنجليزية، وفي قطعة أخرى بعنوان «يا زمان» يقول رشيد أيوب:

**لَوْ طرْتُ أَعْلَى السَّماءِ مُحَلِّقاً كالزابِلينْ**[555]

والزابلين هو الاسم الأجنبي الذي أطلق على أوّل طائرة اخترعها الغربيون، وهو بالإنجلزية «Ziplin» ؛ ويقول في نفس المقطوعة:

**لا بُدَّ أَنْ أَقْوَى عَلَيْكَ مظَفَّراً لّوْ بَعْدَ حِينْ**
**حَتّى ولَوْ هَاجَمْتَنِي تَحْتَ الْمِيَاه «بصَبْمَرينْ»**[556]

والكلمة الأخيرة هنا كلمة أجنبية Submarine“» وهى بمعنى الغواصة المائية التي تستخدم في أوقات الحرب[557].

(552) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص411.

(553) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة (الشعر)، جمع وتقديم أنطوان القوّال،ص33.

(554) رشيد أيوب، ديوان الأيوبيات ، ص 19.

(555) المرجع السابق ، ص32.

(556) المرجع السابق ، ص 24.

(557) نادرة جميل سّراج، شعراء الرابطة القلمية، ص272.

ومِـن هنـا كانـت ثـورة النقـاد عـلى أدبهـم واتهامـه بالركاكـة اللفظيـة والخـروج عـلى قواعـد اللغـة وأصولهـا، حتـى رأينـا جـبران خليـل جـبران يـرد عليهـم بقولـه: «لكـم لغتكـم ولي لغتـي...»، ورأينـا ميخائـل نعيمـة يقـول: « يطالـع ضفـادع الأدب مـا نكتـب وننظـم فيقولـون: نعمـا الأفـكار، ونعمـا العواطـف ونعمـا الأسـلوب، ولكـن اللغـة ... كأننـا نلقـي عليهـم دروسـاً في اللغـة، الإنسـان أوجـد اللغـة، ولـم توجـد اللغـة الإنسـان، فهـي تحيـا بـه لا هـو يحيـا بهـا، وهـي تتغـير بتغـير أطـواره، لـه أنْ يديرهـا بعاطفتـه وفكـره، فيسـتعمل اشـتقاقاً لـم يسـبق لغـيره اسـتعماله، ويصـوغ كلمـة لـم ينقلهـا القامـوس عـن لسـان أبنـاء الباديـة»[558].

ونلاحـظ أنّ الطابـع الشـكلي عنـد الرابطيـين، يتجـلى في حريـة اسـتخدام اللفـظ، كمـا يهديهم إليـه حسـهم وذوقهـم؛ وفي اختيارهـم للتعبـير عمـا تجيـش بـه نفوسـهم مِـن المعانـي والأفـكار؛ وعـن هـذا المنحـى يقـول حسـن جـاد: «التعبـير عندهـم لا يـراد لذاتـه، بـل لمـا يحملـه مِـن مضمـون وروح؛ وهـو بعـد ذلـك تعبـير بسـيط ليـس فيـه زخـرف ولا وشي ولا صنعـة أو زركشـة يكفـي عندهـم أنْ يكـون اللفـظ وحيـاً بالصـورة معانقـاً للفكـرة»[559].

ومـا دمنـا في الحديـث عـن الألفـاظ، فقـد يكـون مِـن المناسـب إثبـات ملاحظـة عامـة وجدناهـا عنـد الكثيريـن مِـن هـؤلاء الشـعراء؛ هـي أنّهـم كثـيراً مـا يسـتخدمون ألفاظـاً تـدل عـلى ذوق موسـيقي عـام عندهـم، ومعرفـة بـالآلات والأنغـام والألحـان؛ فالموسـيقى ليسـت شـائعة في أنغـام الأبيـات فحسـب، بـل تـبرز في ألفـاظ معينـة منثـورة في دواوينهـم وسـطورهم؛ إنّهـم كثـيراً مـا يتحدثـون عـن العـود والنـاي والمزمـار، وكثـيراً مـا يخاطبـون الكمنجـة والقيثـارة وينشـئون عـلى ألحانهـا أشـعارهم، فـإذا قرأنـا ديـوان «هـي الدنيـا» لرشـيد أيـوب، لوجدنـاه أكثـر ميـلاً إلى هـذه الناحيـة الموسـيقية الغنائيـة، ومِـن ذلـك قولـه:

**هَاتِ الكَمَنْجَةَ هَاتِهَا اللهُ فِي نَغَماتِهَا**
**وَأَعِدْ عَلَى سَمْعِي حَدِيثَ الحُبِّ مِنْ رَنَّاتِهَا**[560]

وأبو ماضي يقول في خمائله:

**لا تَسْـأَلُونِي اليَـوْمَ عَـنْ قَيْثَارَتِـي * قَيْثَارَتِـي خَشَـبٌ بِـلَا أَنْغَـامِ**[561]

وليـس غريبـاً عـلى شـعراء مرهفـي الحـس مثـل شـعراء الرابطـة القلميـة أنْ يكثـروا مِـن اسـتعمال مثـل هـذه الكلمـات الموحيـة والألفـاظ الرقيقـة، فقـد يلاحـظ كل مَـن يقـرأ

(558) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص410.

(559) حسن جاد حسن ، الأدب العربي في المهجر، ص411.

(560) رشيد أيوب، ديوان : (هي الدنيا)، ص230.

(561) إيليا أبو ماضي ، ديوان (الخمائل ) ، ص423.

دواوينهـم ومؤلفاتهـم أنّهـم لا يسـتخدمون مِـن الألفـاظ إلاّ مـا كنـت غايـة في الدقـة مليئـة بالقـدرة عـلى إثـارة الإحسـاس تشـعّ منهـا الثقافـة والمعرفـة والفهـم الصحيـح لنواحـي الحيـاة المختلفـة[562].

أمّـا مِـن حيـث الأسـاليب الشـعرية فنجـد عنـد مجموعـة شـعراء الرابطـة القلميـة ميـلاً إلى اسـتخدام الأسـلوب القصـصي في بعـض قصائدهـم ومقطوعاتهـم، وهـي غالبـاً مِـن النـوع العاطفـي أو التأمـلي الحزيـن، مثـل قصـة «الشـيخ والفتـاة» لرشـيد أيـوب، وقصـة «الشـاعر والملـك الجائـر» لإيليـا أبـو مـاضي و «الأسـطورة الأزليـة» لـه أيضـاً.

وهـم أحيانـاً يسـتخدمون الأسـلوب الحـواري في شـعرهم القصـصي وغـير القصـصي، ويكون الحـوار عـادة عندهـم بـين شـخصين أو أكثـر حسـب موضـوع القصيـدة، وكثـيراً مـا يجـرد الشـاعر مِـن نفسـه شـخصية يحاورهـا ويكلمهـا؛ وقـد عالجـوا أكثـر موضوعاتهـم الإنسـانية بطريـق الحـوار القصـصي الجميـل، ونظمـوا كثـيراً مِـن القصـص الشـعرية عـلى لسـان: الحيـوان والنبـات والجمـاد، وكانـت تلـك المنظومـات لا تحيـد عـن الغرض الإنسـاني فيمـا ترمـز إليـه مِـن أفـكار، ومـا تعالجـه مِـن موضوعـات، ومِـن أمثلـة ذلـك قصيـدة إيليـا أبـو مـاضي « التينـة الحمقـاء»، فيقـول فيهـا:

**وَتِيْنَــةٍ غَضَّــةِ الأَفْنَــانِ بَاسِــقةٍ * قَالَــتْ لأتْرَابِهَــا والصّيْــفُ يَحْتَــضِرُ**
**لَأَحْبِسَــنَّ عَــلَى نَفْــسِي عَوَارِفهَــا * فَــلا يبِــين لَهَــا فِي غَيْرِهَــا أَثّــرُ**
**وَظَلّــتْ التِيْنَــةُ الحمْقَــاءُ عَارِيــةً * كَأنّهــا وَتــدٌ فِي الأرْضِ أوْ حَجَــرُ**

إلى أنْ يقول:

**وَلَـمْ يطِـقْ صَاحِـبُ البُسْـتَانِ رُؤيَتَهـا * فاجْتَثَهــا فهَــوَتْ فِي النَّــارِ تَسْــتَعِرُ**
**مِـنْ لَيْـسَ يَسْـخُو بِمَـا تَسْـخُو الحَيـاَة بِـهِ * فإنّــهُ أَحْمَــقٌ بالحِـرْصِ يَنْتَحِـرُ[563]**

نلاحـظ مِـن خـلال هـذا الأسـلوب الرمـزي الجميـل، أنّ إيليـا أبـو مـاضي يدعـو الإنسـان للبـذل والعطـاء، وأنْ يكـون ذا فائـدة وقيمـة في مجتمعـه، فـإذا مـا خـلا مِـن فائـدة وقيمـة مفيـدة كان الـزوال بـه أجـدر والفنـاء بـه أحـق[564].

وقـد سـمى الدكتـور منـدور أدب المهجـر «بـالأدب المهمـوس»، ويقـول عـن ذلـك: «الهمـس في الشـعر ليـس معنـاه الضعـف، فالشـاعر القـوي هـو الـذي يهمـس فتحـس صوتـه

(562) نادرة جميل سّراج، شعراء الرابطة القلمية، ص275.

(563) إيليا أبو ماضي، ديوان (الجداول)، ص64.

(564) ميرغنـي حمـد ميرغنـي، النزعـة الأنسـانية في شـعر أبـي مـاضي، مجلـة الجزيـرة للعلـوم التربويـة والإنسـانية، مجلد41،العـدد الأول، 7102، ودمدني، السودان، ص881.

خارجاً مِن أعماق نفسه في نغمات حارة»[565]؛ فهو أدب روحي شفاف يخاطب الأرواح قبل الآذان، ويتحدث إلى المشاعر قبل الأسماع، فهو لايعتمد على الجرس المجلجل، أو الديباجة الآسرة، كما كان الشعر العربي يعتمد على ذلك مِن قبل[566].

يقول حسن جاد حسن معلقاً على ما أسماه دكتور مندور» الأدب المهموس»: «والحق أنّ هذا الأسلوب قد استمد همسه ورقته ورهافته مِن إحساسهم المرهف بالحنين، وشعورهم المرير بالغربة، ونفوسهم التي اعتصرها ألم الكفاح والتأمل، وأرواحهم التي شفها الوجد، وصهرها الحرمان»[567].

إنّ هذا الأسلوب الهامس الرهيف يشيع برقته الغنائية في أدب المهجر بصفة عامة؛ وحسبنا أنْ نقرأ – مثلاً – شعر أبي ماضي لنعرف مدى هذه الرقة وما فيها مِن بساطة التعبير، وإيحاء اللفظة الشاعرة، ومِن ذلك قوله في قصيدته «ابتسم»:

**قَالَ: السّمَاءُ كَئيبَةٌ! وتَجَهّمَا * قُلْتُ ابْتَسِمْ يَكْفِي التّجهّم فِي السّما**
**قَالَ: الصّبَا وَلّى! فقُلْتُ لَهُ: ابْتَسِمْ * لَن يُرْجَعَ الأسَفُ الصّبَا المُتَصرّمَا[568]**

وهكذا نرى الأسلوب المهجري يبدو في بساطته، فنراهم ينظمون بأسلوب أقرب ما يكون إلى النثر، مما حدا بالدكتور «محمد عبدالمنعم خفاجي» أنْ ينعتهم بأنّهم «مِن صفوة شعراء المعاني»[569].

ونلاحظ أنّ شعراء الرابطة القلمية، أكثر حرية في اللُّغة، وتجديداً في الألفاظ والأساليب، مِن غيرهم في المهجر؛ فقد كانوا يؤمنون بالتجديد في الشعر، ويرون الشعر صورة متحركة نابضة بالحياة، لا يطغى عليها الأسلوب، يقول أبو ماضي في مطلع ديوانه «الجداول»:

**لَسْتَ مِنّي إنْ حَسِبْتَ الشّعْرَ أَلْفَاظاً ووَزْنَا**
**خَالَفت دَرْبَكَ دَرْبِي ، وانْقَضَى مَا كَانَ مِنَّا**
**فانْطَلِقْ عَنّي لئلا تَقْتَنِي هَمّاً وحُزْنَا[570]**

(565) محمد مندور، في الميزان الجديد ، ط1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2020، ص59.

(566) ينظر: محمد مندور، في الميزان الجديد ، ط1، ص59 وما بعدها.

(567) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص412.

(568) إيليا أبو ماضي، ديوان (الخمائل)، ص270.

(569) محمد عبدالمنعم خاجي، قصة الأدب المهجري، ص149.

(570) إيليا أبو ماضي، ديوان (الجداول)، ص9.

## المبحث الثاني
# المعاني والصور

إنّ الأدب المهجـري يتسـم بدقـة الحـس، وعمـق الشـعور، وخصوبـة الخيـال، وحريـة التفكـير، وشـبوب العاطفـة، وجـدة الصـور، وجمـال التصويـر[571].

إذن التصويـر البـارع فـن المهجريـين الذيـن اسـتوحوه مِـن إحساسـهم المرهـف وعمـق نظرهـم إلى الحيـاة، واسـتغراق شـعورهم في الطبيعـة، ومِـن البيئـة التـي عاشـوا فيهـا، ثُـمَّ ممـا اسـتوعبوه مِـن الآداب الأجنبيـة، ومِـن خـلال النمـاذج التاليـة يتضـح لنـا هـذا الفـن التصويـري البـارع في أدبهـم:

إنّ جـبران خليـل جـبران قـد كان زعيـم الفـن التصويـري، يرسـم بقلمـه كما يرسـم بريشـته صـوراً مجسـمة تمـوج بالفتنـة والسـحر والجمـال، فيقـول بلسـان المطـر: «أنـا خيـوط فضيـة تطرحنـي الآلهـة مِـن الأعـالي، فتأخذنـي الطبيعـة، وتنمـق بـي الأوديـة، أنـا لآلـئ جميلـة نثـرت مِـن تـاج عشـتروت، فسرقتنـي ابنـة الصبـاح ورصعـت بـي الحقـول»[572].

وهـو الـذي يقـول: «وأنـا الواقـف هنـاك وقـوف المـرآة أمـام الأشـباح السـائرة – وأصبـح المنـزل كقيثـارة مقطعـة الأوتـار- أنفـذت الشـمس أشـعتها إلى الغرفـة في يـوم بـرده عضـاض ولكـن أنيابـه مِـن ذهـب؛ أسـخر مِـن العمـل سـاعات بـكارى مِـن حياتـي لعـدد مِـن الريـالات الموسـات»[573].

ويصور لنا الشاعر إيليا أبو ماضي «مجنوناً» يطيل النظر إلى السماء، فيقول:

**كَأنّمَـا يَرْقُـبُ رَكْبَـاً صَاعِـدَاً * أوْ هَابِطـاً ولَيْـسَ غَـيرَ الآلِ**
**كَأنّمَـا يَخْـشَى عَـلَى الْهِـلَالِ * وَسَـائرِ الشُّـهُبِ مِـنَ الـزّوَالِ[574]**

ويقول نسيب عريضة:

**حُزْنِـي غُنَـاي فَلَـوْ فَرقتُـه هِبَـة * عَـلَى النّفُـوسِ لأثْـرَتْ أنْفُسَ النَّـاس[575]**

ولعنـا نذكـر تلـك الصـورة الحيـة الرائعـة التـي جلاهـا الشـاعر ميخائيـل نعيمـة، التـي يـوازن فيهـا بـين الفقـير والغنـي قائـلاً:

---

(571) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص418.
(572) المرجع السابق، ص914.
(573) المرجع السابق، الصفحة نفسها.
(574) إيليا أبو ماضي ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 327.
(575) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص24.

يَـــا حَاشِـــدَ الأمْـــوَالِ فِلْسَـــاً إِلَى * فِلْـــسِ تَكِـــدُّ اللَيْـــلِ قَبْـــلَ النَّـــهَارْ
أَيَـــــامُهُ صُـــــــــفْرٌ كَأعـــوَامِـــــهِ * لَا لِـــوْنَ فِيْهَـــا غَـــيْرَ لَـــوْنِ النُّضّـــارْ[576]

وعــلى هــذا النحــو نــرى أدب الرابطــة القلميــة، شــعره ونثــره، غنــي بالصــور الجديــدة والأفــكار المبتكــرة، والمعانــي المولــدة.

ومِــن أبــرع الصــور التــي تجعلــك تقــف متأمــلاً تلــك الصــورة التــي رســمها لنــا الشــاعر إيليــا أبــو مــاضي في تصويــر الســعادة، حيــث نقــف أمام شــئ لــه جســم وروح نكاد نلمســه مِــن خــلال تلــك الجزيئــات المتضامنــة فيمــا بينهــا، مازجــاً بــين وجدانــه والطبيعــة[577]، حيــث يقــول:

وَأَرَى السَّـــعَادَةَ لا وُصُـــول لِعَرْشِـــهَا * إِلّا بِأَجْنِحَـــةٍ مِـــنَ الوِسْـــوَاسِ
فَـكأَنَّ مَـا هِـي صُـوْرَةٌ زَيْتِيّـةٌ للشَّـطِّ * فِيْـــهِ مَـــــرَاكِبٌ وَمَـــراسِي
تَبْـدُو لِعيْنَيـكَ السَّـــفائِن عُوَّمَـــاً * وتَـــكَادُ تَسْـــمَعُ رِعْشَـــةَ الأَمْـــرَاسِ
لَكِـنْ إِذَا أَدْنَيْتَهَـا ولَمِسْـتَهَا لَـمْ تَلْـقَ * غَـــيْرَ الصّـــبغِ وَالقِرْطَـــاسِ[578]

وكذلــك إيليــا أبــو مــاضي يصــور لنــا الحــزن كأنــه شــئ مــادي، نلمســه ونــراه، حــين يقــول:

وَلَا حُسْـــنٌ فِي نَاظِـــريَّ وَقَلَّمَـــا * فَتَحْتُهَـــا مِـــنْ قَبْـــلُ إِلَّا عَـــلَى حُسْـــنِ
وَمَـــا صُـــوَرُ الأَشْـــيَاءِ بَعْـــدَكَ غَيْرِهَـــا * ولَكِنَّمَـــا قَـــدْ شَـــوَّهَتْهَا يَـــدُ الحُـــزْنِ[579]

فنــرى مِــن خــلال هــذا التصويــر الفنــي البديــع، ميلهــم إلى التشــخيص والتجســيم والتجريد؛ فضــلاً عــن ارتباطــه بمقومــات مدرســتهم التجديدية.

ومِــن ملامــح التصويــر البديــع الغنــي بالشــعور والعاطفــة، مــا نجــده عنــد نعيمــة في ديوانــه «همــس الجفــون»، فلننظــر إلى تلــك الصــورة الرائعــة في قصيدتــه «النهــر المتجمــد»، التــي يرســمها للنهــر الــذي حبســه الصقيــع، حتــى إذا جــاء الربيــع بعــث فيــه الحيــاة، فاندفعــت أمواجــه نحــو البحــر، مليئــة بــأسرار الليــل فرحــة بضيــاء النهــار:

لَكِنْ سَينْصرفُ الشّتا وتَعودَ أيّامُ الرّبيــع

فَتّفكّ جِسْمَك مِنْ عِقَالٍ مَكّنته يدُ الصّقيع

---

(576) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص13.

(577) فوزي يوسف إبراهيم ، شعر المهجر قضاياه ومميزاته ، ص941.

(578) أبو ماضي ،الأعمال الشعرية الكاملة ، ص783.

(579) المرجع السابق، ص534.

وَتَكِرّ مَوجتُك النقيّةُ حُـرّةً نَحو الْبِحَار
حُبْلَى بأسْرارِ الدُّجَى سَكْرَى بأنْوَارِ النَّهَار[580]

وكذلــك نجــد إيليــا أبــو مــاضي في قصيدتــه «المســاء»، حيــث يرســم لنــا صــورة رائعــة يســتمد مشــاهدها الحيّــة مِــن الطبيعــة، تحــس بروعــة التصويــر فيهــا، فيقــول:

السُّحْبُ تَرْكُضُ فِي الفَضَاءِ الرَّحْبِ رَكْضَ الخَائفِينْ
والشّمْسُ تَبْدُو خَلْفَهَا صَفْرَاءَ عَاصِبةَ الجَبِين[581]

يقــول فــوزي عبيــد في بحثــه «شــعر المهجــر»، عنــد تناولــه للصــور والأخيلــة في شــعر المهجــر: «فهــم لــم يقتــصروا عــلى الخيــال الجزئــي الــذي يعتمــد عــلى المجــاز والتشــبيهات والاســتعارات، وإنّمــا عــبروا عــن تجاربهــم وخواطرهــم الوجدانيــة بالصــورة الكليــة التــي تصــور مشــهداً كليــاً؛ فهــم ينتقلــون مِــن الصــورة الجزئيــة إلى الصــورة الكليــة في مشــهد يجمــع بــين مجموعــة مِــن الصــور، يجعــل منهــا صــورة متآلفــة مترابطــة نابعــة مِــن وجــدان الشــاعر وأحاسيســه»[582].

وقــد جــاء أدب الرابطــة القلميــة عــلى وجــه الخصــوص، غنيــاً بالمعانــي الجديــدة، وأكثرهــم حظــاً في هــذا الجانــب جــبران خليــل جــبران، كمــا يقــول وديــع ديــب في كتابــه «الشــعر العربــي في المهجــر الأمريكــي»: «لقــد جــاء الأدب الجبرانــي غنيــاً بالمعانــي الجديــدة، بحيــث أوجــد لنفســه مدرســة تعــرف باســمه؛ ولعلــه أكثــر أدبــاء المهجــر حظــاً مِــن هــذا التجديــد، وجديــده هــذا هــو نتــاج الشــاعرية والتصويــر معــاً»[583].

ومِــن المعــروف أنّ جــبران خليــل جــبران كان شــاعراً ورســاماً وعازفــاً، فجــاءت معانيــه تلبــس غلالــة مِــن الظــلال الملونــة، فــإذا أخذنــا نمــاذج مِــن مختاراتــه، مثــلاً ([584]):

1. لَقَدْ كُنْتُ فِي الأَمْسِ مِثْلَ مَائِدةٍ شَهِيّة.
2. وَتَطَاولتْ أَشْبَاحُ الصّخُورِ وَخَيَالاتِ الأَجَار.
3. وَوَقَفْتْ نَاظِرةً بِعيونٍ مُغْلّفَةٍ بِالدّمُوع.
4. وَالنَّهْرُ يَتَراكَضُ كَأَحْلَامِ الْمُجْرِمِين.

نلاحــظ في النمــاذج المختــارة الســابقة مِــن أدب الشــاعر والأديــب جــبران خليــل جــبران، أنّهــا تشــابيه وكنايــات، تجمــع بين ظــلال المــادة، ومجــاز المعنويــات الذهنيــة؛ وإنْ كان الأدب

(580) د ميخائيل نعيمة، يوان همس الجفون، ص9.

(581) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة ،ص592.

(582) فوزي يوسف إبراهيم ، شعر المهجر قضاياه ومميزاته ، ص153.

(583) وديع أمين ديب، الشعر العربي في المهجر الأمريكي، ص50.

(584) ينظر:المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران المعربة، (د.ط)، 1964، دار صادر، ودار بيروت، بيروت، لبنان .

في العصور الأدبية التي سبقت العصر الحديث خلت مِن هذه المعاني، بيد أنّ هذه المعاني تكثر في الأدب المهجري إلى حد يسترعي الانتباه، بحيث تخلع علينا طابعاً قشيباً[585].

ومِن هذه المعاني الطريفة أيضاً، قول الشاعر والأديب ميخائيل نعيمة في قصيدته «ترنيمة الصباح»:

**هَلّلي هلّلي يَا رِياحْ وانْسِجي حَوْل نَوْمِي وِشَاحْ**
**مِنْ خَرِيرِ الْغَديرْ واهْتِزازِ الأثِيرْ**
**وَاخْتِلاجِ الْعبَيرْ فِي دُموعِ الصّباحْ**
**هلّلي يَا رِياح[586]**

وقول أبو ماضي، في قصيدته «الأسطورة الأزليّة»:

**وَتَزْحَمُ الحَسْنَاءُ مَمْكُورَةً * خَلاَّبَةً كَالرّوْضَةِ الحَالِيَةْ**
**دَميمَةٌ تُشْبهُ فِي قُبْحها * مَدينَةً مَهجُورةً عَافيةْ[587]**

وهكذا ينفرد أدب الرابطة القلمية، عن أي أدب عربي سابق، بوفرة ما فيه مِن الصور البيانية الجديدة، وجدتها هي في أنّها تنعكس عن حالات الموجودات انعكاساً شعورياً، يلامس وضعها مِن بعيد أو قريب[588].

وشعراء المهجر- ولا سيما مجموعة الرابطة القلمية - يؤمنون بأنّ اللُّغة وسيلة لا غاية، وأنّ الغاية التي تقصد في الشعر هي المعنى والفكرة، ويكفي في نظرهم أن تومئ الكلمة إلى المعنى إيماء، ولكن ليس معنى هذا أنّهم يتغافلون عن استعمال اللُّغة تطرفاً مِنهم في ثورتهم، بل إنّ هذا يعني أنّهم يُقدِّمون الفكرة على كل شيء([589]). وقد استهوتهم المعاني، لما رأوا الأدب مكبلاً بقيود الصناعة اللفظية في العصر التركي، والشعراء قد وقعوا في إسار اللفظ، حتى باتت الكلمات في الأدب لا تحمل معنًى أكثر مما يقتضيه الرصف الذي لا معنى له[590]؛ وقد أحس شعراء المهجر بهذا الجمود فثاروا على الضعف في الأدب شكلاً ومضموناً، فكانوا أكثر اعتداداً بالمعنى دون اللفظ، فالألفاظ عند ميخائيل نعيمة رمز لا قيمة له في نفسه، كما يقول: «بل قيمتها فيما

(585) وديع أمين ديب، الشعر العربي في المهجر الأمريكي ، ص51.

(586) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص85.

(587) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص382.

(588) وديع أمين ديب، الشعر العربي في المهجر الأمريكي، ص52.

(589) محمد مصطفى هداره، التجديد في شعر المهجر، ص191.

(590) محمد عبدالغني حسن ، الشعر العربي في المهجر، ص102.

ترمز إليه مِن فكر ومِن عاطفة»[591]؛ ويؤكد جبران خليل جبران ما ذهب إليه ميخائيل نعيمة، قائلاً: « فالشاعر لا يطلب في اللغة إلّا الروح والجوهر»[592]، ويؤكد أبو ماضي ما ذهب إليه جبران ونعيمة، فالمعاني – عنده – في المرتبة الأولى في الشعر، إلّا أنّه لا يهمل المبنى الجميل، فيرى أنّ السِّرَّ في المعاني لا المباني، على أنّ المعنى الجميل يستلزم أنْ يكون مبناه جميلاً»؛ وقدعبَّر أبو ماضي عن اهتمامه بالمعنى، وأعلن ثورته على الذين لا يرون في الشعر إلّا الألفاظ والأوزان، قائلاً:

**لَسْتَ مِني إنْ حَسِبْتَ الشّعرَ أَلْفاظَاً وَوَزنَا**

**خَالَفْتُ دَرْبكَ دَرْبِي وانْقَضى مَا كانَ مِنّا**[593]

إلّا أنّ اهتمامهم بالتجديد في المعاني لم يصرفهم عن الاحتفال بالعبارة والرقة في التعبير، والتأنق في الإنشاء الزاهي، فالمعاني عندهم قريبة متعمقة، استمدت الكثير مِن أجواء العلم والفن الغربي الرفيع، ومِن هذه المعاني الجديدة المولدة ، قول نسيب عريضة:

**حُزْنِي غُنَاي لَوْ فَرقْتَهُ هِبة * عَلَى النُّفُوسِ لأثْرتْ أنْفُسَ النَّاسِ**[594]

ونرى إيليا أبو ماضي، يتحفنا بهذه المعاني الجديدة، في قوله:

**أنَا مِنْ ضَمِيري سَاكِنٌ مَعقَلٍ * أنَا مِنْ خِلالِي سَائرٌ في مَوْكِبِ**

**فَإذَا رَآنِي ذُو القَبَاوَةِ دُونهُ * فَكما يُرَى فِي المَاءِ ظِلُّ الكَوْكَبِ**[595]

إنّ هذه الروح الجديدة في أدب الرابطة القلمية، يلخصها لنا ميخائيل نعيمة – مستشار الرابطة –، الذي نظّم قانونها وصاغ مقدمته، فيقول في هذه المقدمة: «ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس أدباً ولا كل من حرر مقالاً أو نظّم قصيدة موزونة بالأديب، فالأدب الذي نعتبره هو الأدب الذي يستمد غذاءه مِن تربة الحياة ونورها وهوائها، والأديب الذي نكرمه هو الأديب الذي خص برقة الحس ودقة الفكر وبعد النظر في تموجات الحياة وتقلباتها، وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة في نفسه من التأثير»[596].

(591) ميخائيل نعيمة ، الغربال ، ص401.

(592) حبيب مسعود، جبران حياً وميتاُ، ط2، 6691، دار الريحاني، بيروت، لبنان، ص231.

(593) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 555.

(594) نسيب عريضة ديوان الأرواح الحائرة.

(595) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص243.

(596) ميخائيل نعيمة، مجموعة الرابطة القلمية لسنة 1291، ص4.

## المبحث الثالث

# الأوزان والقوافي

إنّ التجديد في الأوزان والقوافي الشعرية قديم في الشعر العربي، غير أنّ شعراء المهجر قد أسرفوا في هذا التجديد، وأكثروا مِن التصرف في الأوزان والقوافي العربية، وثاروا على نظامها التقليدي، وافتنوا في تنويع الأصوات، وتوسعوا في توزيع التفاعيل، وصبها في قوالب جديدة، كما أكثروا مِن الموشحات، وزادوا على نظامها المألوف، وتحرروا مِن قيود القافية الواحدة والبحر الواحد»[597].

وجاء في المقدمة التي كتبها ميخائيل نعيمة لمجموعة الرابطة القلمية: «إنّ الرابطة القلمية ما كانت لتقدم هذه المجموعة إلى قراء العربية لولا اعتقادها بأنّها قد اتخذت مِن الأدب رسولاً لا معرضاً للأزياء اللغوية والمهجرية العروضية»[598]؛ فالمسائل اللفظية والبيانية لم تكن تعني شعراء الرابطة القلمية بقدر ما كانت تعنيهم المعاني التي يريدون التعبير عنها في شعرهم، ومِن هنا كان معظم التجديد الذي أحدثوه مِن قبيل التجديد في موضوعات القصائد وأفكارها أكثر مِنه في أوزانها وأساليبها.

ونرى أنْ نقف على أهم مظاهر التجديد، الذي أحدثه شعراء الرابطة القلمية في هذا القالب؛ ومهما يكن مِن أمر هذا التحرر والتجديد فإنّه في الغالب لم يخرج عن التفاعيل العربية المعروفة، كما يقول جورج صيدح: «شعراء المهجر التزموا أول الشعر مِن حيث الوزن والروي، ولكنهم تفننوا تنويع الأصوات وتنسيق الأبيات، فصبوا شعرهم في قوالب مختارة ، لا تقلد العربي القديم ولا الغربي الحديث، كما أبدعوا الحوارات في مطولات وملاحم خلقوا لها تصاميم فنية ملائمة[599]»، ويمكن أنْ نلخص أهم مظاهر هذا القالب الشكلي في عدة صور، ونرفدها بعدد مِن النماذج حتى يتضح الأمر:

أولاً- صاغوا عدداً مِن قصائدهم في القوالب التقليدية الموروثة عن الخليل، ملتزمين البحر والقافية، إلّا أنّهم مالوا إلى التجديد في البحور التي لم يكثر منها الأقدمون بصورة عامة، والتي لا تخرج في المجمل عن الإطار العام للعروض الخليلي؛ فأبو ماضي – مثلاً -، يقول:

---

(597) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص824.

(598) نادرة جميل سّراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص942.

(599) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ، ص47.

أُفَكِّــرُ كَيْــفَ جِئــتُ وَكَيْــفَ أَمْــضِيْ * عَـــلَى رُغْمِـــي فَأَعْيَـــا بِالجَـــوَابِ
أَتَيْــتُ وَلَــمْ أَكُــنْ أَدْرِي مَجِـــيْئِي * وَأَذْهَـــبُ غَـــيْرَ دَارٍ بِالإِيَـــابِ[600]

فقـد التـزم أبـو مـاضي ببحـر الوافـر بأجزائـه السـتة كاملـة (مفاعلتـن مفاعلتـن فعولـن)، والتـزم بالقافيـة، ولـو أفرغنـا الإيقـاع مِـن محتـواه، ووضعنـا أي قصيـدة مِـن العصـور القديمـة، لوجدنـا الإطـار نفسـه بـلا اختـلاف.

ولرشيد أيوب مِن بحر الطويل:

أَلَا لَيْتَ لِي مَـا قَـدْ دَعَـاهُ بَنُـو الـوَرَى * حُطَامَـــاً فَأُعْطِـــي البَائِسِـــيْنَ وَأَنْفَـــحُ
سَـــمُوْحٌ هُـــوَ المَـــرْءُ المُفَـــرِّقُ مَالَـــهُ * وَلَكِـنَّ مَـنْ يُعْطِي مِـنَ القَلْبِ أَسْـمَحُ[601]

ولجبران خليل جبران مِن بحر الكامل:

تِلْــكَ الدُّجُنَّـــةُ آذَنَــتْ بِجَــلَاء * وبَــدَا الصَّبَـــاحُ فَحَــيٍّ وَجْــهَ ذُكَاءِ
العَـــدْلُ يَجْلُوْهَـــا مُقِـــلَّاً عَرْشُـــهَا * وَالظُّلْـــمُ يَعْثِـــرُ عَـــثْرَةَ الظَّلْمَـــاءِ[602]

فهـي عـلى بحـر الكامـل بأجزائـه السـتة كاملـة (متفاعلـن متفاعلـن متفاعلـن)، لـم يخـرج فيهـا عـن الإطـار القديـم، والمنهـج الخليـلي للموسـيقا الشـعرية، وأيضـاً لجـبران خليـل جـبران مِـن بحـر الرمـل:

مَـــاتَ أَهْـــلِي وأنَـــا قيْـــد الحَيَـــاة * أَنْـــدبُ الأَهْـــلَ صَباحـــاً ومَســـاءْ[603]

ولكننـا نلاحـظ أنّهـم لـم يرضـوا عـن جميـع الأوزان التقليديـة الموروثـة عـن الخليـل، وخاصـة تلـك الأوزان ذات البحـور الطويلـة التـي أكثـر منهـا شـعراء العـرب قبلهـم، كالبسـيط والمديـد والطويـل، وبالتـالي نلاحـظ عندهـم ميـلاً إلى اسـتعمال البحـور القصـيرة أو المجـزوءة التفاعيـل في معظـم الأحيـان؛ وخاصـة التـي يتغنـى بهـا؛ كقـول رشـيد أيـوب في قصيدتـه «لسـت منهـم»:

لَمّا أَشَاعُوا بِأَنّي عَجِزْتُ مِنْ كِبَرِ سِنّي
وِمَا لَدَيّ حُطَامٌ وَمَا بِنَفْسِي تَمَنّي
وَفَاخَرُونِي بِمَالٍ وَالمَالُ هَيْهَاتَ يُغْنِي[604]

(600) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص486.

(601) رشيد أيوب، الأعمال الشعرية الكاملة ، تقديم دكتورميشال جحا، ص29.

(602) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة (الشعر) ، جمع وتقديم أنطوان القدال ، ص67.

(603) المرجع السابق، ص38.

(604) رشيد أيوب، ديوان أغاني الدرويش ، ص25.

ثانيـاً- تصرفـوا في البحـور القديمـة المعروفـة بالزيـادة في التفاعيـل أو النقـص أو الزحافـات والعلـل، أو المـزج بـين التـام والمجـزوء ونحـو ذلـك؛ كمـا في قصيـدة إيليـا «الشـاعر في السـماء»، التـي صاغهـا عـلى مخلـع البسـيط، حيـث يقـول:

**رَآنِيَ اللهُ ذاتَ يَومٍ فِي الأرضِ أبْكِي مِن الشّقَاءْ**
**فَرَقَّ وَاللهُ ذُو حَنَانٍ عَلَى ذَوِي الضُّرِّ والْعَنَاءْ**[605]

بتسكين الهمزة، فتصبح (فعولن)، وفي مخلع البسيط (فعولْ)، ولم ترد كذلك[606].

وكذلك فعل نسيب عريضة في رباعياته مِن هذا البحر نفسه، فيقول:

**شَرِبْـتُ كَأْسِي أَمَـامَ نَفْـسِي * وَقُلْـتُ يَـا نَفْـسُ مَـا الْمـرامْ؟**[607]

ونجد نعيمة يستهل قصيدته «ابْتهالات» بمجزوء الرمل، ولكنه يزيد عليه تفعيلة:

**كَحّلِ اللّهمّ عَيْنِي بِشُعَاعٍ مِنْ ضِيَاك كَي تَرَاك**[608]

ثـم ينظـم عـدد مِـن الأبيـات مـن تـام هـذا البحـر، ويعـود إلى المجـزوء عـلى هـذا النظـام، وهكـذا[609].

يقـول ميخائيـل نعيمـة في كتابـه «الغربـال»: «الزحافـات والعلـل أوبئة تنـزل بأوزان الشـعر العربـي فتحـرك سـاكناً، أو تسـكن متحـركاً، وتقضـم حرفـاً هنـا، ومقطعـاً هنـاك»[610]، ويقـول أيضـاً: «فـلا الأوزان ولا القـوافي مِـن ضرورة الشـعر، كمـا أنّ المعابـد والطقـوس ليسـت مِـن ضرورة الصـلاة والعبـادة، فـرب عبـارة منثـورة، جميلـة التنسـيق، موسـيقية الرنّـة كان فيهـا مِـن الشـعر أكثـر ممـا في قصيـدة مِـن مئـة بيـت بمئـة قافيـة»[611].

ونلاحـظ أنّ رؤيـة ميخائيـل نعيمـة عـلى عـروض الخليـل وزحافاتـه وعللـه، أضحـت نظريـة ولـم ينقلهـا إلى طـور التطبيـق في كل أعمالـه الأدبيـة في الشـعر، فمعظـم قصائـده التـي ضُمنـت مجموعتـه الشـعرية الكاملـة، كانـت تجـري عـلى بحـور الخليـل، باسـتثناء قصائـده المترجمـة، فـإذا نظرنـا نظـرة متأنيـة في ديوانـه «همـس الجفـون» نكشـف ولـع شـاعرنا بالبحـور التامـة ومجزوءاتهـا، والتـي تتناسـب مـع مقطوعاتـه الشـعرية، فنجـده

(605) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص755.

(606) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر ، ص429.

(607) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة.

(608) ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص33.

(609) ينظر، المرجع السابق، قصيدة ابتهالات للشاعر ميخائيل نعيمة، ص33 .

(610) ميخائيل نعيمة، الغربال، ص108.

(611) المرجع السابق ، ص116.

يلجـأ لــكل مِــن بحــر الخفيــف، والرمــل، والمتــدارك، والمتفقــارب، والسريــع والطويــل، ومجزوءاتهــا، بالإضافــة إلى مجــزوءات، الكامــل والوافــر والبســيط والرجــز وغيرهــا.[612]

ثالثــاً- أحيانــاً نجــد التفعيلــة الواحــدة هــي أســاس القصيــدة، ثــم يتلاعــب الشــاعر بالتفاعيــل مــا شــاء، عــلى نحــو مــا نجــده في الشــعر الحــر الآن، كقــول نســيب عريضــة في قصيــدة «النهايــة»:

**كَفِّنُوُه**

**أدْفِنُوُه**

**اسْكِنوه**

**هُوَةَ اللّحْدِ الْعَمِيقْ**

**وَاذْهَبُوا لا تَنْدُبُوُه**

**فَهْوَ شَعْبٌ مَيّتٌ لَيْسَ يَفِيقْ**[613]

يقــول الدكتــور عــز الدين إســماعيل في كتابــه «الشــعر العربــي المعاصر»عــن ذلــك: «التفعيلة تصــير أساســاً في بنــاء البيــت الشــعري، يتــصرف فيهــا الشــاعر، بأوضــاع وتشــكيلات تتناســب مــع وقــع أفكارهــا»[614].

والجديــر بالذكــر هنــا، أنّ نســيب عريضــة يُعــدُّ مِــن رواد الشــعر الحــر في عالمنــا العربــي، يقــول الباحــث حســن ســليمان: «الــذي أوقــن بــه أنَّ نســيب عريضــة هــو رائــد شــعر التفعيلــة مِــن قبــل أنْ يدّعــي كلٌّ مِــن نــازك الملائكــة وبــدر الســيَّاب نســبته إلى نفســه، حيــث تــوفيِّ عريضــة عــام 1946م، ونــشرت نــازك الملائكــة مجموعتهــا التــي منهــا قصيــدة «الكولــيرا» أولى قصائدهــا عــن شــعر التفعيلــة عــام 1947م ، وكان حينهــا انتقــل إلى رحــاب اللــه»[615].

رابعــاً- كثــيراً مــا يتصــل صــدر البيــت بعجــزه، وكأنّــه نغــم متماســك ينهمــر انهمــاراً موســيقياً مِــن أولــه إلى آخــره، مرتبــط بمــا قبلــه ومــا بعــده؛ فالقصيــدة كلهــا عندهــم وحــدة واحــدة لا يقــوم فيهــا البيــت بنفســه؛ بــل يجمعــون شــطري البيــت الواحــد في وحــدة متماســكة، كمــا يقــول ميخائيــل نعيمــة في قصيــدة «النهــر المتجمــد»:

**يَا نَهْرُ هَلْ نَضِبتْ مياهُك فانقَطعْتَ عَن الخَرِيرْ؟**

**أمْ قَدْ هَرِمْتَ وخَارَ عزمُك فانثنيتْ عَن المسِيرِ؟**[616]

---

(612) فصل سالم العيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص209.

(613) نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص65.

(614) عزالدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ط5، 4991، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ص81.

(615) حسن سليمان، مظاهر التجديد في الشعر الحديث، رسالة دكتوراة ، كلية الآداب، جامعة النيلين، السودان، 9102.

(616) ميخائيل نعيمة ، ديوان همس الجفون ، ص43.

وكما يقول إيليا أبو ماضي في قصيدة «المساء»:

**السُّحْبُ تَرْكضُ فِي الفَضاءِ الرَّحبِ رَكْض الخَائفِينْ**
**وَالشَّمْسُ تَبدُو خَلْفَهَا صَفْراءَ عَاصِبَةَ الْجَبِينْ**(617)

خامساً- احتذوا حذو شعراء الأندلس في الموشحات، ربما وجدوا فيها متسع للتعبير عن مشاعرهم، والانفكاك مِن قيود الأوزان والقوافي العربية؛ يقول دكتور محمد عبدالغني: «لقد افتّن شعراء المهجر في الأوزان الشعرية، فمال أكثرهم إلى الموشحات، وإنْ كانوا لم يتركوا القصيد العادي؛ ولعلهم وجدوا في الموشح – في تغيير أوزانه وقوافيه – انفلاتاً مِن القافية الواحدة والبحر الواحد، في القصيدة الواحدة»((618)).

ولكن نرى أنّ هناك أسباباً تربط بين المهجريين والأندلسيين، وتذكر أدباء المهجر بالأندلس وتشدهم إليها، وربما لأنّ الأندلس كانت نقطة الانطلاق الأولى في تحرر الشعر العربي وأوزانه، بما استحدثت مِن موشحات وأزجال، فكان مِن الطبيعي أنْ يستفيد المهجريون بهذه الانطلاقة في ثورتهم التحررية الأدبية، وأنْ يجدوا فيها القدوة الهادية، ويسيروا في الطريق الذي مهدته(619).

وقد أتاح لهم غرامهم بالموشحات هذا الانطلاق الحر في اختراع الأوزان التي لم يعرفها الشعر العربي، وأكثروا مِن هذه الموشحات، كما في قول جبران خليل جبران في موشحة له بعنوان «البحر» مِن بحر الرمل:

**فِي سُكُوْنِ اللّيْلِ لَمّا تَنْثَنِي * يَقْظَةُ الإنسَان مِنْ خَلْفِ الحِجابْ**
**يَصْرُخُ الغَابُ أَنَا الْعَزْمُ الّذي * أَنْبَتَتهُ الشّمْسُ مِنْ قَلْبِ التُّرابْ**

**غَيْرَ أنَّ البَحْرَ يَبْقى سَاكتاً**
**قَائِلاً فِي نَفْسِهِ: الْعَزْمُ لِي**(620)

وكقول أبو ماضي مِن بحر»الرمل» في قصيدته «ريح الردى»:

**نَحْنُ مِنْ بَعدَك أسْرَى لِلشُّجُون والكَدَر**
**تَشْتَكِي أرْوَاحُنا ظُلمَ الْمَنون وَالقَدَر** (621)

ولعل جميع شعراء الرابطة القلمية مشتركون في إعجابهم بالتوشيح مِن أوزان الشعر؛

(617) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص295.

(618) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص234.

(619) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص534.

(620) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة (الشعر) ، ص58.

(621) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص279.

فنظـروا في هـذه الموشـحات فوجدوهـا طريفـة بـين الأوزان الشـعرية، مسـتحدثة بالنسـبة لتلـك البحـور القديمـة الشـائعة، فمالـوا إلى اسـتعمالها والإكثـار منهـا، وخاصـة أنّهـم وجـدوا فيهـا طرافـة موسـيقية وأنغامـاً عذبـة سـائغة [622]، ومـن أمثلـة ذلـك، موشـحة جـبران خليـل جـبران «باللـه يـا قلبـي»:

**باللهِ يَا قَلْبِي أُكْتُمْ هَوَاك وَاخْفِ الّذي تَشْكُوه عمَّنْ يَراكْ - تَغْنَمْ**
**مَنْ بَاحَ بالأسْرَارْ يُشَابِهُ الأحْمَقْ**
**فَالصَّمْتُ والكِتْمانْ أَحْرَى بِمَنْ يَعْشَقْ [623]**

ولـم يكتـف شـعراء الرابطـة بتقليـد الموشـحات الأندلسـية، بـل نراهـم يجـددون هـم الآخـرون في أوزان هـذه الموشـحات وفي بحورهـا المختلفـة، فهـذا رشـيد أيـوب ينظم موشـحة في الحنـين يجعـل عنوانهـا «خلّيانـي» وهـي الكلمـة التـي جعلهـا لازمـة لأبيـات المقطوعـة، يبدؤهـا بقولـه:

**يّا خَليْليّ إذا شَطّ الْمَزار بِفُؤادٍ مَاله غيرُ الزّفير**
**وهَمَى دَمْعِي لَدى ذِكْرِ الدّيار خَلّياني [624]**

فنلاحـظ أنّ رشـيد أيـوب في موشـحته، جمـع فيهـا بـين الشـعر المـوزون المقفـى وبـين التوشـيح الأندلـسي المبتكـر، ولرشـيد موشـحة أخـرى بعنـوان «بنـت الخلـود»:

**عَطِشَتْ زَهْرةُ رُوحِي وذَوتْ بِنتُ الْخُلودْ**
**فَسَقتْهَا مِنْ جُروحِي هَا هُنا أيْدِي الْوجُودْ [625]**

وفي موشـحة لنسـيب عريضـة عنوانهـا «النعامـي» طرافـة وجـدة ظاهرتـان فهـو لا يسـير فيهـا عـلى طريـق الموشـحات الأندلسـية تمامـاً، بـل يغـير ويبـدل ويدخـل مـا شـاء لـه النغـم الموسـيقي مِـن زيـادة في التفاعيـل أو نقـص منهـا، يقـول في أحـد أدوار هـذه المقطوعـة:

**هَيا بِنا يَا نَدَامَى !!!**
**فَقَدْ أتتْنَا النُّعَامَى تجُر ذَيل الرّبِيع**
**قَدْ زالَ قَيدُ الثُّلوج**
**هَيا ابْصُروا فِي الْمُروج جِسْم الجَمِا الْبَديع [626]**

---

(622) - نادرة جميل سّراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص250.

(623) - المجموعة الكاملة لجبران ، مرجع سابق ، ص81.

(624) - رشيد أيوب، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 56.

(625) - رشيد أيوب ، ديوان أغاني الدرويش ، ص11.

(626) - نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص53.

سادساً- كذلك تصرفوا في القافية تصرفاً واسعاً، فحيناً التزموها على النهج القديم، وحيناً نوعوها بتنوع المقاطع، وأحياناً جاءوا بنظام الرباعيات أو المخمس أو المزدوج أو غير ذلك؛ تقول الدكتور نادرة سرّاج: «لم يكتف هؤلاء الشعراء المجددون بالتنويع في أوزان الأبيات وبحورها فحسب، بل نراهم يشنون حملة شعواء على ذلك القيد الذي رضي به الشعراء العرب على مر العصور وكبلوا به قصائدهم وأشعارهم وهو (القافية)»[627].

وقد كان طبيعياً بعد هذا التحرر في الأوزان، أنْ يحطم شعراء الرابطة القلمية وحدة القافية، التي ربما كانت عقبة في بعض الأحيان للتعبير عن تجاربهم الأدبية الفنية، شأنها شأن الأوزان؛ ونلاحظ أنّ «عمال» الرابطة القلمية كثيراً ما يبدأون قصائدهم على قافية معينة، ولكن سرعان ما يملونها وتحن نفوسهم الشاعرة إلى الانطلاق مِنها، فيغيرون فيها وينظمون مجموعة مِن الأبيات على قافية مخالفة، ويظهر أنّ هذا الشعر المزدوج القافية قد راق كثيراً شُعراء الرابطة، فأنشأوا على منواله الكثير مِن مقطوعاتهم وقصائدهم.

يقول ميخائيل نعيمة في حديثه عن الشعر: «إنّ القافية العربية السائدة إلى اليوم ليست سوى قيد مِن حديد يربط قرائح شعرائنا، وقد حان تحطيمه مِن زمان»([628])، ومِن ذلك قصيدة له بعنوان «الطريق»، يقول فيها:

**نَحْنُ يا ابْني عَسْكرٌ قَدْ تَاه فِي قَفَرٍ سَحِيقْ**
**نَرغبُ العَودَ ولا نَذْكرُ مِنْ أيْنَ الطّرِيقْ**
**فانْتَشرنَا فِي جِهَات القَفرِ نَستجلي الأثَرْ**
**نَسألُ الشّمسَ عَنِ الدّربِ ونَسْتَفتي الْحَجرْ)**

ولعل أكثر شعر رشيد أيوب يسير على هذه الطريقة الشائعة بين شعراء الرابطة[629]، فله مثلًا مقطوعة بعنوان «الحنين إلى صِنّين» يقول فيها:

**أَفيْقِي كَفَاكِ مَنامْ بدَا الْفَجْرُ كَمْ تَهجَعِينْ**
**وَقَامَتْ لتنْعَى الظّلَام طيورٌ ألَا تَسْمعينْ؟**
**فَقُومِي نُجِدّ المَسيرْ إلى الْحَقلِ قَبْل الضُّحَى**
**وَنَشْدُو بِشاطي الغَديرْ فَها جَوُّنا قَدْ صَحا[630]**

(627) نادرة جميل سّراج، شعراء الرابطة القلمية، ص256.

(628) ميخائيل نعيمة ، الغربال ، ص70.

(629) ينظر، الأيوبيات: ص5، 20،1، 31، 53، 65 وأغاني الدرويش: ص 29، 40،48. وهي الدنيا: ص93،58،49.

(630) رشيد أيوب ، ديوان أغاني الدرويش ، ص45.

ولإيليا أبو ماضي قصيدة «الناسكة»، التي يقول فيها:

**أبْصَرتُ فِي الْحَقلِ قُبيْلَ الْمَغيبْ**
**سنبلةً فِي سَفْحِ ذاكَ الكَـثيبْ**
**حَانِيةً مُطرقةَ الرأْسِ**
**كأنّما تَسْجدُ للشّمسِ**
**أو أنّهَا تَتْلُو صَلاةَ الْمَساءْ**[631]

فنلاحـظ أنّ أبـا مـاضي يسـير عـلى قافيـة موحـدة هـي (البـاء)، ثـم يتجـه إلى قافيـة أخـرى هـي (السـين)، ورغـم أنّ هـذا التجديـد لا نجـده في سـائر قصائـده، إلا أنّـه يعـد محاولـة للخـروج عـلى نظـام القافيـة المعـروف .

وهكـذا نـرى شـعراء الرابطـة القلميـة، ينظمـون بهـذه الطريقـة كل مـا يخطـر ببالهـم مِـن أفـكار في الحيـاة، والطبيعـة ومظاهـر الكـون؛ دون التقيـد بقافيـة محـددة.

سـابعاً- شـعر المهجـر بوجـه عـام وشـعر هـؤلاء الرابطيـين بوجـه خـاص يمتاز بموسـيقى داخليـة تنسـاب مِـن خـلال أبياتـه وتوحـي بهـا أوزانـه وقوافيـه وتتجـاوب لهـا النفـوس وتتأثـر بهـا القلـوب في يـسر وسـهولة ودون أي كلفـة، ولهـذا أطلـق عليـه الدكتـور محمـد منـدور «الشـعر المهمـوس» وعـرّف الهمـس في الشـعر بأنّـه: «إحسـاس بتأثـير عنـاصر اللغـة واسـتخدام تلـك العنـاصر في تحريـك النفـوس وشـفائها ممـا تجـد»[632]؛ ومِـن أمثلـة هـذه الموسـيقى البديعـة في دواويـن شـعراء الرابطـة القلميـة قصيـدة «أوراق الخريـف» لميخائيـل نعيمـة، التـي يبدؤهـا بقولـه:

**تَناثرِي تَناثـرِي**
**يَا بَهْجةَ النّظَر**
**يَا مَرْقَصَ الشَّمْسِ ويَا**
**أُرْجُوحَةَ الْقَمَرْ**[633]

وفي قصيـدة الشـاعر رشـيد أيـوب بعنـوان «الآمـال الضائعـة»، نـرى كيـف تـسرى في النفـوس تلـك الموسـيقى العذبـة، كمـا في قولـه:

**جَلَسْتُ بِقُربِ شُبَاكِي أُردّدُ طِيبَ ذِكْرَاكِ**
**وأطْوِي بِيدَ أحْلامٍ كَبَت فِيها مَطاياكِ**
**وفِيما النّفْسُ حَائمةٌ تُرفرِفُ فَوْقَ مَغْنَاكِ**[634]

(631) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص637.

(632) محمد مندور، في الميزان، ص56.

(633) ميخائيل نعيمة ، ديوان همس الجفون ، ص44.

(634) - رشيد أيوب، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص69.

وفي ديـوان الشـاعر نـدرة حـداد «أوراق الخريـف» نـرى كثـيراً مِـن أمثـال هـذه الأنغـام الشـجية والألحـان الرّنانـة، يقـول في قصيـدة لـه بعنـوان «أغنيـة الخريـف»:

**يَمُرُّ ذِكْرُ الصِّبَا أَنْغَام مِزْمارِ**
**أَوْ نَفْح زَهْرِ الرُّبَى فِي شَهْرِ أَيارِ**[635]

ثامنـاً- وبجانـب الشـعر الحـر المتحـرر التفاعيـل والمرسـل المتحـرر القافيـة، عنـد شـعراء الرابطـة القلميـة، نجـد لونـاً آخـراً متحـرراً مِـن كل الأوزان والقـوافي، وهـو (الشـعر المنثـور)؛ ويعرّفـه مبتدعـه الكاتـب والأديـب اللبنانـي أمـين الريحانـي بقولـه: «يدعـى هـذا النـوع مِـن الشـعر الجديـد (Vers Libres) بالإفرنسـية، والإنجليزيـة (Free Versc)، أي الشـعر الحـر أو بالحـري المطلـق؛ وهـو آخـر مـا اتصـل إليـه الارتقـاء الشـعري عنـد الإفرنـج وبالأخـص عنـد الأمريكيـين والإنجليـز؛ فملتـون وشكسـبير أطلقـا الشـعر الإنجليـزي مِـن قيـود القافية، وولـت وتمـان الأمريكـي أطلقـه مِـن قيـود الغمـوض، وقـد تجـيء القصيـدة فيـه عـلى أبحـر عديـدة متنوعـة»[636]؛ ومِـن أمثلـة ذلـك مقطوعـة رشـيد أيـوب، فيبدؤهـا بقولـه:

**وَقَفَ مُسْتَعصِياً عَلَى قَارِعَةِ الْطَرِيقِ فسَاعِدُوه**
**فقَدَ نَضارَةَ الْحَياةِ ورَوْنَقَها فارْحَمُوه**
**هُوَ بَيْنَكم كَالْغَرِيبِ فَلا تَرْفضُوه**[637]

ففـي هـذا اللـون تتجـلى ثـورة شـعراء الرابطـة القلميـة عـلى قيـود الـوزن والقافيـة، كذلـك نجـد مثـل هـذا اللـون عنـد جـبران خليـل جـبران، كمـا في قولـه:

**مَا أَجْمَلُكِ أَيّتهَا الأَرْضُ ومَا أَبْهَاك!**
**مّا أَتمّ امتِثالك للنُور وأنْبل خُضوعِك للشّمْس!**
**مَا أَعْذَبُ أَغَانِي فَجْرِك!** [638]

وهنـا لا بـد لنـا مِـن التمييـز بـين الشـعر المنثـور ومـا يسـمى النثـر الشـعري، فقـد خلـط بينهمـا بعـض مؤرخـي الأدب؛ فيعرفـون أحيانـاً الاثنـين تعريفـاً واحـداً[639]، فتقـول دكتورة نـادرة سرّاج: «نجـد أحـد مؤرخـي الأدب في لبنـان وهـو الأب لويـس شـيخو اليسـوعي يخلـط بـين هـذا الشـعر المنثـور وبـين مـا يمكـن أنْ نسـميه نثـراً شـعرياً جميـلاً»[640].

(635) ندرة حداد، ديوان أوراق الخريف، ص 32.

(636) أمين الريحاني، الريحانيات، ج2، ط1، 4102، مؤسسة هنداوي، مصر، ص281.

(637) رشيد أيوب، الأعمال الشعرية الكاملة ، مرجع سابق، ص76.

(638) جبران خليل جبران، البدائع والطرائف، ص81.

(639) ينظر: تاريخ الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين، للأب لويس شيخو اليسوعي.

(640) نادرة جميل سّراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص762.

وقد فطن لهذا الخلط الدكتور أنيس المقدسي في كتابه «الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث»، فقال عند حديثه عن التجديد في الأساليب الشعرية: «لا بد لنا مِن التمييز بين النثر الشعري والشعر المنثور؛ فالأوّل: أسلوب مِن أساليب النثر تغلب فيه الروح الشعرية مِن قوة في العاطفة وبعد في الخيال»، ثم يعرف الشعر المنثور بقوله: «والشعر المنثور غير هذا النثر الخيالي، وإنما هو محاولة جديدة قام بها البعض محاكاة للشعر الإفرنجي؛ وممن فتحوا هذا الباب أمين الريحاني»[641].

تقول الدكتورة نادرة سرّاج: «والمتصفح لدواوين شعراء الرابطة القلمية فيما عدا جبران خليل جبران، نجدها خالية تقريباً مِن هذا الشعر المنثور، وربما أنّهم لم يجدوا في نفوسهم حاجة للقول بهذا النوع مِن الشعر ما داموا قد ملكوا ناصية الشعر المنظوم وحلقوا في أجوائه أيما تحليق؛ إلا أننا نجد لرشيد أيوب في ديوانه «أغاني الدرويش» مقطوعات ثلاثاً مِن هذا النوعِ مِن الشعر، وأغلب الظن أنّه قصد أنْ تكون مِن هذا الشعر المنثور، ولكنّه لم يتوخَّ جميع شروطه ولم يتبع موازينه فجاءت أقرب إلى النثر الشعري منها إلى أي شئ آخر ... وهذه المقطوعات الثلاث هي «وادي الجماجم» و «الأعمى» و «الدرويش» «[642]. ومِن شعراء الرابطة القلمية الذين عُرفوا بهذا الأسلوب «جبران خليل جبران»، حتى صاروا يقولون «الطريقة الجبرانية»، فتقول دكتورة نادرة سرّاج: «كان أكثر الناظمين على هذه الطريقة الشعرية جبران خليل جبران الذي عاصر الريحاني، وتأثر به أكثر مِن غيره مِن أعضاء الرابطة، وله آثار مِن هذا النوع مبثوثة في كتابيْه «العواصف» و «البدائع والطرائف»[643].

وهكذا نلاحظ أن شعراء الرابطة القلمية، قد وقفوا موقفاً قوياً مِن أوزان الشعر القديم، وقيود القافية المعروفة، إلا أنّنا نلاحظ رغم هذا التجديد وتأثرهم بأشعار الغربيين وميلهم للتوشيح، لم يستغنوا عن البحور والتفعيلات العربية القديمة، بل نجدهم منتمون إلى الشرق حيث نظموا على الشكل العروضي التقليدي كثير مِن أشعارهم، فدواوينهم مليئة بالقصائد التي تسير على أوزان الخليل، وعليه فشعرهم شعر عربي الروح والانتماء[644].

إنّ هذا التحرر الذي سلك دربه شعراء الرابطة القلمية بالمهجر الشمالي، لم يرق لآخرين مِن الذين تمسكوا بالأوزان المألوفة والقوافي المعروفة، اعتزازاً بما ورثوه عن

(641) - أنيس الخوري المقدسي ، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، ص198.

(642) - نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية ، ص662.

(643) - المرجع السابق ، ص962.

(644) - فوزي يوسف إبراهيم، شعر المهجر قضاياه ومميزاته، ص031.

أسـلافهم، فـيرون أنّ هـذه النزعـة التحرريـة والرغبـة في التفلُّـت مِـن القيـود لـدى شـعراء الرابطـة القلميـة، قـد سـاقتهم في تيـار مِـن التسـامح اللغـوي، وارتـكاب الـضرورات[645].

ولا شـك أنّ المحافظـين لـم يسـكتوا عـلى هـذه الانطلاقـة الثائـرة عـلى القديـم، فوقفـوا لهـؤلاء المجدديـن بالمرصـاد، وعـدوا عليهـم مِـن الذنـوب خروجهـم مِـن القواعـد المقـررة، والأصـول الثابتـة في اللُّغـة، وأسـاليب البيـان، والتحـرر مِـن الـوزن والقافيـة في بعـض أشـعارهم، وهـذا مـا سـنعرض لـه في المبحـث الآتـي، ضمـن آراء النقـاد في شـعر شـعراء الرابطـة القلميـة- بـإذن اللـه تعـالى وتوفيقـه .

(645) - محمد عبد الغني حسن ، الشعر العربي في المهجر، ص 97.

# المبحث الرابع
# آراء النقاد في أدب الرابطة القلمية

النقد الأدبي هو فن تفسير الأعمال الأدبية، وهو محاولة منضبطة يشترك فيها ذوق الناقد وفكره، للكشف عن مواطن الجمال أو القبح في الأعمال الأدبية؛ والأدب كما هو معروف أنّه سابق للنقد في الظهور، ولولا وجود الأدب لما كان هناك نقد أدبي لأنّ قواعده مستقاة ومستنتجة مِن دراسة الأدب.

إنّ أدب المهجر مثله مثل الآداب العربية الأخرى، تعرض لكثير من الآراء النقدية المتعارضة، مِن قبل النُّقّاد والأدباء، في البلاد العربية وفي بلاد المهجر نفسها؛ وفي هذا المبحث يرى الباحث أن يتناول بشيء مِن التفصيل غير المخل بعض آراء النُّقّاد حول أدب المهجر، خاصة الآراء النقدية تجاه أدب شعراء الرابطة القلمية.

نجد في كتاب «لبنان الشاعر» لصلاح لَبكي، زهور فواحة مِن الثناء نثرها على الأدب المهجري، فقال عنه إنّه: «شعر يتعدى حدود الوجدانية الذاتية ليتصل بالشعور البشري العام؛ يميزه كونه مستمداً مِن صميم الحياة، تؤخذ بروعته وتفتّن بسحره ولا تعرف للافتنان والروعة والسحر سبباً غير ما وقع في نفسك مِن أثر تلك الروعة وذاك السحر؛ إنّه خفقة قلب وخلجة نفس وخطفة خيال، أخذنا عنه الاتجاه العلمي ومبدأ المساواة بين الرجل والمرأة، وأهمية العمل الجماعي الواسع»[(646)]؛ ولكنّه لم يفرغ مِن الثناء حتى وجه على الشعر المهجري العيوب التالية:

1. جمال المرأة ظل غائباً عن شعر المهجر باستثناء جبران.
2. عنى باللفظة التي تتجسد صورة ملموسة وأهمل طاقتها الإيحائية.
3. الشاعر المهجري يهمس ويفسّر ويوضح، لكنه لا يوميء ولا وحي.
4. يضحّي المبني للاستبقاء على سلامة المعنى وينحط أحياناً إلى مستوى النثر الرديء.
5. ظل شعرهم عبد الصورة الجامدة والاستعارات والكنايات البدائية.
6. آنس ضعفهم في اللغة ويأسهم مِن إصلاحها فلم يجدوا بداً مِن أنْ يتخذوا هذا الضعف مذهباً.

يقول جورج صيدح تعليقاً على تلك المآخذ التي أوردها صلاح لَبكي في الشعر المهجري: «هذه الحملة تتجه على شعر المهجر إلى الشكل مِن خمس جهات وإلى المضمون مِن جهة واحدة، هي أنّ جمال المرأة ظل غائباً، وجوابنا على هذا المأخذ

(646) – صلاح لبكي، لبنان الشاعر، ط1954،1، مطابع المراسلين اللبنانيين ، بيروت، لبنان، ص144.

الأخير أنّ الكاتب – رحمه الله- كان مرهقاً بالأعمال والمهمات، ولم يتسع وقته لمطالعة دواوين الشعر المهجري، فبنى حكمه على القليل الذي اطلع عليه؛ فهاكم قول أبو ماضي:

**أيُّ شَيء فِي الْعِيدِ أهْدِي إليْك * يَا مَلاكِي وَكُلّ شَيء لَديْك**[647]

وله أيضاً:

**لَو أنَّني يا هِندُ بَدرَ السَّما * نَزَلتُ مِن أُفُقِي إلى مُخدِعِك**[648]

ولرشيد أيوب:

**جَلسْتُ بِقُربِ شُبَاكِي أُردّدُ طِيبَ ذِكْرَاك**[649]

ويواصل جورج بقوله: «نقف عند هذا الحد، لأنّ الشواهد لدينا لا يحصى عددها، أمّا حملة الناقد على مباني الشعر فمريعة حقاً؛ اللفظ أخرس، والعبارة مبتذلة، والمبنى منحط، والصورة جامدة، واللغة ضعيفة؛ فماذا بقي فيه مِن معالم الحسن وآثار الفن ؟» [650].

وكتب الدكتور طه حسين ملاحظات عن شعر المهجريين، منها قوله :»... ولكنني حائر حقاً في أمر هذا النحو مِن الشعر وهذا الفريق مِن الشعراء؛ قوم مُنحوا طبيعة خصبة وملكات قوية، وخيالاً بعيد الآماد، وهم مهيئون ليكونوا شعراء مجوّدين، ولكنّهم لم يستكملوا أدوات الشعر، فجهلوا اللغة أو تجاهلوها، ثم اتخذوا هذا الجهل مذهباً، فأصبحنا مِن أمرهم في شك مريب، لا نستبح لأنفسنا أنْ نغري الناس بقراءتهم لأنّا إنْ فعلنا أغريناهم بالخطأ ...»[651].

يقول فؤاد ياسين في كتابه «الشاعر المهاجر إيليا أبو ماضي»: «وكأنني بالأستاذ ميخائيل نعيمة يردّ على الدكتور طه حسين عندما قال: «ونقم أنصار التقليد والجمود على الرابطة، فما كانت نقمتهم إلا لتزيدها قوةً وحماسةً واندفاعاً ولتنمي عدد أنصارها ومريدها ومقلديها والمعجبين بها في كل قطر عربي، حتى حار في أمرها أصحابها وأعداؤها على السواء؛ فما عادوا يعرفون إلى ماذا يعزون سرّ قوتها وبُعد تأثيرها، فمَن قائل إنّ السر في الأدب الأمريكي الذي تأثر به عمال الرابطة، هو قول

(647) – أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص275.

(648) – أبو ماضي، مجلة الرسالة، العدد 133، نوفمبر 9391، ص9.

(649) – رشيد أيوب، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص86.

(650) – جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص771.

(651) – طه حسين ، كتاب حديث الأربعاء ، ج3 ، ط21، 3791، دار المعارف ، مصر، ص002 .

فـارغ، ومَـن قائـل: إنّـه في جـوّ الحريـة الأمريكيـة؛ وهـو قـول أفـرغ، ومَـن قائـل أنّـه في تهتـك عمـال الرابطـة مِـن حيـث اللغـة العربيـة وأصولهـا، وهـو قـول أفـرغ وأعقـم مِـن القولـين الأولـين؛ أمـا الحقيقـة فـلا يعلمهـا إلّا الـذي جمـع عمـال الرابطـة القلميـة في فسـحة محـدودة، مِـن ديـار غربتهـم ولمحـة معلومـة مِـن زمـان هجرتهـم ووضـع في صـدر كل مِنهـم جـذوة تختلـف عـن أختهـا حـرارةً وبهـاءً، ولكنّهـا مِن موقـد واحـد وإياهـا»[652].

وكتـب الدكتـور طـه حسـين أيضـاً، في نقـده لشـعر إيليـا أبـو مـاضي يقـول: « لسـتُ أزعـم أنّ لغـة الشـاعر رديئـة أو منكـرة، ولكنهـا تقـارب الـرداءة أحيانـاً حتـى توشـك أنْ توغـل فيهـا إيغـالاً»، ويزيـد إلى ذلـك بقولـه: «إنّـه مصحـح لمعانيـه محقـق لهـا لا يـكاد يفسـدها أو يخطـئ فيهـا؛ يتنـاول المعانـي والأغـراض التـي سـبقه إليهـا المتشـائمون مِـن القدمـاء والمحدثـين فينفـخ فيهـا مِـن روحـه القـوي ويـكاد يفـرض شـخصيته فرضـاً»[653].

وقـد علـق الأسـتاذ حبيـب الزحـلاوي في كتابـه «أدبـاء معـاصرون»، عـلى رأي الدكتـور الناقد طـه حسـين، بقولـه: «إنّ أبـو مـاضي كمـا يعرفـه الأدبـاء واحـد مِـن ثلاثـة شـعراء هـذا العـصر يطـوّع عنـاصر الحيـاة لفنّـه الجميـل فيجعلـه خالـداً ببسـاطته وصدقـه وموسـيقاه وهـو المـبرّز الوحيـد مِـن نوعـه، لا يدلـف إلى النقـاد متزلفـاً ولا يسـتجدي المديـح والتقريـظ مِـن أحـد»[654].

ويقـول أبـو مـاضي نفسـه في مقدمـة كتبهـا لديـوان نعمـة الحـاج[655]، مدلـلًا عـلى أنّـه لـم يسـقط قيمـة المبنـى في مـا نظمـه مِـن شـعر: «لا يصـير الشـاعر شـاعراً حقيقيـاً حتـى يسـتنبط ويبتكـر، أمّـا متـى يصـير فأمـرٌ موقـوف عـلى قـوة شـاعريته ومقـدار عبقريتـه؛ لـكل شـاعر آيتـه كمـا لـكل نبـيّ معجزتـه، ... فـإذا كان المعنـى جميـلاً مبتكـراً ظهـر جمالـه وبانـت جدتـه للعيـون؛ عـلى أنّ المعنـى الجميـل يسـتلزم المبنـى الجميـل»[656].

وقـد نقـد الشـاعر الكبـير زعيـم الشـعر التمثيـلي عزيـز أباظـة[657] شـعر المهجـر، مِـن حيـث شـكله ومضمونـه، فقـال عـن الشـكل: «إنّ أسـلوبهم لا شـيه فيـه للبلاغـة وحسـن السـبك؛ صناعتـه البيانيـة تـزورّ عـن الـذوق العربـي السـليم، لـم يفتحـوا آفاقـاً جديـدة في الفـن عجـز عـن الصعـود إليهـا إخوانهـم في لبنـان؛ فـالأدب المهجـري لـم يتبلـور بعـد

(652) ميخائيل نعيمة ، جبران خليل جبران، ط1، 1934 ، مطبعة لسان الحال ، بيروت ، لبنان ، ص182 .

(653) المرجع السابق ، ص196.

(654) حبيب الزحلاوي، أدباء معاصرون، ط1، 1935، مطبعة دار الإخاء، لبنان، ص45.

(655) نعمـة الحـاج(1889 – 1978): شـاعر لبنانـي هاجـر إلى أمريـكا الشـمالية عـام 1904، ولـه دواويـن شـعرية، ديـوان نعمـة الحـاج، وديـوان المـشرق، وديـوان مـرآة الخيـال، تعـاون مـع أحمـد زكـي أبـو شـادي في تأسـيس رابطـة "منيرفـا" في نيويـورك عـام 1948. ينظـر: أدبنـا وأدباؤنا لجورج صيدح، ط3، بيروت، 1964، ص312.

(656) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص199.

(657) المرجع السابق، ص175.

ولـم يتخـذ لـه صـورة واضحـة المعالـم بحيـث يفـرد لـه أثـر بعيـد المـدى في تطـور الأدب العربـي المعـاصر»[(658)]، أمّـا عـن المضمـون، فوجـه الشـاعر الناقـد عزيـز أباظـه عـدة اعتراضـات، هـي:

1. الحـب عندهـم يـكاد يكـون ثانـوي القيمـة في عنـاصر الحيـاة، لا معنـى عميقـاً في أغـوار الإنسـانية.
2. الشك طابع شعرهم، يشكون في كل شيء ولا يهتدون إلى شيء.
3. لا يأبهـون بتعاليـم الديـن اقتـداء بشـعراء الغـرب الذيـن لا ينظـرون إلى الأديـان نظـرة ملؤهـا القداسـة والاحـترام.
4. الطبيعة في شعرهم ليست حارة متدفقة، أزهارها صناعية بلا شذا.

وعـلى هـذا ردّ الأسـتاذ العقـاد بقولـه: «إنّ الأدب المهجـري عمـره أربعـون سـنة عـلى الأكثـر، وعلينـا أنْ نضعـه أمـام أربعـين سـنة تقابلهـا في موازيـن الآداب العربيـة فـلا يخـرج مِـن المقابلـة خـاسراً؛ لأنّ عـدد المجيديـن مِـن شـعرائه وكتّابـه لا يقـل عـن عـدد نظرائهـم في بيئـة تضارعهـا، مـع الفـارق بـين أنـاس تؤاتيهـم الأسـباب في مواطـن اللغـة، وأنـاس يحملـون مشـعل اللغـة إلى سـماء لا يضـاء فيهـا بغـير مـا يضعونـه مِـن عصـارة القريحـة وفـروض الحيـاة»[(659)].

وثـار أنصـار المحافظـة والتقليـد كذلـك عـلى شـعر الرابطيـين الـذي لا يتوخـى البحـور المعروفـة، والأوزان المطروقـة، وعـدم اهتمـام أصحابـه باللغـة وقواعدهـا والـصرف ومشـتقاته؛ كمـا ثـاروا عـلى نثرهـم الـذي بـدأ يشـق طريقـاً جديـداً مـا سـلكه السـابقون؛ وكان مِـن المعارضـين في مـصر الدكتـور محمـد حسـين هيـكل، وإبراهيـم عبـد القـادر المازنـي، والدكتـور طـه حسـين عميـد الأدب العربـي، الـذي كتـب نقـداً لديـوان «الجـداول» - لإيليـا أبـو مـاضي - ضمّنـه الجـزء الثالـث مـن كتابـه «حديـث الأربعـاء»[(660)]؛ ففـي قـول أبـي مـاضي:

**مَـا بَالـكَ مُنْكَمِشـاً كَـمَداً؟ * قُـمْ نَلْعَـبْ فِي فِيءِ الشّـجَرِ**
**أَوْ نَصْنَـعُ خَيْـلاً مِـن قَصَـبِ * أَو طَيَّـارَاتٍ مِـن وَرَقِ**
**وَمُـدًى وَسُـيُوْفاً مِـن خَشَـبِ * وَنَجُـول وَنَرْكُـض فِي الطُّـرقِ**[(661)]

يقـول طـه حسـين: «فـكل هـذه الأفعـال قـد وقعـت في جـواب الأمـر، ومِـن حقهـا أنْ

(658) المرجع السابق، ص203.

(659) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص180.

(660) ينظر: طه حسين، كتاب حديث الأربعاء ، ج3 ، ط12، دار المعارف ، مصر، 1973، ص195 .

(661) أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص456.

تجـزم، ولكـن الشـاعر لا يحفـل بهـذا الحـق، وليتـه أعـرض عنـه إعراضـاً تامـاً فرفعهـا كلهـا والتمـس لنفسـه علـة عنـد أصحـاب العلـل مِـن النحويـين، ولكنـه جـزم حين اسـتقام الـوزن عـلى الجـزم، ورفـع حـين اسـتقام الـوزن عـلى الرفـع، فأخضـع النَّحـو للعـروض، أو قـل: لـم يحفـل بالنحـو ولا بالعـروض»[662].

وردّ عليـه الكاتـب والأديـب عيـسى الناعـوري هـذا الهجـوم بقولـه: « أنْ يبحـث الدكتـور طه حسـين في جـداول أبـي مـاضي عـن مقطـع أو مقاطـع ... فيهـا شيء مِـن المعانـي العاديّـة في ألفـاظ لا تثـير لـدى القـارئ إحساسـا ذا أهميـة، فيطبـل ويزمـر، ويثـير الدنيـا عـلى رأس أبـي مـاضي، ويتجاهـل كل مـا في الديـوان مِـن غنـى في المعانـي والأفـكار والأحاسـيس والخيـالات والتأمـلات والصـور وكل مـا فيـه مـن التعابـير الجديـدة والانفعـالات العميقـة والإنسـانية الرائعـة والفكـر النـيّر الخـلّاق» [663].

ومِـن النقـاد الذيـن هاجمـوا الأدب المهجـري هجومـاً شرسـاً، الناقـد أنـور الجنـدي في كتابـه «خصائـص الأدب العربـي»، حيـث يقـول: «الأدب المهجـري يهاجـم العريقـة العربيـة وأنّـه منفصـل عـن القيـم العربيـة، ومتصـل أيضـاً اتصـالاً وثيقـاً بالقيـم الغربيـة، وأنّ فلسـفته فلسـفة ماديـة إباحيـة، وأدبـاء المهجـر يدعـون إلى اللاهوتيـة وخلافـه»[664].

وهنـا تفضـل علينـا الأمـير مصطفـى الشـهابي رئيـس المجمـع العلمـي السـوري بهـذه الشـهادة الغاليـة، فيقـول: «إنمـا أدبـاء المهجـر ليسـوا دون غيرهـم حرصـاً عـلى سـلامة اللغـة وتشـبثاً بقواعدهـا، وبالصحيـح مِـن كَلِمهـا، وإنّ في أقـلام بعضهـم بيانـاً يحاكـي البيـان في أقـلام كتّابنـا البارزيـن؛ وحسـبهم فخـراً أنّهـم خدمـوا العروبـة والعربيـة في تلـك البـلاد البعيـدة، وأدخلـوا في لسـاننا معانـي وأسـالب جديـدة مـع الاحتفـاظ بموسـيقى الأوزان والقـوافي»[665].

كمـا تفضـل علينـا عبـاس محمـود العقـاد بهـذه الشـهادة أيضـاً، حيـث يقـول: «إنّ جـوّ المهجـر كلـه كان ولـم يـزل إلى التشـدد في المحافظـة أقـرب مِنـه إلى التمـرد والإنـكار؛ ومـا ثـار الأدبـاء المهجريـون عـلى العقيـدة في جوهرهـا بـل عـلى السـلطة التقليديـة التـي أعطـت رؤسـاء الطوائـف سـلطات سياسـية حكوميـة إلى جانـب السـلطات الدينيـة الكهنوتيـة»[666].

وكتـب الأديـب المهجـري جـورج صيـدح، قائـلاً: «أمّـا الاسـتهتار بتعاليـم الديـن فـلا نـرى لـه أثـراً في أدبهـم، - بـل بالعكـس -، نـرى فضائـل الإيمـان والتقـوى والـبرّ متجليـة في

(662) حديث الأربعاء، مرجع سابق، ص200.

(663) عيسى الناعوري، أبو ماضي ( رسول الشعر العربي الحديث)، ط1، 1591،دار الطباعة والنشر،عمان، ص611.

(664) أنور الجندي، خصائص الأدب العربي، ص192.

(665) جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص702.

(666) المرجع السابق، ص712.

أعمالهـم وأقوالهـم، وكل مـا في الأمـر أنّهـم متدينـون لا طائفيـون»[667].

وقـد وجـد أدب الرابطـة القلميـة المعارضـة أيضـاً في العالـم الجديـد نفسـه، مِـن بعـض كبـار الشـعراء المهجريـين في أمريـكا الجنوبيـة، وكانـت مدرسـة الشـعر المهجـري الجنوبـي قـد بـدأت تظهـر وعُـرف مـن أعلامهـا: الشـاعر القـروي، وشـكر اللـه الجـر، و إليـاس فرحـات، وميشـال معلـوف، ونظـير زيتـون، وحسـنى غـراب وغيرهـم كثـيرون ممَّـن كونـوا فيمـا بعـد « العُصْبـة الأندلسـية « سـنة 1933م في البرازيـل.

وكان أوّل رئيـس للعصبـة الأندلسـية «ميشـال معلـوف» ، ونائـب رئيسـها داؤد شـكور، وأمـين سرهـا نظـير زيتـون، وأمـين صندوقهـا يوسـف البعينـي، وخطيبهـا جـورج حسـون معلـوف[668]؛ والـدارس لشـعر المهجـر الجنوبـي يجـده أقـل تحـرراً مِـن شـعر المهجـر الشـمالي – الـذي نحـن بصـدده – ، وأكثـر تعلقـاً بالمـاضي وبالشـعراء القدامـى في الـشرق العربـي، يقـول أحـد شـعراء المهجـر الجنوبـي، وهـو إليـاس فرحـات:

**أَصْحَابُنَـا الْمُتَمَـرّدُونَ خَيَالُهُـمْ * تَقْـضِي قُرَيْـشُ بِـهِ وتَحْيـا حِمْـيَرُ**
**لُغَـةٌ مُشَـوّهَةٌ ومَعْنًـى حَائِـرٌ * خَلْـفَ المَجَـازِ وَمَنْطِـقٌ مُتحـيّرُ**
**وَزعِيمُهَـمْ فِي زَعْمِهِـمْ مُتفنّـنٌ * عَجَبـاُ أَكانَ الفَـنُّ فِيمـا يُضْمـرُ**
**لَا الأَرْضُ تفْهـمُ مَـا يصـوّرُهُ لَهَـا * ذَاكَ الزّعيـمُ وَلَا السَّـماءُ تُفَـسّرُ**[669]

وفي هـذا دليـل واضـح عـلى اتجـاه «العصبـة الأندلسـية» المعاكـس في المهجـر الجنوبـي لاتجـاه الرابطـة القلميـة في المهجـر الشـمالي، مِـن حيـث التجديـد في اللفـظ والمعنـى؛ وفي أبيـات إليـاس فرحـات اتهـام لزعيـم الرابطـة القلميـة جـبران ولأهـداف الرابطـة كذلـك – وقـد صرح أنـه يقصـده في ديوانـه – [670].

ولم يكتف فرحات بذلك، فيقول في رباعية له في نفس الديوان:

**إنّـي لَأَعْجَـبُ مِـنْ آدَابِ رَابِـطَةٍ قَـدْ * أوجَـدَتْ فِي نِظَـامِ الشّـعْرِ تَشْـويهَا**
**شَـنّتْ عَـلَى الأَدَبِ الْميمـونِ غَارَتَهـا * فَأَمْعَنَـتْ فِيـه تَشْويـهـاً وتَخْديشـا**
**طَـارَتْ فخِلْنا نُسـوراً فَوْقَنـا ارْتَفَعتْ * ثُـمّ اسْـتَقرّتْ ، فكانـتْ كُلّهـا رِيشـا**
**أَشْـعَارَها عُقْـمٌ مَـعَ أنّهَـا شَرِبَـتْ * مِـنْ مَاءِ صنِـين والْعـاصِي وقَادِيشـا**[671]

---

(667) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص712.

(668) عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص52 .

(669) إلياس فرحات ، رباعيات فرحات ، ط2 ، 4591 ، سان باولو ، البرازيل ، ص091 .

(670) ينظر: ديوان إلياس فرحات ، سان باولو ، البرازيل ، 2391 .

(671) إلياس فرحات ، الديوان، سان باولو ، البرازيل ، 2391 ، ص74.

ولكـن نجـد زعيـم الرابطـة القلميـة جـبران خليـل جـبران، لـم يسـكت أمـام تلـك الصيحات المعاديـة لـه ولمجموعتـه، فـردّ عليهـم مبينـاً الفـرق بينهـم وبينـه شـارحاً أهـداف رابطتـه معتـزاً بهـا، فيقـول مِـن قصيـدة بعنـوان «يـا مَـنْ يُعادينـا»:

**جَاوِرْتـمُ الأَمْـس ومِلْنـا إلى يَـومٍ * مُـوَشَّى صُبْحُـه بِالْخفـاءْ**
**ورُمتـمُ الذّكْـرى وأطْيَافَهـا ونَحْـنُ * نَسْـعَى خَلْـفَ طَيْـفِ الرّجـاءْ**
**وَجُبْتُـمُ الأرْضَ وأطْرَافِهـا ونَحْـنُ * نَطْـوِي بالفضـاءِ الفضـاءْ**

*   *   *

**لُومُـوا وَسُـبّوا والْعَنـوا واسْـخَرُوا * وسَـاوِرُوا أيّامَنـا بالخِصَـامْ**
**وابْغُـوا وَجُـوروا وارْجمـوا واصْلبُـوا * فالـرّوحُ فِينـا جَوْهَـرٌ لا يضـامْ**
**فنَحْـنُ نَحْـنُ كَوْكَـبٌ لا يَـسِي إلى * الـوَرا فِي النُّـورِ أو فِي الظّـلامْ**[672]

فنـراه هنـا يبـيّن أهـداف المهاجريـن عامـة مِـن حياتهـم في المهجـر والشـعراء منهـم خاصـة لمـا لديهـم مِـن حـس مرهـق وشـعور رقيـق، فهـم لا يـودون نبـش المـاضي ولا الالتفـات إلى الـوراء، كل همتهـم النظـر إلى الأمـام والعمـل والبحـث في طريـق المسـتقبل؛ ثـم تأخـذه الحميـة فيدافـع عـن نفسـه وعـن زملائـه.

يقـول الدكتـور محمـد منـدور في كتابـه «في الميـزان الجديـد»: «أرفـض القـول بـأنّ أدب المهجـر ضعيـف منهـوك، أيـن إذن نجـد النفـس؟ أيـن نجـد توثـب القلـب ووميـض القلـب؟ أيـن نجـد نبـض الحيـاة؟ وهـؤلاء قـوم ليسـوا ضعافـاً؛ إنّهـم يسـمون الأشـياء بأسـمائها، قـوم لا ترهبهـم الألفـاظ، ليـس الأدب ألفاظـاً، الأدب روح لا تـدري مِـن أيـن تطالعـك»[673].

وكتـب الأسـتاذ خليـل هنـداوي عـن الأدب المهجـري يقـول: «لـلأدب في المهجـر مدرسـة نـاضرة مسـتقلة بخصائصهـا عميقـة بآثارهـا، وكما نـدرس اليـوم الشـعر الأندلـسي في أدبنا سـوف نـدرس غـداً الشـعر المهجـري؛ إنّـه أحفـل كل شـعر بالألـوان واللواعـج والذكريـات والنزعـات الإنسـانية»[674].

وقـال الأسـتاذ محمـد زكـي عبدالقـادر في مناظـرة بالجامعـة الأمريكيـة، وفي جريـدة الأخبـار سـنة1956م: «وعنـدي أنّ شـعر المهجـر لا ينبغـي مقارنتـه بالشـعر العربـي في موطنـه لاختـلاف الظـروف والبيئـة، وشروط المقارنـة الصحيحـة أنْ تكـون الظـروف متشـابهة والبيئـة متقاربـة، ثُـمّ إنّ شـعر المهجـر فـرع مِـن الأم الكـبرى وهـي الوطـن العربـي؛ إنّ

(672) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة ، ص94 .

(673) محمد مندور، في الميزان الجديد، ص61.

(674) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص207.

شعراء المهجر عاشوا في بلاد جديدة غريبة، وأخذوا بأساليبها في التفكير والتصوير والفهم، أو على الأقل تأثروا بها، وقد طلعوا علينا بلون مِن الشعر هو مزيج مِن العاطفة الرقيقة والوجدان الشفاف والتصوير للحياة؛ إنّ لمحتهم الأولى مِن الشرق الذي منحهم أعظم ما حمل فنهم مِن روعة، وما انبسط في نفوسهم وأرواحهم مِن فهم للنوازع الإنسانية والقلق الإنساني، وشكراً لشعراء المهجر فلم ينسوا أوطانهم، وإنْ كانوا قد تركوها لأنّها لم تسعهم؛ ولعل نشدانهم الحرية والرزق هو الذي ألهمهم مِن شعر فيه تعبير، ومعنى فيه أريج الوطن ومرارة الغربة...إنّ لضعف اللغة عند أدباء المهجر مبررات وجيهة لا تحد مِن فضلهم ولو قصروا في الأداء عن المقيمين»[675].

وقال الدكتور أبو شادي عن مكانة الأدب المهجري: «بلغ الأدب العربي المهجري مكانة يعتدّ ويقتدى بها، وسيبقى مناراً حراً وهاجاً لأجيال وأجيال، لأنّ تقاليده عميقة كالجذور المتمكنة للأدواح والغابات السامقة الغناء، ومدرسته الأدبية بشطريها الشمالي والجنوبي تعدّ في الطليعة حقاً»[676].

ونشر الأديب الجزائري أحمد مصطفى عماد الدين مقالاً في مجلة «باريس»، جاء فيه: «قرأ الأدباء الجزائريون آثار أدباء المهجر فأعجبوا بها وأدركوا منذ ذلك الحين أنّ الأدب الحقيقي هو ما يعرب عن الشعور ويصف الحياة ومشاكلها؛ فنشأ الأدب الجزائري على غرار الأدب المهجري بأغراضه الإنسانية الواسعة ومقاصده الاجتماعية الشاملة»[677].

وقد أجمع النقاد – ما خلا الأستاذ أباظة – على أنّ شعراء المهجر تفوقوا في شعر الحنين على غيرهم مِن الشعراء، ويعلل جورج صيدح ذلك بقوله: «لو حللنا أسباب الحنين الذي تدفق مِن قلبهم على شعرهم لوجدنا أنّ افتقادهم جمالات الطبيعة التي خلّفوها وراءهم، هو العامل الأوّل، ولشعرنا شعوراً أكيداً بأنّ قصائد الحنين التي نظموها والتي تهز الوجدان برهافتها ما كانت أزهاراً صناعية بلا شذا ، كما يقول الناقد الأستاذ عزيز أباظة» [678].

ويقول جورج صيدح: «لا يسيء إلى الأدباء المهاجرين تعارض الآراء في وزن أدبهم وقيمته، بل يرون في المعارضة دليل الاهتمام المشكور»[679].

---

(675) فوزي يوسف إبراهيم، شعر المهجر قضاياه ومميزاته، ص187.

(676) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص 208.

(677) المرجع السابق ، ص 208 .

(678) المرجع السابق، ص222.

(679) المرجع السابق، ص181.

ويقول ميخائيل نعيمة: «إذا لم يكن للناقد مِن فضل سوى فضل رد الأمور إلى مصادرها وتسميتها بأسمائها لكفاه ذاك ثواباً»[680].

ونخلص إلى أنّ أدباء المهجر، بذلك التحرر والتجديد، قد وضعوا مفاهيم نقدية جديدة، وجعلوا الأدب لصيق بالحياة الإنسانية، وسخروا الأعمال الأدبية لتكون مشغولة بالهواجس الفكرية، كالحرية الفردية والعدالة الاجتماعية، وخرجوا لنا بشعر يتعدى الحدود الوجدانية الذاتية ليحلق بالشعور البشري العام، إلى آفاق إنسانية نبيلة، وقد كانوا بذلك مِن ضمن الذين رسموا معالم النهضة الأدبية في العصر الحديث، ولعلّ هذا ما عناه شاعر النيل – حافظ إبراهيم – حين قال:

لِمِصْرَ أَمْ لِرُبُوعِ الشَّامِ تَنْتَسِبُ ❊ هُنَا الْعُلَا وَهُنَاكَ الْمَجْدُ والْحَسَبُ

رُكْنَانِ لِلشَّرْقِ لَا زَالَتْ رُبُوعُهمَا ❊ قَلْبُ الْهِلَالِ عَلَيْهَا خَافِقٌ يَجِبُ

بِأَرْضِ كُولَمبَ أَبْطَالٌ غَطَارِفَةٌ ❊ أُسدٌ جِياعٌ إِذَا مَا وَوْثِبُوا وَثَبُوا

رَادُوا الْمَنَاهِلَ فِي الدُنْيَا وَلَوْ وَجَدُوا ❊ إِلَى الْمَجَرَةِ رَكْبَاً صَاعِدَاً رَكِبُوا

سَعَوا إِلَى الْكَسْبِ مَحْمُوداً وَمَا فَتِئَتْ ❊ أُمُّ الُّغَاتِ بِذَاكَ السَّعِي تَكْتَسِبُ

فَأَيْنَ كَانَ الشَّآمِيّونَ كَانَ لَهَا ❊ عَيْشٌ جَدِيدٌ وَفَضْلٌ لَيْسَ يَحْتَجِبُ[681]

(680) - ميخائيل نعيمة ، الغربال ، ص 18.

(681) - ديوان حافظ إبراهيم، ج1، ط2، 1939، مطبعة دار الكتب المصرية، ص268.

# خاتمة

هجـرة الأدبـاء والشـعراء مِـن بـلاد الشـام خاصـة مِـن سـوريا ولبنـان إلى أمريـكا لـم تكـن في مجموعهـا إلا فـراراً مِـن سـوء الحالـة السياسـية والإقتصاديـة والنفسـية في الأوطـان، وإنّ الدافـع الاقتصـادي يعـد العامـل الأهـم والأقـوى لهجـرة أدبـاء وشـعراء الرابطـة القلميـة، إلى العالـم الجديـد، حيـث كان الفقـر والحرمـان همـا مصـير الكثـير منهـم، وإهمـال الزراعـة والصناعـة وشـتى مرافـق الحيـاة، حيـث لـم ينفـع في مداواتهـا جهـد ولا نشـاط، في وسـط رجعـي النزعـة وفي ظـل حكومـة غاشـمة، تسـتحل الأرزاق، وتهـدد الأرواح، وقـد اتضـح وإنّ هجـرة هـؤلاء الأدبـاء كانـت في وقتهـا ضرورة، ولا مفـر مِنهـا في تلـك الظـروف الخاصـة، وأنّهـا كانـت دوافـع كافيـة لأنْ يـترك المهجريـون أوطانهـم؛ في سـبيل التمـاس الحيـاة الكريمـة، والحريـة، وفـراراً مِـن الضغـوط الاقتصاديـة والسياسـية والاجتماعيـة.

إنّ مفهـوم "النزعـة الإنسـانية" لـدي شـعراء المهجـر عامـة والرابطـة القلميـة بوجـه خـاص، هـي شـعور الإنسـان مـع الإنسـان بـكل مـا في هـذا التعبـير مِـن شمول..شـعور الإنسـان مـع الحيـوان والنبـات، وأحيانـاً شـعوره بدافـع الألفـة مـع الجمـاد.

ولقـد كان لمجموعـة الرابطـة القلميـة تأثيرهـا الثـوري في الفكـر والبيـان عـلى أعضائهـا المنضويـن تحـت لوائهـا، فتآلفـت نزعاتهـم، وتوافقـت أفكارهـم، فأصبحـت وكأنهـا شـخصية أدبيـة واحـدة.

وقـد وضـح جليـاً أنّ شـعراء الرابطـة القلميـة بالمهجـر الشـمالي، هـم خـير مَـن يمثـل النزعـة الإنسـانية في الشـعر العربـي الحديـث، فقـد خلـص شـعرهم عـلى ضرورة نـشر المبـادئ الإنسـانية النبيلـة بـين النـاس، عـن طريـق الدعـوة إلى الإخـاء الإنسـاني وسـيادة العـدل والرحمـة والمحبـة والحريـة، ونبـذ الظلـم والاسـتبداد، والتسـامح الدينـي، والعطـف عـلى الفقـراء والمسـاكين، كمـا أيقظـوا الوعـي القومـي، ودعـوا إلى ثـورة تحرريـة تنقـذ الأوطـان العربيـة مـن عبوديـة الاسـتعمار، وإنّ مِـن أبـرز مظاهـر النزعـة الإنسـانية لـدى الرابطيـين، الحنـين إلى الأوطـان، فقـد ارتبـط حنينهـم إلى أوطانهـم الأم ارتباطـا وثيقـاً بالغربـة، التـي صهرتهـم بمرارتهـا، وقسـوة الحيـاة فيهـا؛ ممـا فتـق أذهانهـم، وألهـب مشـاعرهم، فصـاروا يعيشـون بأجسـادهم في الغـرب، وأفكارهـم قـد أصبحـت وقفـاً عـلى أوطانهـم في الـشرق، وظلـوا - رغـم حركـة التجديـد في شـعرهم - محافظـين عـلى اللغـة العربيـة، فهـم كوكبـة مـن أبنـاء الضـاد رفعـوا لواءهـا عاليـاً مرفرفـاً في ديـار الغربـة وراء البحـار، واحتفظـوا بشـخصيتهم العربيـة التـي تعـبر عنهـا لغتهـم العربيـة، كمـا كانـوا عـلى اتصـال وثيـق وتجـاوب إنسـاني عاطفـي متبـادل مـع أبنـاء وطنهـم طـوال سـني هجرتهـم، إلا أنّهـم لـم يرضـوا عـن جميـع الأوزان الشـعرية القديمـة المطروقـة، وخاصـة

تلـك الأوزان ذات البحـور الطويلـة، فقـد مالـوا إلى اسـتعمال البحـور القصـيرة أو المجـزوءة التفاعيـل في معظـم الأحيـان، وتفننـوا في تنويـع الأصـوات فصبـوا شـعرهم في قوالـب مختارة لا تقلـد العربـي القديـم ولا الغربـي الحديـث، وقـد إعجبـوا جميعـاً بالموشـحات في أوزان الشـعر، فوجدوهـا طريفـة بـين الأوزان الشـعرية وفيهـا أنغامـاً عذبـة سـائغة وقريبـة مِـن الـكلام المنثـور، فمالـوا إلى اسـتعمالها والإكثـار منهـا، وبالتـالي أخـذوا عـن الأدب الأندلـسي تجديداتــه وأوزانــه الراقصــة، وموشــحاته الجميلــة، ولــم يكتفــوا بالتنويــع في الأوزان والبحـور الشـعرية، والتحـرر منهـا فحسـب، بـل شـنوا حملـة شـعواء عـلى ذلـك القيـد الـذي رضي بـه الشـعراء العـرب عـلى مـر العصـور وكبلـوا بـه قصائدهـم وهـو "القافيـة". وأخـيراً، تحيّـة لشـعرائنا وأدبائنـا المهجريـين، فقـد طرحتهـم قسـوة الأقـدار في مطـارح النـوى فمـا شـغلهم الكفـاح في سـبيل الـرزق ولا ألهتهـم أكاليـل الفـوز والنّـصر عـن أنْ تظـلّ قلوبهـم مشـدودة النّيـاط إلى الوطـن الأوّل وأهلـه ولغتـه، وأنْ يكونـوا البلابـل المغـردة فـوق أشـجار عربيـة في مغـارس أجنبيـة، فلـو أنّ أقلامهـم لـم تجـرِ إلا في الحنـين والـذود عـن الوطـن والزّهـو بالقومية العربيـة والدفـاع عنهـا وهـم في تلـك المضـارب النائيـة، لكفاهـم ذلـك فخـراً. فسـلام اللـه يـا شـعراء المهجـر وأدبـاءه:

**سّلامُ اللهِ لا أرْضَى سَلامِي * فَكُلّ تَحِيةٍ دُون الْمقَام**[1]

(1) أحمد شوقي.

# المصادر والمراجع

**القرآن الكريم**

1. أبـو بكـر الصديـق أول الخلفـاء الراشـدين: **محمـد رضـا**، ط2، دار إحيـاء الكتـب العربيـة، مـصر، 1950.

2. أبعـد مِـن موسـكو ومِـن واشـنطن: **ميخائيـل نعيمـة**، ط3، دار صـادر، بـيروت، لبنـان، 1966.

3. أدب المهجر: **عيسى الناعوري**، ط3، دار المعارف، مصر ، 1966.

4. أدب المهجر: **صابر عبد الدايم**، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1993.

5. أدب المهجـر بـين الأصالـة وفكرالغـرب: **نظمـي بديـع**، ط1، دار الفكـر، القاهـرة، 1976.

6. أدباء معاصرون:**حبيب الزحلاوي**، ط1، مطبعة دار الإخاء، لبنان، 1935.

7. أدبنـا وأدباؤنـا في المهاجـر الأمريكيـة: **جـورج صيـدح**، ط3، دار العلـم للملايـين ، بـيروت، لبنـان، 1964.

8. أبـو البقـاء الرُّنـدي شـاعر رثـاء الأندلـس: **محمـد رضـوان الدايـة** ، ط2، مكتبـة سـعد الدين، بـيروت، 1986.

9. الاتجاهـات الاجتماعيـة والسياسـية في جبـل لبنـان والمـشرق العربـي: **وجيـه كوثرانـي** ، ط2، معهـد الإنمـاء العربـي، بـيروت ، لبنـان ،1978.

10. الاتجاهـات الأدبيـة في العالـم العربـي الحديث:**أنيـس المقـدسي**، ط1 1977، ط2 1998، دار العلـم للملايـين، بـيروت .

11. الاتجـاه الإنسـاني في الشـعر المعـاصر : **مفيـد قميحـة** ، ط1 ، دار الآفـاق ، بـيروت ، 1981.

12. الأجنحـة المتكسرة لجـبران خليـل جـبران : **بريـك نـزار هنيـدي** ، (د.ط) ، دار رسـلان للطباعـة والنـشر والتوزيـع، دمشـق ، سـوريا ،2008.

13. الأدب العربـي في المهجـر: **حسـن جـاد حسـن** ، ط1، دار الطباعـة المحمديّـة، القاهـرة، مـصر، 1965.

14. الآفـاق الإنسـانية في الأدب والفكـر: **أحمـد حمـد النعيمـي**، (د.ط)، دار اليـازوري ،عمّـان ، الأردن، 2008.

15. الأعمـال الشـعرية الكاملـة **لرشـيد أيـوب**، تقديـم دكتورميشـال جحـا، ط1، دار بيسـان ، بـيروت، 1985.

16. الأعمـال الشـعرية الكاملـة: **إيليـا أبـو مـاضي**، جمـع وتقديـم د.عبدالكريم الأشـتر،ط1، مؤسسـة جائـزة عبدالعزيز سـعود، الكويـت،2008.

17. الالتـزام في الشـعر العربـي : **د.أحمـد أبـو حاقـة** ، (د.ط)، دار العلـم للملايـين ، بـيروت ، لبنـان ، 1979.

18. أزمة الثقافة الإسلامية: **هشام جعيط**، ط3، دار الطليعة للطباعة، بيروت، 2011.

19. أعـلام الأدب والفـن: ج1، **أدهـم آل جنـدي**، ط1، مطبعـة مجلـة صوت سـوريا، دمشـق، 1954.

20. أقـرب المـوارد في فصيـح العربيـة والشـوارد: **سـعيد الخـوري الشرتونـي**، ج1، مكتبـة لبنـان، بـيروت ، (د .ت).

21. -أعلام الهداية: **المجمع العالمي** ،ج1، إيران، 1381هـ.

22. أنثولوجيـا الأدب العربـي المهجـري المعـاصر: **لطفـي حـداد** ، المجلـد2، ط1، دار صـادر، بـيروت ، 2004.

23. إنسـانية الإنسـان: **رالـف بارتـون بـيري** ، ترجمـة سـلمى الجيـوسي ، ط1، مكتبـة المعـارف، بـيروت ، 1989.

24. أنتم الشعراء: **أمين الريحاني**، ط1، مؤسسة هنداوي ،القاهرة ، مصر، 2012.

25. إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي: **عيسى الناعوري**، (د.ط)، بيروت، 1958.

26. إيليـا أبـو مـاضي والحركـة الأدبيـة في المهجـر : **نجـدة فتحـي صفـوة** ، ط1، مطبعـة الحكومـة ، بغـداد ، 1945.

27. إيليـا أبـو مـاضي باعـث الأمـل ومفجـر ينابيـع التفـاؤل: **عبـد المجيـد الحـر**، دار الفكـر العربـي، بـيروت، 1995.

28. إيليـا أبـو مـاضي شـاعر المهجـر الأكـبر: **زهـير مـيرزا**، ط2، دار اليقظـة العربيـة ،دمشـق، سـوريا ، 1958.

29. الإنسـان في القـرآن: **عبـاس محمـود العقـاد**، ط1، مؤسسـة هنـداوي للتعليـم والثقافة، القاهرة، مـصر، 2012.

30. الإنسـانية الوجوديـة في الفكـر العربـي : **عبـد الرحمـن بـدوي** ، ط1 ، دار النهضـة المصريـة، مـصر، 1947.

31. بلاغـة العـرب في القـرن العشريـن: **محـي الديـن رضـا**، المطبعـة الرحمانيـة، (د.ط)، مـصر، 1339هـ.

32. البيادر:**ميخائيل نعيمة**، ط12، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، 1996.

33. التجديـد في شـعر المهجـر: **محمـد مصطفـى هـدارة** ، ط1، دار الفكـر العربـي للطباعـة والنـشر، 1957.

34. التفـاؤل والتشـاؤم: **دكتـور بـدر محمـد الأنصـاري**، ط1، مجلـس النـشر العلمـي، جامعـة الكويـت، 1998.

35. تاريـخ سـوريا ولبنـان وفلسـطين: **فيليـب حِتّـى**، (د.ط)، دار الثقافـة ، بـيروت ، لبنـان ، 1959.

36. تاريـخ الأدب العربـي، العـصر الإسـلامي: **د. شـوقي ضيـف**، ط7، دار المعـارف، مـصر، 1995.

37. تاريـخ الصحافـة العربيـة ج4: **الفيكونـت فيليـب دي طـرازي**، ط1، المطبعـة الأدبيـة، بيروت، 1913.

38. تاريـخ الولايـات المتحـدة منـذ اكتشـافها إلى الزمـن الحـاضر ويليـه تاريـخ المهاجـرة السـورية ومـا يتعلـق بهـا: **الخـوري باسـيليوس خربـاوي**، (د.ط)، نيويـورك، 1913.

39. تاريـخ الأدب العربي،العـصر العبـاسي الأول: **د.شـوقي ضيـف** ، ط7 ، دار المعـارف، القاهـرة ، 1995.

40. التوضيح لشرح الجامع الصحيح: **لابن الملقن**، ط1، وزارة الأوقاف، قطر، 2008.

41. جـبران الفيلسـوف: **دكتـور غسـان خالـد**، ط1، مؤسسـة نوفـل للنـشر، بـيروت، لبنـان، 1983.

42. التعريفـات: **عـلى بـن محمـد الجرجانـي** ، وضـع حواشـيه وفهارسـه : محمـد باسـل عيـون السـود ، ط3، دار الكتـب العلميـة ، بـيروت، لبنـان ، 2009.

43. تــاج العــروس في جواهــر القامــوس: **محمــد بــن مرتــضى الزبيــدي** ،ج5، (د.ط)، دار مكتبــة الحيــاة ، (د.ت).

44. جــبران خليــل جــبران (حياتــه، أدبــه): **ميخائيــل نعيمــة**، ط13، بــيروت، لبنــان ، 2009 .

45. جبران حياً وميتاً: **حبيب مسعود**، ط2، دار الريحاني، بيروت، لبنان، 1966.

46. الجامع في تاريخ الأدب العربي: **حنا الفاخوري**، ط1، دار الجيل، لبنان، 1986.

47. -47 جوانــب مضيئــة مــن الشــعر العربــي: **محمــد عبــد الغنــي حســن**، مكتبــة الأنجلــو مصريــة، القاهــرة، 1972.

48. خزانة الأدب م2: **عبدالقادر البغدادي**، ط4، مكتبة الخنجي، القاهرة،1997.

49. حــركات التجديــد في الشــعر الحديــث : **محمــد عبــد المنعــم خفاجــي** ، ط1، دار الجيــل ، بــيروت ، 1992.

50. الحماســة البصريــة : ج1 ، **صــدر الديــن عــلى بــن الحســن البــصري** ، ط3 ، تحقيــق مختــار الديــن أحمــد ، عالــم الكتــب ، لبنــان ، 1983.

51. الحنين والغربة في الشعر العربي: **يحيي الجبوري**، ط1، دار مجدلاوي، 2008.

52. خصائــص الأدب العربــي: **أنــور الجنــدي**، ط2، دار الكتــب اللبنانــي، بــيروت، لبنــان، 1985.

53. دراســات في الشــعر العربــي المعــاصر: **شــوقي ضيــف** ، ط2، دار المعــارف، مــصر، 1959.

54. دراســات في تاريــخ الأدب الحديث:**أحمــد عــزت عبــد الكريــم**، (د.ط)، دار النهضــة، بــيروت 1971.

55. دمعــة وابتســامة: **جــبران خليــل جــبران**، ط1، مؤسســة هنــداوي، القاهــرة، مــصر، 2011.

**56. دواوين الشعراء:**

**ديوان أبي القاسم الشابي**: ط4، دار الكتب، بيروت، لبنان، 2005.

**ديــوان ابــن خفاجــة**: تقديــم دكتــور عمــر فــاروق الطبّــاع، (د.ط))، دار القلــم، بــيروت،

لبنــان، 1994.

**ديــوان أبــي فــراس الحمدانــي**: شرح د.خليـل الدويهــي، ط2، دار الكتــاب العربــي، بــيروت، لبنــان ، 1994.

**ديــوان أبــي تمــام**: شرح الخطيــب التبريــزي، تحقيق:محمــد عبــده عــزام، المجلــد الأول، (د.ط)، دار المعــارف، مــصر، 1964.

**ديوان الأرواح الحائرة**: نسيب عريضة، ط2، دار الغزو الفكري، عمان، الأردن، 1992.

**ديوان أوراق الخريف**: ندرة حداد ، المؤسسة المصرية، القاهرة، 1967.

**ديــوان ألحــان مغــترب**: طاهــر الزمخــشري، ط2 ، مطبوعــات تهامــة، جــدة، المملكــة العربيــة الســعودية ، 1982.

**ديــوان الإمــام عــلى بــن أبــي طالــب**: شرح د. يوســف فرحــات ، ط8 ، دار الكتــاب العربي، بيروت، لبنــان، 2002.

**ديوان أغاني الدرويش**: رشيد أيوب، ط1، مؤسسة هنداوي، القاهرة،، 2012.

**ديوان الأيوبيات**: رشيد أيوب ، ط نيويورك ، 1916.

**ديــوان إيليــا أبــي مــاضي**: تحقيــق عفيــف نايــف خاطــوم، ط1، دار صــادر، بــيروت، 2010.

**ديــوان بشــار بــن بــرد**: تقديــم د. احســان عبــاس ، ط2 ، دار صــادر، بــيروت، لبنــان ، 2010.

**ديــوان تــذكار الصبــا**: نجيــب ســليمان حــداد، ط1، مطبعــة جريــدة البصــير، الإســكندرية ، مــصر ، 1906.

**ديــوان تــذكار المــاضي**: إيليــا أبــو مــاضي، ج1، ط1، المطبعــة المصريــة، الإســكندرية، مــصر، 1911.

**ديوان الجداول**: إيليا أبو ماضي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1970.

**ديوان الجواهري المجلد الأول**: محمد مهدي الجواهري، دار بيسان للنشر، 2000.

**ديوان الحطيئة**: بشرح أبي الحسن السكري، (د.ط)، مطبعة التقدم، مصر، (د ت).

**ديوان حافظ إبراهيم ج1**: ط2، مطبعة دار الكتب المصرية، 1939.

**ديوان الخمائل**: إيليا أبو ماضي، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1970.

**ديوان الروافد**: شكر الله الجر، مطبعة الهدى، (د.ط) ، سان باولو، البرازيل، 1934.

**ديوان خيالات**: رياض معلوف، سان باولو، البرازيل، 1945 .

**ديوان ذي الرمة**: ط2، المكتب الإعلامي للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1964.

**ديوان زهير بن أبي سلمى**: شرحه وقدم له الأستاذ على حسن فاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988.

**ديوان السليك بن السلكة**: تقديم، د.سعدي الضناوي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994.

**ديوان الشوقيات ج2**: أمير الشعراء أحمد شوقي، ط1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012.

**ديوان الشوقيات**: تحقيق أحمد الحوفي، ج1، (د.ط)، دار نهضة مصر، 1978.

**ديوان الشرتوني**: محجوب الخوري الشرتوني ، ط نيويورك ، 1937.

**ديوان الإمام الشافعي**: تحقيق محمد خفاجي، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1985.

**ديوان الصيف**: إلياس فرحات، سان باولو، البرازيل، 1973.

**ديوان على محمود طه**: على محمود طه، (د ط) ، دار العودة، بيروت، لبنان، 1999.

**ديوان عروة بن الورد**: تحقيق أسماء أبوبكر محمد، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.

**ديوان عنترة بن شداد**: شرح أمين سعيد، (د.ط)، المطبعة العربية، مصر، (د.ت).

**ديوان فرحات الجزء 1-3**: إلياس حبيب فرحات، منظمة جميل صفدي، سان باولو، البرازيل، 1954.

**ديوان القروي**: رشيد سليم الخوري ، تحقيق د. عمر بهيج ، ط4 ، وزارة الأعلام ، لبنان ، 2008.

**ديوان اللزوميات:** أبو العلاء المعري، ج1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001.

**ديوان كثير عزة:** تقديم ، مجيد طراد ، ط3 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1999.

**ديوان مسعود سماحة:** مطبعة جريدة السمير، بروكلين، نيويورك، 1938.

**ديــوان المتنبّــي:** أحمــد بــن الحســين، تحقيــق إســماعيل العقبــاوي، (د.ط)، دار الحــرم للـــتراث، القاهــرة ، 2007.

**ديوان من السماء:** أحمد زكي أبو شادي، دار الهدى، (د.ط) ، نيويورك، 1949.

**ديوان همس الجفون:** ميخائيل نعيمة، ط6، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، 2004.

**ديوان هي الدنيا:** رشيد أيوب، ط نيويورك، 1939.

57. ســقوط الدولــة العثمانيــة: **عبــد اللطيــف محمــد**، ط1، مكتبــة العبيكان،الريــاض، 1996.

58. سوريا صنع دولة وولادة أمة: **وديع بشور**، ط1، دار اليازنجي، دمشق،1994.

59. شروح ســقط الزنــد **لأبــي العــلاء المعــري**، القســم الثانــي: الــدار القوميــة للطباعــة والنــشر، بــاشراف د. طــه حســين، القاهــرة (د.ت).

60. شعر المهجر: **كمال نشأت**، (د.ط)، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، مصر، 1966.

61. شعراء الرابطة القلمية: **نادرة جميل سرّاج** ، ط1، دار المعارف ، مصر ، 1964.

62. الشــعراء الصعاليــك في العــصر الجاهــلي: **يوســف عبــد القــادر خليــف** ، (د.ط)، دار المعــارف، القاهــرة، 1959.

63. شعر الطبيعة في الأدب العربي: **سيد نوفل** ، ط1، مطبعة مصر، القاهرة، 1945.

64. الشــعر العربــي في المهجــر الأمريكــي: **وديــع أمــين ديــب**، ط1، دار ريحانــي ، بــيروت، 1955.

65. الشــعر العربــي في المهجــر: **محمــد عبــد الغنــي حســن**، ط1، مطبعــة التأليــف والنــشر، القاهــرة، 1962.

66. الشــعر العربــي الحديــث آفاقــه وســبل تذوقــه ونقــده: **محمــد صالــح الشــنطي وآخــرون**، ط1، دار الأندلــس للنــشر، حائــل، الســعودية، د ت.

67. الشعر العربي في المهجر "أمريكا الشمالية": **إحسان عباس ومحمد يوسف نجم**، ط3، دار صادر ، بيروت، لبنان، 1982.

68. الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية: **د.عز الدين إسماعيل**، ط3، دار الفكر العربي،1966.

69. الشعر القومي في المهجر الجنوبي: **عزيزة مريدن**، ط2، دار الفكر، دمشق، 1973.

70. الشاعر حافظ إبراهيم : **زكي مبارك** ، ط1، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1991.

71. الصاحبي في فقه اللغة: **أحمد بن فارس**، تحقيق أحمد صقر، (د.ط)، مطبعة الحلبي، مصر، 1977.

72. الصناعتين: **أبو هلال العسكري**، تحقيق على البجاوي، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1952.

73. عندما ألتقيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه : **أدهم شرقاوي** ، ط1 ، دار كلمات للنشر والتوزيع ، الكويت ، 2017.

74. العهد الجديد، إنجيل متّى.

75. غربة الإسلام:ابن **رجب الحنبلي**، تحقيق أحمد السرباطي، ط1، دار الكتاب العربي، 1954.

76. غرائب الغرب: **محمد كرد علي** ، ط2، المطبعة الرحمانية ، ج2، مصر ، 1923 .

77. الغربال: **ميخائيل نعيمة**، ط15، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، 1991.

78. الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني: **أمين صالح**، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 1995.

79. في الميزان الجديد: **محمد مندور**، ط1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2020.

80. في الأدب الحديث: **عمر الدسوقي**، ج2 ، ط1، دار الفكر، القاهرة ،1950.

81. قاموس جبران خليل جبران: **إسكندر نجار**، ترجمة ماري طوق ، ط1، دار الساقي، بيروت،2008.

82. قس بن ساعدة ، حياته ،خطبه ، شعره : **د. أحمد الربيعي**، ط1، مطبعة النعمان، بغداد، 1974.

83. قصــة الأدب المهجــري: **محمــد عبــد المنعــم خفاجــي**، ط2، دار الكتــاب اللبنانــي، بــيروت، 1973.

84. القصــة في الأدب العربــي الحديــث: **محمــد يوســف نجــم**، (د.ط)، القاهــرة، مــصر، 1952.

85. القوميــة الإنســانية في شــعر المهجــر الجنوبــي: **عزيــزة مريــدن**، ط1، الــدار القوميــة للطباعــة والنــشر، القاهــرة ، 1966.

86. القيــم الروحيــة في الشــعر العربــي: **ثريــا عبــد الفتــاح** ، دار الكتــاب اللبنانــي، بــيروت، لبنان، 1950.

87. كتاب المفصل في تاريخ العرب: **جواد على**، ط4، دار الساقي، بيروت، 2001.

88. كتاب حديث الأربعاء: **طه حسين** ، ج3 ، ط12، دار المعارف ، مصر، 1973.

89. لســان العــرب: **ابــن منظــور**، محمــد بــن مكــرم، ط4، دار صــادر، بــيروت، لبنــان ، 1994.

90. لبنــان بعــد الحــرب: **أوغســت أديــب باشــا**، ترجمــة فريــد حبيــش،(د.ط)، دار المعــارف، القاهــرة، 1919.

91. الليــالي: **ألفريــد دي موســيه**، ترجمــة محمــد منــدور، ط1، مؤسســة هنــداوي، القاهرة، 2019.

92. مــا وراء البحــار: **تأليــف أمــين الريحانــي وآخــرون**، ط1، مؤسســة هنــداوي، القاهرة، 2020.

93. مجموعــة الرابطــة القلميــة لســنة 1921:**ميخائيــل نعيمــة**، المطبعــة التجاريــة الســورية الأمريكيــة، نيويــورك،1921.

94. مذكرات الأرقش: **ميخائيل نعيمه** ، ط1، مكتبة شغف ، فلسطين ، 2018.

95. معجم الشعراء الجاهليين: **عزيزة فوال** ،ط1، دار صادر، بيروت ، 1998.

96. معالم التاريخ الإسلامي المعاصر: **أنور الجندي**، (د.ط)، دار الاعتصام ، 1981.

97. مقدمــة في منهــج البحــث العلمــي: **رحيــم يونــس العــزاوي**، ط2، دار دجلــة، عمــان، الأردن، 2008م.

98. المقابسات: **أبو حيان التوحيدي**، تحقيق حسن السندوبي، ط1، دار سعاد الصباح، الكويت، (د.ت).

99. موت الإنسان في الخطاب الفلسفي: **عبد الرازق الداوي**، (د.ط)، دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان، 1992 .

100. موسوعة الشعراء العرب:**محمد بوزواوي**،(د.ط)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

101. موقف المعارضة في المشرق العربي من حكم السلطان عبد الحميد الثاني: **سعيد الغامدي**، (د.ط)، مكتبة النوبة، 1992.

102. المنجد في اللغة والأدب والعلوم: (د.ط) ، **للأب لويس معلوف**.

103. المعجم الوسيط: **مجمع اللغة العربية**، ج1، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، 1960.

104. المجموعة الكاملة: **ميخائيل نعيمة**، م1، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،1975.

105. المجموعة الكاملة لمؤلفات **جبران خليل جبران** (الشعر): جمع وتقديم أنطوان – القدال، ط1، دار الجيل، بيروت، 1999.

106. المجموعة الكاملة لمؤلفات **جبران** المعربة: (د.ط)، دار صادر، ودار بيروت، بيروت، لبنان، 1964.

107. المخصص: **أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده**، ج1، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

108. مسند الإمام **أحمد بن حنبل** ، ج5 ، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة.

109. المقال وتطوره في الأدب المعاصر: **السيد مرسي أبو ذكرى**، ط1، دار المعارف، مصر، 1981.

110. المغتربون:عبد **اللطيف اليونس**، (د.ط)، مطبعة العرفان ، صيدا ، لبنان ، 1964.

111. المهاجرة اللبنانية: **ميشال شلبي**، بحث علمي اجتماعي اقتصادي، بيروت، 1927.

112. المعلقات العشر: **شرح الحسين بن أحمد الزوزني**،(د.ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983.

113. نظرات في التصوّف والكرامات: **محمد جواد مغنية**، ط1، دار المكتبة الأهلية، بيروت، 1963.

114. نساء في حياة جبران وأثرهن في أدبه: **وفيق غريزي**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1992.

115. النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية: **فصل سالم العيسى**، ط1، دار اليازوري، عمّان، الأردن، 2005.

116. النزعة الإنسانية في الشعر العربي القديم: **محمد إبراهيم حوّر**، ط2، مكتبة المكتبة، العين، 1985.

117. النزعة الإنسانية في الشعر العربي المعاصر: **أنور الشعر**، ط1، مطبعة السفير، عمان، الأردن، 2016.

118. الناطقون بالضاد في أمريكا الجنوبية: **البدوي الملثم**، ج2، دار ريحاني للطباعة والنشر، (د.ط) ، بيروت، لبنان، 1956.

119. نزعة الأنسنة في الفكر العربي: **محمد أركون**، ترجمة: هاشم صالح، (د.ط)، دار الساقي، 1997.

120. "النبي": جبران خليل جبران، ترجمة: **أنطونيوس بشر**، ط1، مؤسسة هنداوى للنشر،القاهرة ، 2017.

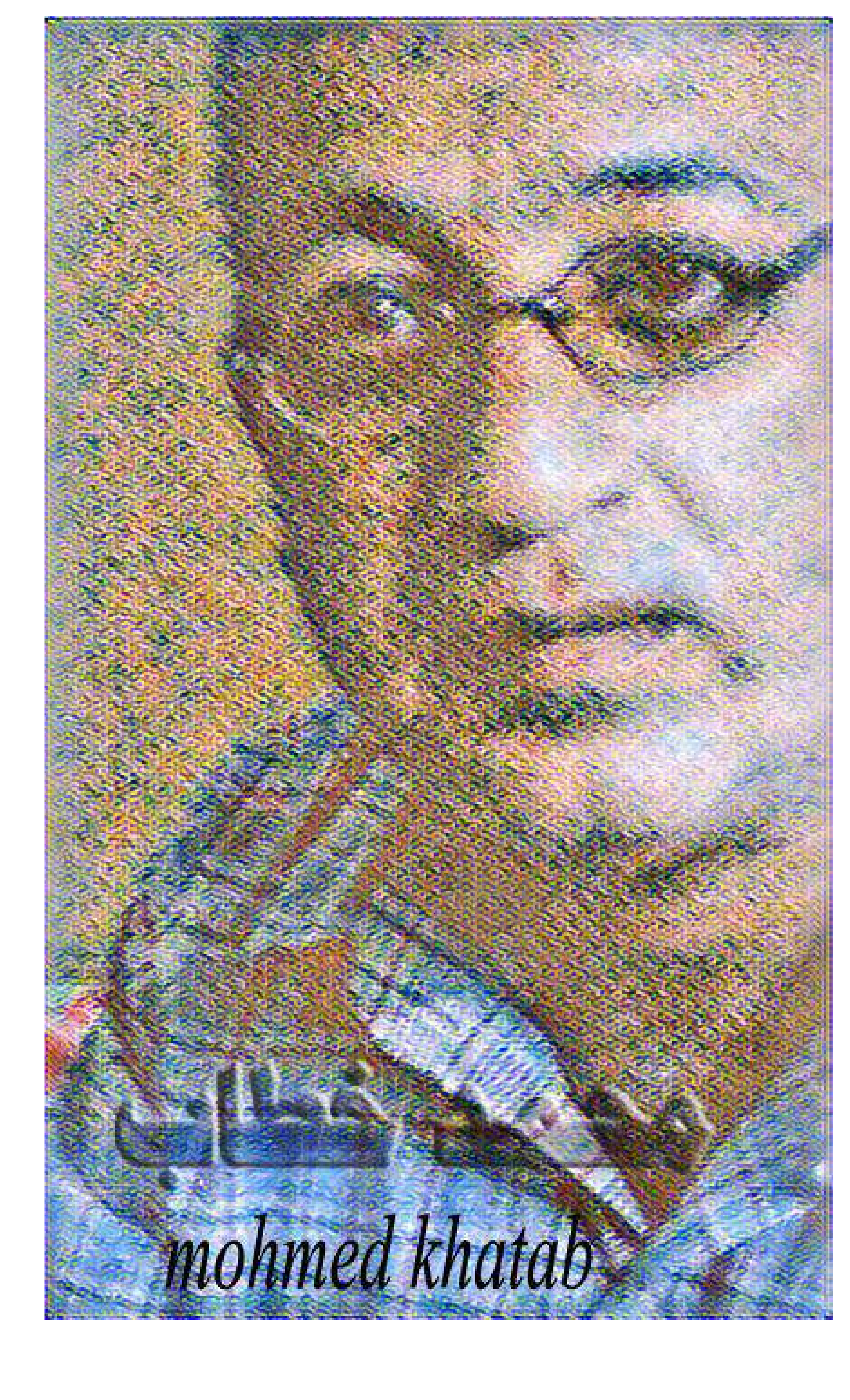
**المراجع الأجنبية:**

121. Syria and Lebanon : by P. K , Hitti , Mannheim, (2001) p625.

122. The Syrians in America : by P. K , Hitti , New York ,p32.

123. This man from Lebanon: Barbara Young , NewYork,p19 ,1944.

124. Humanism as a Philosophy : Corliss Lamant , Philosophical Library1949pp19.


mohmed khatab



# د. صلاح التوم إبراهيم محمد

الميلاد: كسلا 1970م

المراحل التعليمية:

الابتدائية: كسلا الميرغنية الغربية

المتوسط: الكارة المتوسطة

الثانوية: كسلا (معهد التربية كسلا)

الجامعة: بخت الرضا ، كلية علوم التربية ، قسم اللغة العربية (بكالريوس التربية) .

**الدراسات فوق الجامعة:**

ماجستير اللغة العربية، معهد الخرطوم الدولى للغة العربية.

دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية وآدابها تخصص أدب ونقد، جامعة كسلا.

مدير مدرسة عمر الحاج موسى الثانوية بنين – كسلا

باحث - مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر(السودان)

---

**أوراق علمية منشورة في مجلات علمية محكمة:**

- مظاهر النزعة الإنسانية عند شعراء الرابطة القلمية، مجلة آداب العلمية، جامعة امرمان الأهلية، العدد(6) 2021م
- الإنشاء الطلبي في ديوان ادريس جماع، مجلة القلزم، العدد(14)، 2021م
- محاسن ومساؤي هجرة أدباء المهجر، مجلة القلزم الدولية، العدد(18)،2022م
- القيم الأخلاقية في ديوان محمد سعيد العباسي، مجلة مروي التكنولوجية، 2022م
- التشاؤم والتفاؤل عند شعراء الرابطة القلمية، العدد(16)، 2022م
- التجديد في الأوزان والقوافي في الشعر المهجري، مجلة القلزم، العدد(17)، 1444هـ
- عمق الشعور بالطبيعة في الشعر المهجري،مجلة القلزم ، العدد(20)، 2023م
- القيم الدينية في الأمثال الشعبية السودانية، مجلة القلزم التربوية واللغوية، العدد(21)، سبتمبر 2023م .

**دورات تدرريبية :**

- لغة الإشارة ، الجمعية القومية السودانية لرعاية الصم .
- دبلوم الحاسوب التطبيقي،مركز اليونسكو للعلاقات الدولية( الخرطوم ).
- السبورة التفاعلية، إدارة التعليم الألكتروني ، ولاية كسلا.
- الإدارة التربوية ، إدارة التدريب والتأهيل التربوي كسلا.
- الاسعافات الأولية والصحة المدرسية، جمعية الهلال الأحمر السوداني،كسلا.
- الصيدلة والرعاية الأولية للطلاب، معهد ستانلي للتدريب، الخرطوم .
- بين الغذاء والصحة، الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية.
- الألعاب التعليمية، مركز القمة للدراسات والتدريب، مصر .
- دور الأدب في تعزيز الأمن الفكري، الجمعية الأهلية الصالحية بعنيزة، السعودية .
- استراتيجيات القيادة، الجمعية الأهلية الصالحية بعنيزة، السعودية .
- إعداد الوسائل التعليمية والتقنيات التربوية ، معاهد تدريب وتأهيل المعلمين، كسلا.
- إدارة صراعات العمل، الكلية التطبيقية فرع محايل، جامعة الملك خالد السعودية.
- فعاليات الملتقى الخامس لتعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، الأكاديمية العربية ،مصر.

